

شرح

بلوغ المرام من أدلة الأحكام

كتاب الجامع

للشيخ المفضال أبي محمد

عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري

[كتاب الجامع] - [باب الأدب]

[كِتابُ الْجَامِعِ]

[بَابُ الأَدَبِ]

الشرح: ******************************

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فهذا كتاب الجامع من بلوغ المرام، وسمي بذلك لأنه الْجَامِعِ لِأَبْوَابٍ سِتَّةٍ: الْأَدَبِ، الْبِرِّ، وَالصِّلَةِ، الزُّهْدِ، وَالْوَرَعِ، التَّرْهِيبِ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، وَالتَّرْغِيبِ فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، الذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ. اهـ

ويأتي العلماء بهذا الكتاب في مصنفاتهم لتتمة المصنف، فإن أبواب العلم كثيرة، فإذا أراد المصنف أن يكتب في كل باب؛ طال الكتاب، وخرج المصنف عن المقصود، ولكنه في الغالب يذكر جملًا تشير إلى ما سواها، يستفيدها المبتدي، ولا يستغني عنها المنتهي.

وهذا الذي ينبغي لكل عالم، أو طالب علم، أن يحرص على دلالة الناس على جوامع العلوم فإن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ» أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه .

«وجوامع الكلم»: الكلمات اليسيرات التي يدخل تحتها معاني بليغات، والأحاديث القصيرات التي تدل على علوم كثيرات، فالسداد هو المطلوب .

وكما قيل:

إنما العلم كبـــحر زاخـــر ... فاتخذ من كل شيء أحسنه

ما حوى العـلم أحـــــد ... لا لو مـــارسه ألــف سنة

باب الآداب: ذكر هذا الباب في بعض نسخ بلوغ المرام، وترتيب الأحاديث يدل على ذلك .

وقل أن يترك الكلام في هذا الباب سواء في الكتب الجوامع:

كصحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وصحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى، وما في بابها من كتب الأمهات.

أو الكتب المفردة: ككتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله تعالى، وهو من أنفسها وأجمعها، وإن لم يكن هو الوحيد في بابه .

ومن أنفسها أيضا رياض الصالحين للنووي رحمه الله تعالى فقد جاء بخير كثير في كل باب من أبواب الأدب، سواء كان مع الله عز وجل، أو ما يكون بين المكلفين، والله الموفق .

****

[بيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم]

١٤٥٢ – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ»[1]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان بعض حقوق المسلم على أخيه المسلم.

والحديث في الصحيحين:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بلفظ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ»[2].

ثم إن أحسن ما يتأدب به، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٢) (٥). و«التسميت» بالسين المهملة، وأيضا بالمعجمة لغتان مشهورتان، وهو أن يقول للعاطس: يرحمك الله. يعني: بعد قول العاطس: الحمد لله.

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٢).

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[(١)].

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا بَلَغَ أَبَا ذَرٍّ -رضي الله عنه- مَبْعَثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَخِيهِ: ارْكَبْ إِلَى هَذَا الوَادِي فَاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَاسْمَعْ مِنْ قَوْلِهِ ثُمَّ ائْتِنِي، فَانْطَلَقَ الأَخُ حَتَّى قَدِمَهُ، وَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ فَقَالَ لَهُ: رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَلاَمًا مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، ...»[(٢)].

وقد زكاه الله عز وجل بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من طريق سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، أنه جاء إلى عائشة رضي الله عنها يسألها، فقال: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ -رضي الله عنها-أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

[(١)] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٩٥٢)، والحديث صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان، فقد روى له مسلم متابعة، وهو قوي الحديث. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٣٧٤)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

[(٢)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨٦١).

وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»[1].

وفي الصحيحين:

من حديث أَنَسٍ بن مالك رضي الله عنه، أنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» نُغَرٌ كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا»[2].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسٌ -رضي الله عنه-، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ،

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٤٦).

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٥٠).

فَقَالَ: «يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟» قَالَ قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ » [(١)].

فما من خير إلا ودلنا عليه، وما من شر إلا وحذرنا منه.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

عن عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضي الله عنهما- قال رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ " [(٢)].

قوله: «حَقٌّ».

تشمل الواجبات والمستحبات.

[(١)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣١٠).

[(١)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٤).

فما دلت الأدلة على الوجوب، وجب تأديته إلى الغير.

وما دلت على الاستحباب فعلى ما جاء .

يقول الله عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}.

كما جاء في سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أَبَي أُمَامَةَ -رضي الله عنه-، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ فَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ»[(١)].

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنهما، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ رضي الله عنها مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-

---

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٨٧٠)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء (١٦٥٥)، وقال فيه: صحيح.

وقد جاء عن جماعة كثيرة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أبو أمامة الباهلي، وعمرو بن خارجة ، وعبد الله بن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله ابن عمرو، وجابر بن عبد الله، وعلى بن أبى طالب، وعبد الله بن عمر، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم رضي الله عنهم.

فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه- يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ -رضي الله عنه- قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ -رضي الله عنه-: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»(١).

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦١١-٦١٤):

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ حُقُوقُ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ.

وَالْمُرَادُ بِالْحَقِّ: مَا لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ، وَيَكُونُ فِعْلُهُ إمَّا وَاجِبًا، أَوْ مَنْدُوبًا نَدْبًا مُؤَكَّدًا؛ شَبِيهًا بِالْوَاجِبِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ.

وَيَكُونُ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْمَعْنَيَيْنِ مِنْ بَابِ اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ فِي مَعْنَيَيْهِ فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنَى الْوَاجِبِ كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ.

قوله: «الْمُسْلِمِ».

المسلم: هو المستسلم لله عز وجل بالتوحيد، والمنقاد له بالطاعة، والمتبرئ من الشرك، وأهله.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٩٦٨).

يقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ}.

قوله: «عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ».

لا يُراد به الحصر للحقوق، وإنما نبه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أهم وأشهر هذه الحقوق.

قوله: «إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ».

في الطريق ونحوه، فليبادر بقوله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بيان حكم الابتداء بالسلام عند اللقاء بين المسلم وأخيه المسلم:

وهذا اللفظ يدل على وجوب الابتداء بالسلام.

والذي ذهب إليه جمهور العلماء أن الابتداء بالسلام مستحب، وليس بواجب بينما الرد علي المسلم واجب.

لقول الله عز وجل : {وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا}.

بيان أفضل صيغة للسلام:

أن يقول المسلِّم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»»[1].

وأخرج البخاري في الأدب المفرد:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: «أَنَّ رَجُلًا مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: «عَشْرُ حَسَنَاتٍ» ، فَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ حَسَنَةً» ، فَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ حَسَنَةً» ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمَجْلِسِ وَلَمْ يُسَلِّمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَوْشَكَ مَا نَسِيَ صَاحِبُكُمْ، إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَجْلِسَ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِنْ بَدَا لَهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، وَإِذَا قَامَ فَلْيُسَلِّمْ، مَا الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ»[2].

---

[1] أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله تعالى في سننه (٥١٩٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود وغيره. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٠٢٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

[1] أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (٩٨٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الأدب المفرد برقم (٩٨٧/٧٦٢)، وقال فيه: صحيح الإسناد. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٤١٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

بيان حكم زيادة: "ومغفرته"، على لفظ السلام:

زيادة: "ومغفرته"، لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلا يؤتى بها .

واستدل بعض أهل العلم بقوله: { فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا} .

وأخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في التاريخ الكبير:

عن زيد بن أرقم -رضي الله عنه- قال: «كنا إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم علينا قلنا: "وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته"»[1] .

بيان أن السلام من أحد المارة يجزئ عنهم:

ولو مر أناس كثر من جانب أناس، وسلم أحدهم، ورد عليه أحدهم، فإن هذا يجزئ عن الباقين .

بخلاف العُطاس، فإن الرجل إذا عطس فحمد الله عز وجل، لزم جميع من سمعه أن يشمتوه .

بيان أن الصغير يسلم على الكبير، والمار على القاعد، والقليل على الكثير:

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في التاريخ الكبير (١ / ١ / ٣٣٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٤٤٩)، وقال فيه: وهذا إسناد جيد رجاله ثقات، كلهم من رجال "التهذيب" إبراهيم بن المختار وهو الرازي، روى عن جماعة من الثقات ذكرهم ابن أبي حاتم (١ / ١ / ١٣٨) ثم قال: " سألت أبي عنه: فقال: صالح الحديث.

لما جاء في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»[1].

بيان أن الراكب يسلم على الماشي:

كما جاء ذلك أيضًا في الصحيحين: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»[2].

بيان حكم إجابة الدعوة:

قوله: «وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ».

إجابة الدعوة في حق الوليمة واجب، وما سواها على الاستحباب.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُدْعَى لَهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ، وَمَنْ تَرَكَ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[3].

وقد جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي مُوسَى -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فُكُّوا العَانِيَ، وَأَجِيبُوا الدَّاعِيَ، وَعُودُوا المَرِيضَ»[1].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٣١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٠).

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٣٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٠).

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥١٧٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٤٣٢).

وفي الصحيحين: من حديث البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ: أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجِنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلاَمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ الذَّهَبِ، وَعَنِ الشُّرْبِ فِي الفِضَّةِ، أَوْ قَالَ: آنِيَةِ الفِضَّةِ، وَعَنِ المَيَاثِرِ وَالقَسِّيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالإِسْتَبْرَقِ»[٢].

بيان حكم النصيحة لمن طلبها:

قوله: «وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ».

من طلب منك النصيحة وأنت قادر على ذلك فيجب نصحه وتوجيهه.

والمستشار مؤتمن ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»[٣].

وشأن النصيحة عظيم، ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

---

[٢] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥١٧٤).

[٣] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٦٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٦٦).

[١] أخرجه الإمام أبو داود (٥١٢٨)، والإمام الترمذي (٢٨٢٢)، والإمام ابن ماجه (٣٧٤٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٤٠٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.



من حديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[١].

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع أصحابه رضي الله عنهم على النصيحة، ففي الصحيحين: من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البجلي -رضي الله عنه-، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[٢].

وإذا لم يطلب النصح فبحسبه، فقد يكون واجباً أو مستحباً.

لقول الله عز وجل: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٥).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٦).

يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»[١].

ولو قام الناس بهذا الأمر لفشا الخير وانتشر في المجتمع.

ودعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، قامت على النصيحة .

يقول الله عز وجل عن نوح: { أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}.

ويقول الله عز وجل عن هود: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ}.

ويقول الله عز وجل عن صالح: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ} غير ذلك .

حكم تشميت العاطس

قوله: «وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَسَمِّتْهُ».

يقال التشميت والتسميت: وكلاهما بمعنى واحد، وهو أن يقول لمن عطس فحمد الله تعالى، يرحمك الله.

ويحب الله عز وجل العطاس ويكره التثاؤب:

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٧٤).

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللَّهَ، كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»(١).

ويؤخذ من الحديث أن من لم يحمد الله لا يشمت .

بيان ما يقول من عطس، وكيف يشمت:

في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ لِلَّهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»(٢).

بيان أن من عطس فلم يحمد الله عز وجل فلا يشمت:

في الصحيحين: من حديث أَنَس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «عَطَسَ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ،

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٢٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٢٤).

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَمَّتَّ هَذَا وَلَمْ تُشَمِّتْنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَلَمْ تَحْمَدِ اللهَ»[(١)].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من طريق أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى -رضي الله عنه- وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَّهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكِ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ، فَحَمِدَتِ اللهَ فَشَمَّتُّهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ، فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ»[(٢)].

بيان حكم من عطس وهو من غير المسلمين:

فإن كان العاطس من أهل الذمة، أو المعاهدين، وغيرهم.

فتشميته إن حمد الله يكون بقولنا: يهديكم الله.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٢٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩٢).

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:من حديث أَبِي مُوسَى -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ، فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ» [1].

بيان حكم عيادة المريض:

قوله: «وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ».

عيادة المريض مستحبة لما في ذلك من إدخال السرور على المسلم، والدعاء له وتطيب خاطره، وإذا كان المرض معدياً فلا تلزم زيارته، ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ» [2].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم (١٤/٢١٣-٢١٤):

قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ: يَجِبُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ وَهُمَا صَحِيحَانِ.

قَالُوا: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ أن حديث: «لا عدوى»، الْمُرَادُ بِهِ نَفْيُ مَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ تَزْعُمُهُ وتعتقده أن المرض والعاهة تعدي بطبعها لا بفعل الله تعالى.

---

[1] أخرجه الإمام أبو داود (٥٠٣٨)، والإمام الترمذي (٢٧٣٩)، والإمام البخاري رحمه الله تعالى في الأدب المفرد (٩٤٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وفي صحيح الأدب المفرد برقم (٧٢٣/٩٤٠). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٨١٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٠٧).

وأما حديث: «لا يورد مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»، فَأُرْشِدَ فِيهِ إِلَى مُجَانَبَةِ مَا يَحْصُلُ الضَّرَرُ عِنْدَهُ فِي الْعَادَةِ بِفِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَقَدْرِهِ.

فَنَفَى فِي الْحَدِيثِ الْأَوَّلِ الْعَدْوَى بِطَبْعِهَا وَلَمْ يَنْفِ حُصُولَ الضَّرَرِ عِنْدَ ذَلِكَ بِقَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى وَفِعْلِهِ.

وَأَرْشَدَ فِي الثَّانِي إِلَى الِاحْتِرَازِ مِمَّا يَحْصُلُ عِنْدَهُ الضَّرَرُ بِفِعْلِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقَدَرِهِ.

فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مِنْ تَصْحِيحِ الْحَدِيثَيْنِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهُمَا هُوَ الصَّوَابُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ وَيَتَعَيَّنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ.

ولا يؤثر نسيان أبي هريرة لحديث: «لا عدوى» لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ نِسْيَانَ الرَّاوِي لِلْحَدِيثِ الَّذِي رواه لا يقدح فِي صِحَّتِهِ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ بَلْ يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ ثَابِتٌ مِنْ رِوَايَةِ غَيْرِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- فَقَدْ ذَكَرَ مُسْلِمٌ هَذَا مِنْ رِوَايَةِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وبن عُمَرَ -رضي الله عنهم- عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَحَكَى الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أن حديث: «لا يورد ممرض على مصح» منسوخ بحديث: «لا عدوى» وَهَذَا غَلَطٌ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ النَّسْخَ يُشْتَرَطُ فِيهِ تَعَذُّرُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْحَدِيثَيْنِ وَلَمْ يَتَعَذَّرْ بَلْ قَدْ جَمَعْنَا بَيْنَهُمَا.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِيهِ مَعْرِفَةُ التَّارِيخِ وَتَأَخُّرُ النَّاسِخِ وَلَيْسَ ذَلِكَ موجودا هنا.

وقال آخرون: حديث: «لا عدوى» عَلَى ظَاهِرِهِ.

وَأَمَّا النَّهْيُ عَنْ إِيرَادِ الْمُمْرِضِ عَلَى الْمُصِحِّ، فَلَيْسَ لِلْعَدْوَى بَلْ لِلتَّأَذِّي بِالرَّائِحَةِ الكريهة وقبح صورته وصورة المجذوم.

والصواب ما سبق وَاللهُ أَعْلَمُ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اتباع الجنائز:

قوله: «وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ».

فاتبع جنازته وصل عليها والأفضل أن يكون معها حتى تدفن، فإن في ذلك أجر عظيم.

كما تقدم في كتاب الجنائز، والله المستعان.

****

[بيان أن المرء ينظر إلى من هو دونه في أمور الدنيا حتى لا يحتقر نعمة اللَّه عليه]

١٤٥٣ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان وجوب شكر الله عز وجل على نعمه.

وأن على الإنسان له أن يتأدب بالآداب الشرعية فينظر إلى من هو دونه: في الرزق، والجمال، والقوة، وفي جميع شأنه الدنيوي .

فإنه يعرف مقدار ما أنعم الله عز وجل به عليه الكثيرة الجليلة .

أما إذا نظر إلى من فوقه، فربما ازدرى تلك النعمة التي هو عليها، وجعل يتطلع إلى غيرها والله عز وجل يقول: {وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.

ويجوز للإنسان أن يتمنى الخير بدون ازدراء النعمة، يقول الله عز وجل: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}.

---

(١) هذا اللفظ رواية لمسلم (٢٩٦٣) (٩)، وأما اللفظ المتفق عليه، فهو قوله –صلى الله عليه وسلم–: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضل عليه». رواه البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) (٨).

قوله: «وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ».

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦١٤-٦١٥):

قوله: «فَهُوَ أَجْدَرُ»: بِالْجِيمِ وَالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ فَرَاءٍ أَحَقُّ.

قوله: «أَنْ لَا تَزْدَرُوا»: تَحْتَقِرُوا.

قوله: «نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ»: عِلَّةٌ لِلْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعًا.

الْحَدِيثُ إرْشَادٌ لِلْعَبْدِ إلَى مَا يَشْكُرُ بِهِ النِّعْمَةَ.

وَالْمُرَادُ بِمَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْ النَّاظِرِ فِي الدُّنْيَا فَيَنْظُرُ إلَى الْمُبْتَلَى بِالْأَسْقَامِ وَيَنْتَقِلُ مِنْهُ إلَى مَا فُضِّلَ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ الْعَافِيَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ كُلِّ إنْعَامٍ.

وَيَنْظُرُ إلَى مَنْ فِي خَلْقِهِ نَقْصٌ مِنْ عَمًى أَوْ صَمَمٍ أَوْ بَكَمٍ وَيَنْتَقِلُ إلَى مَا هُوَ فِيهِ مِنْ السَّلَامَةِ عَنْ تِلْكَ الْعَاهَاتِ الَّتِي تَجْلِبُ الْهَمَّ وَالْغَمَّ.

وَيَنْظُرُ إلَى مَا اُبْتُلِيَ بِالدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَالِامْتِنَاعِ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهَا مِنْ الْحُقُوقِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ فُضِّلَ بِالْإِقْلَالِ وَأُنْعِمَ عَلَيْهِ بِقِلَّةِ تَبِعَةِ الْأَمْوَالِ فِي الْحَالِ وَالْمَآلِ.

وَيَنْظُرُ إلَى مَنْ اُبْتُلِيَ بِالْفَقْرِ الْمُدْقِعِ أَوْ بِالدَّيْنِ الْمُفْظِعِ وَيَعْلَمُ مَا صَارَ إلَيْهِ مِنْ السَّلَامَةِ مِنْ الْأَمْرَيْنِ وَتَقَرُّ بِمَا أَعْطَاهُ رَبُّهُ الْعَيْنُ.

وَمَا مِنْ مُبْتَلًى فِي الدُّنْيَا بِخَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إلَّا وَيَجِدُ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ بَلِيَّةً فَيَتَسَلَّى بِهِ وَيَشْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِمَّا يَرَى غَيْرَهُ اُبْتُلِيَ بِهِ.

وَيَنْظُرُ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الدِّينِ فَيَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ الْمُفْرِطِينَ فَبِالنَّظَرِ الْأَوَّلِ يَشْكُرُ مَا للهَّ مِنْ النِّعَمِ.

وَبِالنَّظَرِ الثَّانِي يَسْتَحْيِي مِنْ مَوْلَاهُ وَيَقْرَعُ بَابَ الْمَتَابِ بِأَنَامِلِ النَّدَمِ.

فَهُوَ بِالْأَوَّلِ مَسْرُورٌ لِنِعْمَةِ اللهَّ.

وَفِي الثَّانِي مُنْكَسِرُ النَّفْسِ حَيَاءً مِنْ مَوْلَاهُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- مَرْفُوعًا: «إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالْخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ» . اهـ

****

[بيان أن البر والإثم]

١٤٥٤ – (وَعَنِ النَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ – رضي الله عنه – قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ؟ فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»[١]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان البر و الإثم .

وهذا من أعظم الآداب، التي ينبغي للمسلم معرفتها إذ أن البر يقرب من الله عز وجل، ويكرم صاحبه في الدنيا والآخرة، وأعظم البر التوحيد، والإثم من أسباب البعد عن الله عز وجل، وأشده الشرك، ثم هو متفاوت كثيراً، والله المستعان .

قوله: «عَنِ النَوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ – رضي الله عنه –».

النَّوَّاسِ: بِفَتْحِ النُّونِ وَتَشْدِيدِ الْوَاوِ وَسِينٍ مُهْمَلَةٍ.

ابْنُ سَمْعَانَ: بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَكَسْرِهَا وَبِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ.

وَرَدَ سَمْعَانُ الْكِلَابِيُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ وَهِيَ الَّتِي تَعَوَّذَتْ مِنَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٣).



سَكَنَ النَّوَّاسُ الشَّامَ وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْهُمْ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: نِسْبَتُهُ إِلَى الْأَنْصَارِ.

قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ كِلَابِيٌّ وَلَعَلَّهُ حَلِيفُ الْأَنْصَارِ. أفاده الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل.

قوله: «قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –».

فيه: سؤال أهل العلم فيما يشكل.

قوله: «عَنِ الْبِرِّ».

البر: اسم جامع لكل خير يقول الله عز وجل : {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}.

قوله: «وَالْإِثْمِ؟».

الإثم: اسم جامع لكل ما يأثم به الإنسان إذا فعله.

وسؤال النواس بن سمعان رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليس عن أعمال البر، وأعمال الإثم.

وإنما سأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن كيفية معرفة البر، ومعرفة الإثم؟

قوله: "فَقَالَ: «الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلُقِ»".

بيان أقسام حسن الخلق:

وحسن الخلق، ينقسم إلى قسمين:

الأول: حسن خلق مع الله عز وجل.

ويكون ذلك بتوحيده وعدم الشرك به، وبطاعته وعدم معصيته.

وهذا هو معنى الإحسان المذكور في قوله ﷺ: « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» .

الثاني: حسن الخلق مع الخلق ويكون ذلك ببذل الندى، وكف الأذى، وطلاقة الوجه.

بيان أن الصدق أساس البر.

والصدق هو أساس البر ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ

وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[1].

بيان أن حسن الخلق من أثقل الأعمال يوم القيامة بعد توحيد الله عز وجل:

وهنيئًا لمن كان حسن الأخلاق، فإن صاحب حسن الخلق من أثقل الناس ميزانًا يوم القيامة.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ-رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[2].

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي المِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ»[3].

بيان قرب مجلس صاحب الخلق الحسن من النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٧).

(1) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٩٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٠٣٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(2) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٠٠٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

وصاحب الخلق الحسن من أقرب الناس مجلسًا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم القيامة.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث جَابِرٍ -رضي الله عنهما-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ»[(١)].

وَالثَّرْثَارُ: هُوَ الكَثِيرُ الكَلَامِ، وَالمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

بيان أن صاحب الخلق الحسن من خيار الناس:

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٠١٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى صحيح وضعيف الترمذي. وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٩٧): صحيح لغيره. وقال في الصحيحة برقم (٧٩١)، عقب كلام الإمام الترمذي: ومداره في الحالين على ابن فضالة وهو صدوق يدلس وقد صرح بالتحديث كما ترى، فهو حسن الإسناد. وحديث أبي هريرة رضي الله عنهالذي أشار إليه الترمذي هو بلفظ: "شرار أمتي" وسيأتي، ومضى بعضه تحت الحديث (٧٥١)، وللحديث هناك شاهد من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه وهو مخرج في "المشكاة" (٤٧٩٧)، وآخر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مختصرا نحوه بلفظ: خياركم أحاسنكم أخلاقا ...". رواه البيهقي في "الشعب" كما في " الجامع ".

ففي الصحيحين: من طريق مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما-، يُحَدِّثُنَا، إِذْ قَالَ: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا»[1].

بيان أن أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق:

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»[2].

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦١٥):

قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبِرُّ يَكُونُ بِمَعْنَى الصِّلَةِ، وَبِمَعْنَى الصَّدَقَةِ، وَبِمَعْنَى اللُّطْفِ وَالْمَبَرَّةِ وَحُسْنِ الصُّحْبَةِ وَالْعِشْرَةِ، وَبِمَعْنَى الطَّاعَةِ؛ وَهَذِهِ الْأُمُورُ هِيَ مَجَامِعُ حُسْنِ الْخُلُقِ.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٢١).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٠٠٤)، وابن ماجه في سننه (٤٢٤٦)، والحاكم (٤/ ٣٢٤)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وقال في الصحيحة برقم (٩٧٧): وإسناده حسن، فإن يزيد -وهو ابن عبد الرحمن الأودي- هذا وثقه ابن حبان والعجلي، وروى عنه جماعة.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: حُسْنُ الْخُلُقِ مُخَالَقَةُ النَّاسِ بِالْجَمِيلِ وَالْبِشْرِ وَالتَّوَدُّدُ لَهُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهِمْ وَاحْتِمَالُهُمْ وَالْحِلْمُ عَنْهُمْ وَالصَّبْرُ عَلَيْهِمْ فِي الْمَكَارِهِ وَتَرْكُ الْكِبْرِ وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَيْهِمْ وَمُجَانَبَةُ الْغِلْظَةِ وَالْغَضَبِ وَالْمُؤَاخَذَةِ.

وَحَكَى فِيهِ خِلَافًا هَلْ هُوَ غَرِيزَةٌ أَوْ مُكْتَسَبٌ؟

قَالَ: وَالصَّحِيحُ أَنَّ مِنْهُ مَا هُوَ غَرِيزَةٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مُكْتَسَبٌ بِالتَّخَلُّقِ وَالِاقْتِدَاءِ بِغَيْرِهِ.

وَقَالَ الشَّرِيفُ فِي التَّعْرِيفَاتِ: قِيلَ حُسْنُ الْخُلُقِ هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْمَحْمُودَةُ بِسُهُولَةٍ وَتَيَسُّرٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى إِعْمَالِ فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ. اهـ

قِيلَ وَيَجْمَعُ حُسْنَ الْخُلُقِ قَوْلُهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «طَلَاقَةُ الْوَجْهِ وَكَفُّ الْأَذَى وَبَذْلُ الْمَعْرُوفِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ» .

وقوله: «وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِك وَكَرِهْت أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ»:

أَيْ تَحَرَّكَ الْخَاطِرُ فِي صَدْرِك وَتَرَدَّدْت هَلْ تَفْعَلُهُ لِكَوْنِهِ لَا لَوْمَ فِيهِ أَوْ تَتْرُكُهُ خَشْيَةَ اللُّوَّمِ عَلَيْهِ مِنْ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمِنْ النَّاسِ لَوْ فَعَلْته؟

فَلَمْ يَنْشَرِحْ بِهِ الصَّدْرُ وَلَا حَصَلْت الطُّمَأْنِينَةُ بِفِعْلِهِ خَوْفَ كَوْنِهِ ذَنْبًا.

وَيُفْهَمُ مِنْهُ: أَنَّهُ يَنْبَغِي تَرْكُ مَا تُرُدِّدَ فِي إبَاحَتِهِ.




وَفِي مَعْنَاهُ حَدِيثُ: «دَعْ مَا يَرِيبُك إِلَّا مَا لَا يَرِيبُك»[1] أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ -رضي الله عنهما-.

وفيه: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكًا لِمَا لَا يَحِلُّ فِعْلُهُ وَزَاجِرًا عَنْ فِعْلِهِ. اهـ

****

---

(1) الحديث لم يخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، وقد جاء عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم: الحسن بن علي، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم. والحديث صححه في الإرواء الإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٢) وقال فيه: أما حديث الحسن: فأخرجه النسائي (٢/٢٣٤) والترمذي (٢/٨٤) والحاكم (٤/٩٩) والطيالسي (١١٧٨) وأحمد (١/٢٠٠) وأبو نعيم في " الحلية " (٨/٢٦٤) وزادوا جميعا إلا النسائي " فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة ". وإسناده صحيح، وسكت عليه الحاكم. وقال الذهبي: "قلت: سنده قوى".

[بيان أنه لا يتناجى اثنين دون الثالث]

١٤٥٥ – (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ – صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ»[١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان النهي عن تناجي اثنين دون الثالث لعلة إدخال الحزن عليه.

وهذا حسن خلق رفيع تراعي فيه المشاعر، وأهمية إدخال السرور على المسلمين

والنهي هنا للتحريم؛ لأنه الأصل في النهي، ولا صارف يصرفه إلى الكراهة.

ولأن أذية المسلم محرمة، فلا يحوز للمسلم أن يؤذي أخاه، أو يتسبب في حزنه، وأذيته.

يقول الله عز وجل : {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}.

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٩٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٨٤)، وليس عند مسلم لفظ «ذلك».

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[(١)].

والمناجاة: هي المحادثة على السرار، أي بصوت خافت لا يسمعه إلا من كان بجانبه .

قوله: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً».

خرج بهذا القيد: ما إذا كانوا اثنين، أو أكثر من ثلاثة، فلا يشملهم الحكم.

قوله: «فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ».

أي لا بد من إقبال بعضهم على البعض، والتحدث فيما بينهم جميعًا، وهذا إذا كانوا ثلاثة .

قوله: «حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ».

[(١)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٤).

والعلة في ذلك قوله من أجل أن ذلك يحزنه، أي يدخل عليه الحزن، ويؤدي إلى إساءة الظن.

ولا سيما إذا كانوا في مفازة، ربما ظن أنهم يتآمرون على قتله، أو ضربه.

أو أخذ ماله؛ فيبقى منهم على تخوف، وحذر شديد.

وفيه: سد ذرائع الشر، والحفاظ على الأخوة.

قوله: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ».

وَعَلَّلَهُ بِقَوْلِهِ: (مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ) مِنْ أَحْزَنَ يُحْزِنُ مِثْلُ أَخْرَجَ يُخْرِجُ.

أَوْ مِنْ حَزَنَ يَحْزُنُ بِضَمِّ الزَّايِ.

أفاده الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل.

فهذه هي العلة من النهي عن تناجي الاثنين دون الثالث؛ إن لم يكن غيرهم .

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦١٦):

فِيهِ النَّهْيُ عَنْ تَنَاجِي الِاثْنَيْنِ إذَا كَانَ مَعَهُمَا ثَالِثٌ.

إلَّا إذَا كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةٍ لِانْتِفَاءِ الْعِلَّةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا وَهِيَ أَنَّهُ يُحْزِنُهُ انْفِرَادُهُ.

وَإِيهَامُ أَنَّهُ مِمَّنْ لَا يُؤْهَلُ لِلسِّرِّ، أَوْ يُوهِمُهُ أَنَّ الْخَوْضَ مِنْ أَجْلِهِ.

وَدَلَّتْ الْعِلَّةُ عَلَى أَنَّهُمْ إذَا كَانُوا أَرْبَعَةً فَلَا نَهْيَ عَنْ انْفِرَادِ اثْنَيْنِ بِالْمُنَاجَاةِ لِفَقْدِ الْعِلَّةِ.

وَظَاهِرُهُ عَامٌّ لِجَمِيعِ الْأَحْوَالِ فِي سَفَرٍ أَوْ حَضَرٍ:

وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ عُمَرَ وَمَالِكٌ وَجَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ.

وَادَّعَى بَعْضُهُمْ نَسْخَهُ، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْآيَاتُ فِي سُورَةِ الْمُجَادَلَةِ فَهِيَ فِي نَهْيِ الْيَهُودِ عَنْ التَّنَاجِي.

كَمَا أَخْرَجَهُ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ: عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْله تَعَالَى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} [المجادلة: ٨] قَالَ: "الْيَهُودُ".

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ: عَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: «كَانَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَبَيْنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُوَادَعَةٌ. فَكَانُوا إذَا مَرَّ بِهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - جَلَسُوا يَتَنَاجَوْنَ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَظُنَّ الْمُؤْمِنُ أَنَّهُمْ يَتَنَاجَوْنَ بِقَتْلِهِ أَوْ بِمَا يَكْرَهُ الْمُؤْمِنُ فَإِذَا رَأَى الْمُؤْمِنُ ذَلِكَ خَشِيَهُمْ فَتَرَكَ طَرِيقَهُ عَلَيْهِمْ.فَنَهَاهُمْ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ النَّجْوَى فَلَمْ يَنْتَهُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى} [المجادلة: ٨]».

****

[بيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه]

١٤٥٦ – (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «لَا يُقِيمُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا، وَتَوَسَّعُوا» [1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان النهي عن إقامة الرجل لأخيه من مجلسه الذي سبق إليه.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦١٦-٦١٧):

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ: "لَا يُقِيمَنَّ": بِصِيغَةِ النَّهْيِ مُؤَكَّدًا فَلَفْظُ الْخَبَرِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي أَتَى بِهِ الْمُصَنِّفُ فِي مَعْنَى النَّهْيِ، وَظَاهِرُهُ التَّحْرِيمُ.

فَمَنْ سَبَقَ إلَى مَوْضِعٍ مُبَاحٍ مِنْ مَسْجِدٍ أَوْ غَيْرِهِ لِصَلَاةٍ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الطَّاعَاتِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ، وَيَحْرُمُ عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْهُ.

إلَّا أَنَّهُ قَدْ أَفَادَ حَدِيثُ: «مَنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ رَجَعَ إلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٧٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٧٧) (٢٨) واللفظ لمسلم.

أَنَّهُ إِذَا كَانَ قَدْ سَبَقَ فِيهِ حَقٌّ لِأَحَدٍ بِقُعُودِهِ فِيهِ مِنْ مُصَلٍّ أَوْ غَيْرِهِ ثُمَّ فَارَقَهُ لِأَيِّ حَاجَةٍ ثُمَّ عَادَ وَقَدْ قَعَدَ فِيهِ أَحَدٌ أَنَّ لَهُ أَنْ يُقِيمَهُ مِنْهُ.

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ الشَّافِعِيَّةُ وَقَالُوا: لَا فَرْقَ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ أَنْ يَقُومَ وَيَتْرُكَ فِيهِ سَجَّادَةً، أَوْ نَحْوَهَا، أَوْ لَا، فَإِنَّهُ أَحَقُّ بِهِ.

قَالُوا: وَإِنَّمَا يَكُونُ أَحَقُّ بِهِ فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ وَحْدَهَا دُونَ غَيْرِهَا.

وَالْحَدِيثُ يَشْمَلُ مَنْ قَعَدَ فِي مَوْضِعٍ مَخْصُوصٍ لِتِجَارَةٍ أَوْ حِرْفَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا.

قَالُوا: وَكَذَلِكَ مَنْ اعْتَادَ فِي الْمَسْجِدِ مَحَلًّا يُدَرِّسُ فِيهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ.

قَالَ الْغَزَالِيُّ: إِلَى الْأَبَدِ مَا لَمْ يُضْرِبْ.

وَأَمَّا إِذَا قَامَ الْقَاعِدُ مِنْ مَحَلِّهِ لِغَيْرِهِ؛ فَظَاهِرُ الْحَدِيثِ جَوَازُهُ.

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-: "أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ لَهُ الرَّجُلُ مِنْ مَجْلِسِهِ لَا يَقْعُدُ فِيهِ".

وَحُمِلَ عَلَى أَنَّهُ تَرَكَهُ تَوَرُّعًا لِجَوَازِ أَنَّهُ قَامَ لَهُ حَيَاءً مِنْ غَيْرِ طِيبَةِ نَفْسٍ. اهـ

****

[بيان بعض آداب الأكل]

١٤٥٧ – (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا» [(١)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان أدب من آداب الطعام، وهو لعق الأصابع.

وبيانه أن لا يمسح الآكل يده حتى يلعقها بنفسه، أو يلعقها غيره؛ إن كان لا يحصل له التقزز والأذى من اللعق.

بيان الحكمة من لعق الطعام قبل غسل اليد:

ذكر أهل العلم أن الحكمة في ذلك طلب بركة الطعام تكون في هذا الطعام الذي في يده، فإذا لقعها وقعت البركة فيه.

والنهي للتنزيه.

قوله: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ، حَتَّى يَلْعَقَهَا».

أي يلعقها بنفسه.

[(١)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٤٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٣١)، وهو عند البخاري بدون لفظ: «طعاما» وفي رواية أخرى لمسلم: «من الطعام».






قوله: «أَوْ يُلْعِقَهَا».

أي غيره ممن لا يتقذر منه: كالزوجة، أو الابن، أو الخادم، وما أشبه ذلك.

والشاهد من الحديث: أن الإنسان يحافظ على النعمة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

وفيه: أنه ينبغي الحرص على طلب البركة، سواء كان ذلك بلعق يديه بعد الطعام.

أو بلعق الصحفة التي أكل فيها.

أو الأكل من جوانب الصحفة .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَأْكُلْ مِنْ أَعْلَى الصَّحْفَةِ، وَلَكِنْ لِيَأْكُلْ مِنْ أَسْفَلِهَا، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَاهَا»[1].

---

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٧٧٢)، وابن ماجه في سننه (٣٢٧٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وهو في الإرواء برقم (١٩٨٠/١)، وقال فيه: وقد أشار المنذري في (الترغيب) (٣ / ١١٩) إلى إعلاله بعطاء هذا يعني لأنه كان اختلط. وكأنه خفي عليه أنه عند أبى داود من رواية شعبة عن عطاء وقد سمع منه قبل الاختلاط، وكذلك رواه أحمد عن شعبة وعن سفيان أيضا وقد سمع منه قبل الاختلاط أيضا. فالحديث صحيح بلا ريب.

ولفظ الإمام ابن ماجه في سننه بذكر الوسط:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا وُضِعَ الطَّعَامُ، فَخُذُوا مِنْ حَافَتِهِ، وَذَرُوا وَسَطَهُ، فَإِنَّ الْبَرَكَةَ، تَنْزِلُ فِي وَسَطِهِ».

بيان حكم الأطعمة التي تكون جافة:

وأما الأطعمة الجافة التي لا يعلق بالأيدي منها شيء، فلا سبيل إلى لعق الأصابع .

بيان أن عادة النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل بثلاث أصابع:

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا» (1) .

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢-٦١٧-٦١٨) :

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ تَعْيِينِ غَسْلِ الْيَدِ مِنْ الطَّعَامِ، وَأَنَّهُ يُجْزِئُ مَسْحُهَا.

وفيه: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَجِبُ لَعْقُ الْيَدِ أَوْ إلْعَاقُهَا الْغَيْرَ.

وله شاهد من حديث عبد الله بن بسر وهو الآتي بعده برقم: (١٩٨١) – (وفى لفظ آخر: "كلوا من جوانبها ، ودعوا ذروتها ، يبارك فيها " رواهما ابن ماجه (٢/٢١١).

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٣٢).



وَعَلَّلَهُ فِي الْحَدِيثِ: «بِأَنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةَ».

كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمْ الْبَرَكَةَ»".

وَكَذَلِكَ أَمَرَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِالْتِقَاطِ اللُّقْمَةِ وَمَسْحِهَا وَأَكْلِهَا.

كَمَا فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ أَيْضًا بِلَفْظِ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ».

وَهَذِهِ الْأُمُورُ: مِنْ اللَّعْقِ وَالْإِلْعَاقِ وَلَعْقِ الصَّحْفَةِ وَأَكْلِ مَا يَسْقُطُ ظَاهِرُ الْأَوَامِرِ وُجُوبُهَا.

وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ حَزْمٍ، وَقَالَ: إِنَّهَا فَرْضٌ.

وَالْبَرَكَةُ: هِيَ النَّمَاءُ وَالزِّيَادَةُ وَثُبُوتُ الْخَيْرِ.

وَالْمُرَادُ هُنَا: مَا يَحْصُلُ بِهِ التَّغْذِيَةِ وَتَسْلَمُ عَاقِبَتُهُ مِنْ أَذًى وَيُقَوِّي عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَهَذِهِ الْبَرَكَةُ قَدْ تَكُونُ: فِي لَعْقِ يَدِهِ، أَوْ لَعْقِ الصَّحْفَةِ ،أَوْ أَكْلِ مَا يَسْقُطُ مِنْ لُقْمَةٍ؛ وَإِنْ كَانَ عَلَّلَ أَكْلَ السَّاقِطِ بِأَنَّهُ لَا يَدَعُهَا لِلشَّيْطَانِ.

وَالْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ يَدَهُ هُوَ أَصَابِعُ يَدِهِ الثَّلَاثُ: كَمَا وَرَدَ «أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كَانَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ وَلَا يَزِيدُ الرَّابِعَةَ وَالْخَامِسَةَ إِلَّا إِذَا احْتَاجَهَا»، بِأَنْ يَكُونَ الطَّعَامُ غَيْرَ مُشْتَدٍّ وَنَحْوَهُ.



وَقَدْ أَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: «أَنَّهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ إِذَا أَكَلَ أَكَلَ بِخَمْسٍ»، وَهُوَ مُرْسَلٌ.

وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِإِلْعَاقِ الْغَيْرِ أَصَابِعَهُ مِنْ زَوْجَةٍ، وَخَادِمٍ وَوَلَدٍ وَغَيْرِهِمْ.

فَإِنْ تَنَجَّسَتْ اللُّقْمَةُ السَّاقِطَةُ فَيُزِيلُ مَا فِيهَا مِنْ نَجَاسَةٍ إِنْ أَمْكَنَ، وَإِلَّا أَطْعَمَهَا حَيَوَانًا، وَلَا يَدَعهَا لِلشَّيْطَانِ.

كَمَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ بِنَاءً عَلَى جَوَازِ إِطْعَامِ الْمُتَنَجِّسِ، وَعَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْأَمَةِ فِعْلًا خَلْفًا عَنْ سَلَفٍ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ. اهـ

****

[بيان بعض آداب السلام]

١٤٥٨ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: [قَالَ] رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «لِيُسَلِّمِ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»[(١)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي»[(٢)]).

الشرح: *************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان بعض آداب السلام.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢-٦١٨-٦١٩):

وَظَاهِرُ الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: إنَّهُ لِلنَّدَبِ.

قَالَ: فَلَوْ تَرَكَ الْمَأْمُورُ بِالِابْتِدَاءِ فَبَدَأَ الْآخَرُ كَانَ الْمَأْمُورُ تَارِكًا لِلْمُسْتَحَبِّ وَالْآخَرُ فَاعِلًا لِلسُّنَّةِ.

(قُلْت) وَالْأَصْلُ فِي الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَكَأَنَّهُ صَرَفَهُ عَنْهُ الِاتِّفَاقُ عَلَى عَدَمِ وُجُوبِ الْبُدَاءَةِ بِالسَّلَامِ.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٣١ و ٦٢٣٤)، واللفظ الذي عزاه الحافظ للمتفق عليه إنما هو للبخاري، إذ ليس عند مسلم تسليم الصغير على الكبير، وانظر التعليق التالي.

(٢) هذا الرواية التي عزاها الحافظ لمسلم (٢١٦٠) هي –أيضا– للبخاري (٦٢٣٢ و ٦٢٣٣)، تمامه عنهما: «والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»، فكان الأجدر بالحافظ –رحمه الله– عزو الرواية الأولى للبخاري، والثانية للمتفق عليه.

وَالْحدِيثُ فِيهِ شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ السَّلَامِ مِنْ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: عَنْ الْمُهَلَّبِ: الْمَارِّينَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ فَسَقَطَتْ الْبُدَاءَةُ عَنْهُ لِلْمَشَقَّةِ عَلَيْهِ.

وفيه: شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ الْقَلِيلِ بِالسَّلَامِ عَلَى الْكَثِيرِ؛ وَذَلِكَ لِفَضِيلَةِ الْجَمَاعَةِ أَوْ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ وَلَوْ ابْتَدَءُوا لَخِيفَ عَلَى الْوَاحِدِ الزَّهْوُ فَاحْتِيطَ لَهُ.

فَلَوْ مَرَّ جَمْعٌ كَثِيرٌ عَلَى جَمْعٍ قَلِيلٍ أَوْ مَرَّ الْكَبِيرُ عَلَى الصَّغِيرِ؟

قَالَ الْمُصَنِّفُ: لَمْ أَرَ فِيهِ نَصًّا، وَاعْتَبَرَ النَّوَوِيُّ الْمُرُورَ.

فَقَالَ: الْوَارِدُ يَبْدَأُ سَوَاءً كَانَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

وَذَكَرَ الْمَاوَرْدِيُّ: أَنَّ مَنْ مَشَى فِي الشَّوَارِعِ الْمَطْرُوقَةِ كَالسُّوقِ أَنَّهُ لَا يُسَلِّمُ إلَّا عَلَى الْبَعْضِ لِأَنَّهُ لَوْ سَلَّمَ عَلَى كُلِّ مَنْ لَقِيَ لَتَشَاغَلَ بِهِ عَنْ الْمُهِمِّ الَّذِي خَرَجَ لِأَجْلِهِ؛ وَخَرَجَ بِهِ عَنْ الْعُرْفِ.

وفيه: شَرْعِيَّةُ ابْتِدَاءِ الرَّاكِبِ عَلَى الْمَاشِي، وَذَلِكَ؛ لِأَنَّ لِلرَّاكِبِ مَزِيَّةٌ عَلَى الْمَاشِي؛ فَعُوِّضَ الْمَاشِي بِأَنْ يَبْدَأَ الرَّاكِبُ بِالسَّلَامِ احْتِيَاطًا عَلَى الرَّاكِبِ، مِنْ الزَّهْوِ لَوْ حَازَ الْفَضِيلَتَيْنِ.

وَأَمَّا إذَا تَلَاقَى رَاكِبَانِ أَوْ مَاشِيَانِ:

فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا الْمَازِرِيُّ فَقَالَ: يَبْدَأُ الْأَدْنَى مِنْهُمَا عَلَى الْأَعْلَى قَدْرًا فِي الدِّينِ إجْلَالًا لِفَضْلِهِ؛ لِأَنَّ فَضِيلَةَ الدِّينِ مُرَغَّبٌ فِيهَا فِي الشَّرْعِ.




وَعَلَى هَذَا لَوْ الْتَقَى رَاكِبَانِ وَمَرْكُوبُ أَحَدِهِمَا أَعْلَى فِي الْجِنْسِ مِنْ مَرْكُوبِ الْآخَرِ كَالْجَمَلِ وَالْفَرَسِ فَيَبْدَأُ رَاكِبُ الْفَرَسِ، أَوْ يَكْتَفِي بِالنَّظَرِ إِلَى أَعْلَاهُمَا قَدْرًا فِي الدِّينِ. فَيَبْدَأُ الَّذِي هُوَ أَدْنَى الَّذِي هُوَ فَوْقَهُ.

وَالثَّانِي أَظْهَرُ كَمَا لَا يُنْظَرُ إِلَى مَنْ يَكُونُ أَعْلَاهُمَا قَدْرًا مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ سُلْطَانًا يُخْشَى مِنْهُ.

وَإِذَا تُسَاوَى الْمُتَلَاقِيَانِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ:

فَكُلٌّ مِنْهُمَا مَأْمُورٌ بِالِابْتِدَاءِ، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ الْمُتَهَاجِرَيْنِ.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ «الْمَاشِيَانِ إِذَا اجْتَمَعَا فَأَيُّهُمَا بَدَأَ بِالسَّلَامِ فَهُوَ أَفْضَلُ».

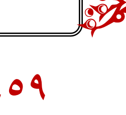
وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ: عَنْ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه-: "لَا يَسْبِقُك أَحَدٌ بِالسَّلَامِ".

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- مَرْفُوعًا: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاَللَّهِ مَنْ بَدَأَ بِالسَّلَامِ»، وَقَالَ: حَسَنٌ.

وَالطَّبَرَانِيُّ فِي حَدِيثِ: «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَلْتَقِي فَأَيُّنَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ قَالَ أَطْوَعُكُمْ لِلَّهِ تَعَالَى».

****





١٤٥٩ – (وَعَنْ عَلِيٍّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «يُجْزِئُ عَنِ الْجَمَاعَةِ إِذَا مَرُّوا أَنْ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمْ، وَيُجْزِئُ عَنِ الْجَمَاعَةِ أَنْ يَرُدَّ أَحَدُهُمْ»[1]. رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَيْهَقِيُّ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أدب من آداب السلام.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢-٦١٩-٦٢٠):

فيه: أَنَّهُ يُجْزِئُ تَسْلِيمُ الْوَاحِدِ عَنْ الْجَمَاعَةِ ابْتِدَاءً وَرَادًّا.

قَالَ النَّوَوِيُّ: يُسْتَثْنَى مِنْ عُمُومِ ابْتِدَاءِ السَّلَامِ مَنْ كَانَ يَأْكُلُ، أَوْ يَشْرَبُ، أَوْ يُجَامِعُ، أَوْ كَانَ فِي الْخَلَاءِ، أَوْ فِي الْحَمَّامِ، أَوْ نَائِمًا، أَوْ نَاعِسًا، أَوْ مُصَلِّيًا، أَوْ مُؤَذِّنًا، مَا دَامَ مُتَلَبِّسًا بِشَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ، إلَّا أَنَّ السَّلَامَ عَلَى مَنْ كَانَ فِي الْحَمَّامِ إنَّمَا كُرِهَ إذَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ إزَارٌ وَإِلَّا فَلَا كَرَاهَةَ.

بيان حكم السَّلَامُ حَالَ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ:

---

[1] الحديث حسن بشواهده. رواه أبو داود (٥٢١٠)، والبيهقي (٩/ ٤٩)، وفي إسناده سعيد بن خالد الخزاعي وهو ضعيف. وله شاهد من مراسيل زيد بن أسلم، أخرجه مالك في الموطأ، وله شاهد من حديث الحسن بن علي عند الطبراني، وفيه عمر بن حفص الرقاشي، وهو صدوق. والحديث يحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء برقم (٧٧٨)، وقال: ولعل الحديث بهذه الطرق يتقوى فيصير حسنا، بل هذا هو الظاهر والله أعلم. وصححه في صحيح وضعيف أبي داود.



وَأَمَّا السَّلَامُ حَالَ الْخُطْبَةِ فِي الْجُمُعَةِ فَيُكْرَهُ لِلْأَمْرِ بِالْإِنْصَاتِ، فَلَوْ سَلَّمَ لَمْ يَجِبْ الرَّدُّ عَلَيْهِ عِنْدَ مَنْ قَالَ الْإِنْصَاتُ وَاجِبٌ.

وَيَجِبُ عِنْدَ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ سُنَّةٌ.

وَعَلَى الْوَجْهَيْنِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَرُدَّ أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ.

بيان حكم السَّلَامُ عَلَى الْمُشْتَغِلِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ:

وَأَمَّا الْمُشْتَغِلُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: الْأَوْلَى تَرْكُ السَّلَامِ عَلَيْهِ فَإِنْ سَلَّمَ كَفَاهُ الرَّدُّ بِالْإِشَارَةِ.

وَإِنْ رَدَّ لَفْظًا اسْتَأْنَفَ الِاسْتِعَاذَةَ وَقَرَأَ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ نَظَرٌ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يُشْرَعُ السَّلَامُ عَلَيْهِ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الرَّدُّ. اهـ

بيان حكم سَلَامُ مَنْ دَخَلَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ:

وَيُنْدَبُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ دَخَلَ بَيْتًا لَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [النور: ٦١] الْآيَةَ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ وَابْنُ شَيْبَةَ: بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - «يُسْتَحَبُّ إذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ». وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- نَحْوَهُ.

بيان حكم المار إذا ظن أن القاعد لن يرد عليه السلام:

فَإِنْ ظَنَّ الْمَارُّ أَنَّهُ إذَا سَلَّمَ عَلَى الْقَاعِدِ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يَتْرُكُ ظَنَّهُ وَيُسَلِّمُ فَلَعَلَّ ظَنَّهُ يُخْطِئُ.

فَإِنَّهُ إنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ سَلَامَهُ رَدَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ. كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ: لَا يُسَلِّمُ عَلَى مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ سَبَبًا لِتَأْثِيمِ الْآخَرِ فَهُوَ كَلَامٌ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ الْمَأْمُورَاتِ الشَّرْعِيَّةَ لَا تُتْرَكُ بِمِثْلِ هَذَا، ذَكَرَ مَعْنَاهُ النَّوَوِيُّ.

وَقَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ تَوَرُّطَ الْمُسْلِمِ فِي الْمَعْصِيَةِ أَشَدُّ مِنْ مَصْلَحَةِ السَّلَامِ عَلَيْهِ، وَامْتِثَالَ حَدِيثِ الْأَمْرِ بِالْإِفْشَاءِ يَحْصُلُ مَعَ غَيْرِ هَذَا.

فَإِنْ قِيلَ هَلْ يَحْسُنُ أَنْ نَقُولَ: " رُدَّ السَّلَامَ فَإِنَّهُ وَاجِبٌ "، قِيلَ نَعَمْ فَإِنَّهُ مِنْ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ.

فَيَجِبُ؛ فَإِنْ لَمْ يَجِبْ، حَسُنَ أَنْ يُحَلِّلَهُ مِنْ حَقِّ الرَّدِّ. اهـ

****

[بيان تحريم بدء اليهود والنصارى بالسلام]

١٤٦٠ – (وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ – صلى الله عليه وسلم: «لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقَيْتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح:********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم بدء أهل الذمة: من اليهود ومن النصارى بالسلام.

وذلك لإظهار قوة الإسلام .

وحديث الباب يدل على تحريم بدء أهل الذمة من اليهود، ومن النصارى بالسلام؛ لأنهم غير مستحقين له.

ولكن لو بدأوا هم بالسلام فيرد عليه بقوله: "وعليكم".

دون أي زيادة؛ لأنهم ربما قصدوا الدعاء وسب المسلم، كما كانت اليهود تفعل مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويقولون: السام عليكم والسام الموت.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٧). وقوله: «عنه» لا شك أن المراد به «علي بن أبي طالب رضي الله عنه» وذلك حسب ما يقتضيه السياق، وهو خطأ؛ لأن الحديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه رضي الله عنه، وليس حديث علي، كما أن الأحاديث التالية تدل على صحة ذلك؛ إذا هي من رواية أبي هريرة –رضي الله عنه.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى جواز بدء أهل الذمة بالسلام؛ لعموم أدلة السلام والذي يظهر أن العموم خاص في حق المسلم، وحديث الباب يدل على عدم بدئهم بالسلام.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(١)].

وفي مسند الإمام البزار رحمه الله تعالى:

من حديث عَمَّارٍ بن ياسر رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ»[(٢)].

ثم قال رحمه الله تعالى: وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صِلَةَ، عَنْ عَمَّارٍ مَوْقُوفًا.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٤).

(١) أخرجه الإمام البزار في مسنده مرفوعًا (١٣٩٦)، وعلقه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه من قول عمار بن ياسر رضي الله عنه موقوفًا عليه (١/١٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم (٣٠٤٤٠) موقوفًا على عمار رضي الله عنهما، وصحح الإمام الألباني رحمه الله تعالى وقفه على عمار بن ياسر رضي الله عنه كما في تحقيق الإيمان لابن تيمية (ص٩٣)، وفي تخريج الكلم الطيب برقم (١٩٧).


وفي الصحيحين:

من حديث عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[١].

قوله: «وَعَنْهُ».

أي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ».

اليهود: هم أتباع موسى عليه السلام، ولكنهم قد حرفوا وبدلوا التوراة التي أنزلها الله عز وجل على نبيه موسى عليه السلام.

ولم يؤمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهم من أهل النار الخالدين فيها أبدًا وقد وقعوا في الشرك الأكبر المخلد لأهله في نار جهنم.

يقول الله عز وجل : {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهَّ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهَّ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهَّ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

---

[٢] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٩).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[1].

قوله: «وَالنَّصَارَى».

النصارى: هم أتباع عيسى عليه السلام، وقد حرفوا وبدلوا.

حتى أصبحت الأناجيل ثمانية وسبعين إنجيلًا.

وهم من أهل النار الخالدين فيها أبدًا؛ لأنهم كفروا بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقد وقعوا في الشرك وانقسموا في عيسى عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم قالوا بأن عيسى بن مريم عليه السلام هو الله عز وجل.

الثاني: قسم قالوا بأن عيسى عليه السلام هو ابن الله عز وجل.

الثالث: قسم قالوا بأن عيسى عليه السلام إله ثالث، مع الله عز وجل، ومع روح القدس الذي هو أمه مريم الصديقة.

فجعلوا الآلة ثلاثة: الله عز وجل، وعيسى، ومريم.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٣).

قاتلهم الله عز وجل أنا يؤفكون.

يقول الله عز وجل ردًا عليهم في زعمهم الباطل: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}.

لهذا فلا يقال في حق اليهود والنصارى بأنهم أصحاب ديانة سماوية كما يقوله البعض من جهلة المسلمين.

فالتوراة المنزلة على موسى عليه السلام، والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، قد حصل لهما التحريف، والتدبيل، من قبل اليهود والنصارى.

وما فيهما من الحق قد نسخ بالقرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

إضافة إلى ما فيهم من الكفر، والشرك بالله عز وجل، في اعتقادهم في عزير، وفي عيسى عليه السلام.

وإضافة إلى ذلك كفرهم بنبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

كل هذا يجعلهم من أهل النار خالدين فيها أبدًا.

ولهذا يقول الله عز وجل : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}، وغيرها من الآيات .

فالواجب على كل من أدرك زمن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يؤمن به؛ وبقاؤه على دينه السابق كفر بمحمد ﷺ .

بيان أقسام أمة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

وتنقسم أمة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى قسمين:

الأول: أمة الإجابة.

وهي من آمن بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبما أنزل إليه.

الثاني: أمة الدعوة.

وهم من بلغتهم دعوة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يؤمن به، وكفروا برسالته، ونبوته، ومنهم: اليهود، والنصارى، والمجوس، وسائر الكفار والمشركين، حتى الملحدين بالله عز وجل.

وقد لعن اليهود والنصارى على ألسنة أنبيائهم عليهم السلام.

يقول الله عز وجل : {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ

مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}.

قوله: «بِالسَّلَامِ».

فلا يجوز بدء اليهود، والنصارى بالسلام.

سواء كانوا من أهل الذمة، والمعاهدين، أو كان المسلم يعيش في بلادهم.

وإذا خشي على نفسه منهم، له أن يسلم عليهم بتحيتهم المعروفة بلغتهم؛ حتى يدفع الشر، والأذى عن نفسه.

قوله: «وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ».

وهذا يكون في حال قوة أهل الإسلام، وعزته.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٢١):

ذَهَبَ الْأَكْثَرُ إلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ابْتِدَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ. وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، إذْ أَصْلُ النَّهْيِ التَّحْرِيمُ.

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ يَجُوزُ الِابْتِدَاءُ لَهُمْ بِالسَّلَامِ.

وَلَكِنْ يَقْتَصِرُ عَلَى قَوْلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

وَرَوَى ذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– وَغَيْرُهُ.

حَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ جَمَاعَةٍ جَوَازَ ذَلِكَ لَكِنْ لِلضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ.

وَبِهِ قَالَ عَلْقَمَةُ وَالْأَوْزَاعِيُّ.

وَمَنْ قَالَ: لَا يَجُوزُ.

يَقُولُ: إِنْ سَلَّمَ عَلَى ذِمِّيٍّ ظَنَّهُ مُسْلِمًا ثُمَّ بَانَ لَهُ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ لَهُ: رُدَّ عَلَيَّ سَلَامِي.

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه- أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ أَنْ يُوحِشَهُ وَيُظْهِرَ لَهُ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمَا أُلْفَةٌ.

وَعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ لَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَسْتَرِدَّهُ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ.

فَإِنْ ابْتَدَأَ الذِّمِّيُّ مُسْلِمًا بِالسَّلَامِ:

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- مَرْفُوعًا: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ».

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ الْيَهُودُ فَإِنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ السَّامُ عَلَيْك فَقُلْ وَعَلَيْك».

وَإِلَى هَذِهِ الرِّوَايَةِ بِإِثْبَاتِ الْوَاوِ ذَهَبَ طَائِفَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ.

وَاخْتَارَ بَعْضُهُمْ حَذْفَ الْوَاوِ لِئَلَّا يَقْتَضِيَ التَّشْرِيكَ، وَقَدْ قَدَّمْنَا ذَلِكَ وَمَا ثَبَتَ بِهِ النَّصُّ أَوْلَى بِالِاتِّبَاعِ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: عَامَّةُ الْمُحَدِّثِينَ يَرْوُونَ هَذَا الْحَرْفَ وَعَلَيْكُمْ بِالْوَاوِ، وَكَانَ ابْنُ عُيَيْنَةَ يَرْوِيهِ بِغَيْرِ الْوَاوِ.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ.

(قُلْت): وَحَيْثُ ثَبَتَتْ الرِّوَايَةُ بِالْوَاوِ وَغَيْرِهَا فَالْوَجْهَانِ جَائِزَانِ.

وَفِي قَوْلِهِ: "فَقُولُوا وَعَلَيْك وَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ": مَا يَدُلُّ عَلَى إيجَابِ الْجَوَابِ عَلَيْهِمْ فِي السَّلَامِ.

وَإِلَيْهِ ذَهَبَ عَامَّةُ الْعُلَمَاءِ.

وَيُرْوَى عَنْ آخَرِينَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ.

وَالْحَدِيثُ يَدْفَعُ مَا قَالُوهُ.

وَفِي قَوْلِهِ: "فَاضْطَرُّوهُمْ إلَى أَضْيَقِهِ": دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ رَدِّهِمْ عَنْ وَسَطِ الطُّرُقَاتِ إلَى أَضْيَقِهَا وَتَقَدَّمَ فِيهِ الْكَلَامُ. اهـ

****

[بيان بعض آداب العطاس]

١٤٦١ – (- أي عن أبي هريرة رضي الله عنه- وَعَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ»[١]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان بعض آداب العطاس.

وإذا عطس في الأولى فحمد الله عز وجل؛ فإنه يشمت، ويقال له: يرحمك الله كما في حديث الباب .

وفي صحيح الإمام مسلم: من طريق أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي مُوسَى -رضي الله عنه- وَهُوَ فِي بَيْتِ بِنْتِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، فَعَطَسْتُ فَلَمْ يُشَمِّتْنِي، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى أُمِّي فَأَخْبَرْتُهَا، فَلَمَّا جَاءَهَا قَالَتْ: عَطَسَ عِنْدَكَ ابْنِي فَلَمْ تُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ فَشَمَّتَّهَا، فَقَالَ: إِنَّ ابْنَكِ عَطَسَ، فَلَمْ يَحْمَدِ اللهَ، فَلَمْ أُشَمِّتْهُ، وَعَطَسَتْ، فَحَمِدَتِ اللهَ فَشَمَّتُّهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٢٤).

اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ، فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ، فَلَا تُشَمِّتُوهُ»[1]، ولغيره من الأدلة.

وإذا عطس الثانية والثالثة، يشمت، إن حمد الله .

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُشَمَّتُ الْعَاطِسُ ثَلَاثًا، فَمَا زَادَ فَهُوَ مَزْكُومٌ»[2] .

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه لا يشمت إلا في الأولى .

واستدلوا بما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ، -رضي الله عنه- حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَطَسَ رَجُلٌ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: «يَرْحَمُكَ اللهُ» ثُمَّ عَطَسَ أُخْرَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّجُلُ مَزْكُومٌ»[3] .

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩٢).

[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٧١٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه. وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه ابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٢٥١)، وابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٢ / ٣٩١ / ٢)، بلفظ: " إذا عطس أحدكم فليشمته جليسه، فإن زاد على ثلاث فهو مزكوم، ولا يشمت بعد ذلك ". وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٣٣٠). وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع برقم (٦٨٤): صحيح.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩٣).

قوله: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ».

أي من المسلمين: سواء كانوا من الرجال، أو النساء، من الكبار، والصغار.

قوله: «فَلْيَقُلْ: الْحَمْدُ للهِ».

الأصل في الأمر الوجوب، ولكنه هنا للإرشاد، فالصحيح حمد العاطس: من المستحبات، وليس من الواجبات.

قوله: «وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللهُ».

وهذا على الوجوب، لكل من سمعه .

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ، فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ: فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ» (١).

قوله: «فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٢٣).

وفي الصحيحين: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «عَطَسَ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «هَذَا حَمِدَ اللَّهَ، وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ»[1].

بيان حكم من عطس ولم يحمد الله:

وفي الحديث أن من عطس ولم يحمد الله، أنه لا يشمت.

وهل يذكر من عطس ولم يحمد الله؟

الذي يظهر أنه لا يلزم أن يذكر لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يذكره.

وإن ذكره، فمن باب التعاون على البر والتقوى.

واستدل العلماء بهذا الحديث الذي في الباب على فضيلة العطاس.

وأنه سبب لإزالة كثير من الجراثيم التي تخرج مع الرذاذ وقت العطاس وإذا كتم الإنسان العطاس ربما أصيب بجلطة.

وفيه: أن حال المسلم كله على خير فالعاطس يحمد الله عز وجل على أن سلمه من هذا المرض.

وأخوه الذي سمعه يقول له: يرحمك الله.

---

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٢١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٩١).

فيدعو له بالرحمة، والسلامة من الأمراض والأسقام، وبمغفرة الذنوب، وستر العيوب وهو يرد عليه، بقوله: «يهديكم الله ويصلح بالكم».

قوله: «يهديكم الله»:

أي يدعو له بالهداية إلى كل خير، وأن يجنبه الله كل شر وضير وضرر.

قوله: «ويصلح بالكم»:

أي يصلح لكم الحال الذي أنتم عليه.

****

[بيان النهي عن الشرب قائماً]

١٤٦٢ – (وَعَنْهُ- أي أبي هريرة رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان بعض آداب الشرب، ومنها: النهي عن الشرب قائمًا.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبَي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ».

والحديث ضعفه بعض أهل العلم؛ ففي إسناده عمر بن حمزة ضعيف.

ففي صحيح مسلم: من حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا»، قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْنَا فَالْأَكْلُ، فَقَالَ: «ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أَخْبَثُ»[2].

وفي صحيح مسلم: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه-: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا»[1].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٤).

بيان حكم الشرب جالسًا:

قوله: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا».

المستحب الشرب جالسًا، فقد صرف نهي النبي ﷺ بفعله .

ففي صحيح مسلم: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرِبَ مِنْ زَمْزَمَ مِنْ دَلْوٍ مِنْهَا وَهُوَ قَائِمٌ»[٢] .

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث كَبْشَةَ -رضي الله عنها-قَالَتْ: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ»[٣] .

وفعلت ذلك تبتغي بركة النبي ﷺ كما جاء ذلك مصرحًا به في سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى: من حديث كَبْشَةُ الْأَنْصَارِيَّةُ-رضي الله عنها-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَخَلَ عَلَيْهَا، وَعِنْدَهَا قِرْبَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَشَرِبَ مِنْهَا، وَهُوَ قَائِمٌ، فَقَطَعَتْ فَمَ الْقِرْبَةِ تَبْتَغِي بَرَكَةَ، مَوْضِعِ فِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٤] .

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بالفظين (٢٠٢٥).

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٧).

[٢] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٨٩٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

[١] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٤٢٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه رحمه الله تعالى.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن النهي عن الشرب قائمًا للتحريم.

وما جاء في حديث ابن عباس، وكبشة رضي الله عنهم، محمول على الحاجة .

وَلِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ رحمه الله تعالى:

إِذَا رُمْتَ تَشْرَبُ فَاقْعُدْ تَفُزْ ... بِسُنَّةِ صَفْوَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ

وَقَدْ صَحَّحُوا شُرْبَهُ قَائِمًا ... وَلَكِنَّهُ لِبَيَانِ الْجَوَازِ

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- قَالَ: «كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ»[1] .

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٢٢) :

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٨٨٠)، وابن ماجه في سننه (٣٣٠١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وكان في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى ثم تراجع عنه في أحاديث معلة ظاهرها الصحة برقم (٢٧٢)، وقال فيه: هذا حديث ظاهره الحسن. وأخرجه الدارمي (٢١٢٦) وابن حبان (٥٣٢٢، ٥٣٢٥) وابن أبي شيبة (٢٤١٠٨) والطحاوي في "شرح معاني الآثار" وأحمد (٥٨٧٤) وابنه في "الزوائد" بنفس الرقم، والخطيب في "التاريخ" (ج٨ص١٩٥-١٩٦) ... ومن خلال الطرق يثبت أن مدار هذا الحديث على حفص بن غياث، وهذا إسناده ظاهره الصحة إلا أنه معل بعلة خفية عجيبة، فقد جاء في "علل الترمذي الكبير" (ج٢ص٧٩١) قال الترمذي رحمه الله: ما جاء في الرخصة في الشرب قائماً حدثنا أبو السائب حدثنا حفص بن غياث.. فذكر الحديث فسألت محمداً عن هذا الحديث فقال هذا حديث فيه نظر.

وَتَمَامُهُ: "فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ": مِنْ الْقَيْءِ.

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: «أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَأَى رَجُلًا يَشْرَبُ قَائِمًا فَقَالَ: مَهْ قَالَ لِمَهْ؟ فَقَالَ أَيَسُرُّك أَنْ يَشْرَبَ مَعَك الْهِرُّ؟ قَالَ لَا. قَالَ قَدْ شَرِبَ مَعَك مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ الشَّيْطَانُ»، وَفِيهِ رَاوٍ لَا يُعْرَفُ وَوَثَّقَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ.

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الشُّرْبِ قَائِمًا؛ لِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي النَّهْيِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ ابْنُ حَزْمٍ.

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إلَى أَنَّهُ خِلَافُ الْأَوْلَى.

وَآخَرُونَ إلَى أَنَّهُ مَكْرُوهٌ، كَأَنَّهُمْ صَرَفُوهُ عَنْ ذَلِكَ.

لِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما-: «سَقَيْت رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ زَمْزَمَ فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ».

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - شَرِبَ قَائِمًا، وَقَالَ: «رَأَيْت رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَعَلَ كَمَا رَأَيْتُمُونِي فَعَلْت».

فَيَكُونُ فِعْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيَانًا لِكَوْنِ النَّهْيِ لَيْسَ لِلتَّحْرِيمِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «فَلْيَسْتَقِئْ»: فَإِنَّهُ نُقِلَ اتِّفَاقُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى مَنْ شَرِبَ قَائِمًا أَنْ يَسْتَقْيِئَ، وَكَأَنَّهُمْ حَمَلُوا الْأَمْرَ أَيْضًا عَلَى النَّدْبِ. اهـ

****

[بيان بعض آداب اللبس]

١٤٦٣ – (وَعَنْهُ –أي أبي هريرة رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، وَلْتَكُنْ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ»[(١)]).

١٤٦٤ – (وَعَنْهُ أي –أبي هريرة رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا»[(٢)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمَا).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان بعض آداب اللبس.

ومنها: لبس النعال، وخلعهما.

بيان حكم البدء باليمين في التنعل، وبالشمال عند خلع النعال:

وحديث الباب يدل على استحباب البدء باليمين عند لبس النعال، وبالبدء بالشمال عند خلعهما.

والأمر في الحديث للإرشاد.

وذلك لإكرام اليمين في اللبس، والخلع؛ لما لها من الفضل، والتقديم.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٨٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٩٧)، واللفظ للبخاري.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٨٥٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٩٧) (٦٨).





وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحب التيمن.

وفي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»[1].

قوله: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمِينِ».

على سبيل الاستحباب، كما تقدم بيان ذلك.

قوله: «وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، وَلْتَكُنْ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ».

وهذا فيه بيان لشرف اليمين من حيث اللبس، والنزع.

وقد تكلمنا على أحكام اليمين في شرحنا على عمدة الأحكام، على حديث أبي قتادة رضي الله عنه: «لا يمسكن أحدكم ذكره بيمنه وهو يبول...» وهو متفق عليه.

وكذلك في كتاب الطهارة من بشرحنا على بلوغ المرام، بما يغني عن الإعادة.

بيان أن المنتعل كالراكب:

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٦٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨).

من حديث جَابِرٍ بن عبد الله -رضي الله عنهما-، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي غَزْوَةٍ غَزَوْنَاهَا: «اسْتَكْثِرُوا مِنَ النِّعَالِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ»[1].

بيان أن من لبس الخف ونحوه يلبسه وهو جالس:

لما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْتَعِلَ الرَّجُلُ وَهُوَ قَائِمٌ»[2].

فهذا قد يؤدي إلى سقوط .

وهذا الحكم في الخفاف وما يقوم مقامها من الجوارب، والنعالات الضيقة التي تحتاج إلى استخدام الأيدي في اللبس، ويشق لبسها للقائم.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٢٢-٦٢٣):

ظَاهِرُ الْأَمْرِ الْوُجُوبُ، وَلَكِنَّهُ ادَّعَى الْقَاضِي عِيَاضٌ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهُ لِلِاسْتِحْبَابِ.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: الْبُدَاءَةُ بِالْيَمِينِ مَشْرُوعَةٌ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِفَضْلِ الْيَمِينِ حِسًّا فِي الْقُوَّةِ، وَشَرْعًا فِي النَّدْبِ فِي تَقْدِيمِهَا.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٩٦).

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٧٧٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

قَالَ الْحُلِيمِيُّ: إِنَّمَا يَبْدَأُ بِالشِّمَالِ عِنْدَ الْخَلْعِ؛ لِأَنَّ اللُّبْسَ كَرَامَةٌ؛ لِأَنَّهُ وِقَايَةٌ لِلْبَدَنِ فَلَمَّا كَانَتْ الْيَمِينُ أَكْرَمَ مِنْ الْيُسْرَى بُدِئَ بِهَا فِي اللُّبْسِ، وَأُخِّرَتْ فِي النَّزْعِ لِتَكُونَ الْكَرَامَةُ لَهَا أَدْوَمَ وَحِصَّتُهَا مِنْهَا أَكْثَرَ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: مَنْ بَدَأَ فِي الِانْتِعَالِ بِالْيُسْرَى أَسَاءَ لِمُخَالَفَةِ السُّنَّةِ وَلَكِنْ لَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ لُبْسُ نَعْلَيْهِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: يَنْبَغِي أَنْ تُنْزَعَ النَّعْلُ مِنْ الْيُسْرَى وَيُبْدَأُ بِالْيَمِينِ، وَلَعَلَّ ابْنَ عَبْدِ الْبَرِّ يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يُشْرَعُ لَهُ الْخَلْعُ إِذَا بَدَأَ بِالْيُسْرَى ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ لُبْسُهُمَا عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَشْرُوعِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ فَاتَ مَحَلُّهُ.

وَهَذَا الْحَدِيثُ لَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِحْبَابِ الِانْتِعَالِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ».

وَلَكِنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: «اسْتَكْثِرُوا مِنْ النِّعَالِ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَزَالُ رَاكِبًا مَا انْتَعَلَ».

أَيْ يُشْبِهُ الرَّاكِبَ فِي خِفَّةِ الْمَشَقَّةِ وَقِلَّةِ النَّصَبِ وَسَلَامَةِ الرِّجْلِ مِنْ أَذَى الطَّرِيقِ، فَإِنَّ الْأَمْرَ إِذَا لَمْ يُحْمَلْ عَلَى الْإِيجَابِ فَهُوَ لِلِاسْتِحْبَابِ. اهـ

قوله: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، وَلْيُنْعِلْهُمَا جَمِيعًا، أَوْ لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا».

أي لا يمشي في نعل واحد .

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢-٦٢٣-٦٢٤):

ظَاهِرُ النَّهْيِ التَّحْرِيمُ عَنْ الْمَشْيِ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ.

وَحَمَلَهُ الْجُمْهُورُ عَلَى الْكَرَاهَةِ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا الْقَرِينَةَ حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ «رُبَّمَا انْقَطَعَ شِسْعِ نَعْلِ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَمَشَى فِي النَّعْلِ الْوَاحِدَةِ حَتَّى يُصْلِحَهَا».

إلَّا أَنَّهُ رَجَّحَ الْبُخَارِيُّ وَقْفَهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ رَزِينٌ: عَنْهَا -رضي الله عنها- قَالَتْ: «رَأَيْت رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَنْتَعِلُ قَائِمًا وَيَمْشِي فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ».

وَاخْتَلَفُوا فِي عِلَّةِ النَّهْيِ:

فَقَالَ قَوْمٌ: عِلَّتُهُ أَنَّ النِّعَالَ شُرِعَتْ لِوِقَايَةِ الرِّجْلِ عَمَّا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَوْكٍ وَنَحْوِهِ فَإِذَا انْفَرَدَتْ إحْدَى الرِّجْلَيْنِ احْتَاجَ الْمَاشِي أَنْ يَتَوَقَّى لِإِحْدَى رِجْلَيْهِ مَا لَا يَتَوَقَّى لِلْأُخْرَى.

فَيَخْرُجُ لِذَلِكَ عَنْ سَجِيَّةِ مِشْيَتِهِ وَلَا يَأْمَنُ مَعَ ذَلِكَ الْعِثَارَ.

وَقِيلَ: إنَّهَا مِشْيَةُ الشَّيْطَانِ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: الْكَرَاهَةُ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ الشُّهْرَةِ فِي الْمَلَابِسِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «إذَا انْقَطَعَ شِسْعُ أَحَدِكُمْ فَلَا يَمْشِ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُصْلِحَهَا».

وَتَقَدَّمَ مَا يُعَارِضُهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- فَيُحْمَلُ عَلَى النَّدْبِ.

وَقَدْ أُلْحِقَ بِالنَّعْلَيْنِ كُلُّ لِبَاسٍ شَفْعٌ كَالْخُفَّيْنِ:

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: «لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ وَلَا خُفٍّ وَاحِدٍ».

وَهُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ -رضي الله عنهما-.

وَعِنْدَ أَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ -رضي الله عنه-.

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-.

وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَكَذَا إِخْرَاجُ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ مِنْ الْكُمِّ دُونَ الْأُخْرَى وَالِارْتِدَاءُ عَلَى أَحَدِ الْمَنْكِبَيْنِ دُونَ الْآخَرِ.

(قُلْت) وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْقِيَاسِ وَلَمْ تُعْلَمْ الْعِلَّةُ حَتَّى يُلْحَقَ بِالْأَصْلِ، فَالْأَوْلَى الِاقْتِصَارُ عَلَى مَحَلِّ النَّصِّ. اهـ

****

[بيان أن الإسبال في الثياب محرم، وإن اقترن مع الإسبال الخيلاء كان من كبائر الذنوب]

١٤٦٥ – (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ»[١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: *******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم الإسبال في الثياب.

وأن اقترن مع الإسبال الخيلاء والكبر والفخر فهذه زيادة في الإثم والحرج فإن هذا من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعد بعدم نظر الله عز وجل إليه يوم القيامة.

بيان حكم الإسبال:

الإسبال له طريقتان:

الأولى: أن يجر إزاره تحت الكعبين، بغير خيلاء فهذا محرم؛ لما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ»[٢].

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٨٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٨٥) (٤٢).

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٨٧).

الثانية: أنه اجتمع في حقه كبيرتان: كبيرة الإسبال، وكبيرة الخيلاء.

بيان حكم من لبس الثياب فوق الكعبين ولكن مع الخيلاء:

ومن لبسه فوق الكعبين مع الخيلاء يأثم على الخيلاء .

قوله: «لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ».

فيه إثبات النظر لله عز وجل إلا أنه لا ينظر إلى من هذا حاله .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى في النيل (٢/١٣٢-١٣٣):

الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ جَرِّ الثَّوْبِ خُيَلَاءَ.

وَالْمُرَادُ بِجَرِّهِ: هُوَ جَرُّهُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِقَوْلِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنْ الْإِزَارِ فِي النَّارِ» كَمَا سَيَأْتِي.

وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْإِسْبَالَ مُحَرَّمٌ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِمَا فِي صِيغَةِ مَنْ فِي قَوْلِهِ مَنْ جَرَّ مِنْ الْعُمُومِ.

وَقَدْ فَهِمَتْ أُمُّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- ذَلِكَ لَمَّا سَمِعَتْ الْحَدِيثَ فَقَالَتْ: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: يُرْخِينَهُ شِبْرًا فَقَالَتْ: إذًا يَنْكَشِفَ أَقْدَامُهُنَّ، قَالَ: فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ» أَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ وَالتِّرْمِذِيُّ.

وَلَكِنَّهُ قَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَوَازِ الْإِسْبَالِ لِلنِّسَاءِ، كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ ابْنُ رَسْلَانَ فِي شَرْحِ السُّنَنِ.

وَظَاهِرُ التَّقْيِيدِ بِقَوْلِهِ: «خُيَلَاءَ»، يَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ أَنَّ جَرَّ الثَّوْبِ لِغَيْرِ الخُيَلَاءِ لَا يَكُونُ دَاخِلًا فِي هَذَا الْوَعِيدِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: مَفْهُومُهُ أَنَّ الجَارَّ لِغَيْرِ الخُيَلَاءِ لَا يَلْحَقُهُ الْوَعِيدُ، إِلَّا أَنَّهُ مَذْمُومٌ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: إِنَّهُ مَكْرُوهٌ وَهَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ.

قَالَ الْبُوَيْطِيُّ فِي مُخْتَصَرِهِ عَنْ الشَّافِعِيِّ: لَا يَجُوزُ السَّدْلُ فِي الصَّلَاةِ وَلَا فِي غَيْرِهَا لِلْخُيَلَاءِ، وَلِغَيْرِهَا خَفِيفٌ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَبِي بَكْرٍ انْتَهَى.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُجَاوِزَ بِثَوْبِهِ كَعْبَهُ وَيَقُولُ: لَا أَجُرُّهُ خُيَلَاءَ، لِأَنَّ النَّهْيَ قَدْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا أَنْ يُخَالِفَهُ إِذْ صَارَ حُكْمُهُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَمْتَثِلُهُ، لِأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ لَيْسَتْ فِي.

فَإِنَّهَا دَعْوَى غَيْرُ مُسَلَّمَةٍ، بَلْ إِطَالَةُ ذَيْلِهِ دَالَّةٌ عَلَى تَكَبُّرِهِ انْتَهَى.

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْإِسْبَالَ يَسْتَلْزِمُ جَرَّ الثَّوْبِ وَجَرُّ الثَّوْبِ يَسْتَلْزِمُ الخُيَلَاءَ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ اللَّابِسُ.

وَيَدُلُّ عَلَى عَدَمِ اعْتِبَارِ التَّقْيِيدِ بِالخُيَلَاءِ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِيهِ

«وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ» . اهـ

قوله: «خُيَلَاءَ».

خُيَلَاءَ: بِضَمِّ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَالْمَدِّ الْبَطَرُ وَالْكِبْرُ.

وهذا شامل الرجال، والنساء.

ولكن رخص للنساء كما سبق في حديث أم سلمة رضي الله عنها: «أن يرخينه ذراعًا، ولا يزدن على ذلك».

الرد على من استدل بحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللهِ بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ -رضي الله عنه-: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ إِزَارِي يَسْتَرْخِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلَاءَ»[(١)].

فلا يدخل في هذا الحكم من يتعاهد إزاره.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٢٤-٦٢٥):

[(١)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٨٤).

وَقَدْ فَهِمَتْ ذَلِكَ أُمُّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- فَقَالَتْ عِنْدَ سَمَاعِهَا الْحَدِيثَ مِنْهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ فَقَالَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرْخِينَ شِبْرًا قَالَتْ إذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ قَالَ فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ عَلَيْهِ»، أَخْرَجَهُ النَّسَائِيّ وَالتِّرْمِذِيُّ.

وَالْمُرَادُ بِالذِّرَاعِ: ذِرَاعُ الْيَدِ وَهُوَ شِبْرَانِ بِالْيَدِ الْمُعْتَدِلَةِ.

وَالْمُرَادُ جَرُّ الثَّوْبِ: عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ الَّذِي يَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ الْبُخَارِيِّ «مَا أَسْفَلُ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنْ الْإِزَارِ فِي النَّارِ».

وَتَقْيِيدُ الْحَدِيثِ بِالْخُيَلَاءِ: دَالٌّ بِمَفْهُومِهِ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مَنْ جَرَّهُ غَيْرَ خُيَلَاءَ دَاخِلًا فِي الْوَعِيدِ.

وَقَدْ صَرَّحَ بِهِ مَا أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيُّ: أَنَّهُ «قَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْحَدِيثَ إنَّ إزَارِي يَسْتَرْخِي إلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إنَّك لَسْت مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلَاءَ».

وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اعْتِبَارِ الْمَفَاهِيمِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: إنَّ جَرَّهُ لِغَيْرِ الْخُيَلَاءِ مَذْمُومٌ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: إنَّهُ مَكْرُوهٌ وَهَذَا نَصُّ الشَّافِعِيِّ.

وَقَدْ صَرَّحَتْ السُّنَّةُ أَنَّ أَحْسَنَ الْحَالَاتِ أَنْ يَكُونَ إلَى نِصْفِ السَّاقِ كَمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ «كُنْت أَمْشِي وَعَلَيَّ بُرْدٌ

أَجُرُّهُ فَقَالَ لِي رَجُلٌ: ارْفَعْ ثَوْبَك فَإِنَّهُ أَبْقَى وَأَنْقَى فَنَظَرْت فَإِذَا هُوَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْت إنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءُ فَقَالَ: مَا لَك فِي أُسْوَةٌ؟ قَالَ فَنَظَرْت فَإِذَا إزَارُهُ إلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ».

وَأَمَّا مَا هُوَ دُونَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا حَرَجَ عَلَى فَاعِلِهِ إلَى الْكَعْبَيْنِ.

وَمَا دُونَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ حَرَامٌ إنْ كَانَ لِلْخُيَلَاءِ، وَإِنْ كَانَ لِغَيْرِهَا فَقَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ: إنَّهُ مَكْرُوهٌ.

وَقَدْ يُتَّجَهُ أَنْ يُقَالَ إنْ كَانَ الثَّوْبُ عَلَى قَدْرِ لَابِسِهِ لَكِنَّهُ يَسْدُلُهُ فَإِنْ كَانَ لَا عَنْ قَصْدٍ كَالَّذِي وَقَعَ لِأَبِي بَكْرٍ، فَهُوَ غَيْرُ دَاخِلٍ فِي الْوَعِيدِ.

وَإِنْ كَانَ الثَّوْبُ زَائِدًا عَلَى قَدْرِ لَابِسِهِ فَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنْ جِهَةِ الْإِسْرَافِ مُحَرَّمٌ لِأَجْلِهِ، وَلِأَجْلِ التَّشَبُّهِ بِالنِّسَاءِ، وَلِأَجْلِ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِهِ النَّجَاسَةُ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُجَاوِزَ بِثَوْبِهِ كَعْبَهُ، فَيَقُولُ لَا أَجُرُّهُ خُيَلَاءَ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ قَدْ تَنَاوَلَهُ لَفْظًا، وَلَا يَجُوزُ لِمَنْ يَتَنَاوَلُهُ اللَّفْظُ أَنْ يُخَالِفَهُ إذَا صَارَ حُكْمُهُ أَنْ يَقُولَ لَا أَمْتَثِلُهُ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْعِلَّةَ لَيْسَتْ فِي فَإِنَّهَا دَعْوَى غَيْرُ مُسَلَّمَةٍ بَلْ إطَالَةُ ذَيْلِهِ دَالَّةٌ عَلَى تَكَبُّرِهِ. اهـ

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ الْإِسْبَالَ يَسْتَلْزِمُ جَرَّ الثَّوْبِ وَجَرُّ الثَّوْبِ يَسْتَلْزِمُ الْخُيَلَاءَ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْهُ اللَّابِسُ.

وَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ مَنِيعٍ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما- فِي أَثْنَاءِ حَدِيثٍ رَفَعَهُ «إِيَّاكَ وَجَرَّ الْإِزَارِ فَإِنَّ جَرَّ الْإِزَارِ مِنْ الْمَخِيلَةِ».

وَقَدْ أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه- وَفِي قِصَّةٍ لِعَمْرِو بْنِ زُرَارَةَ الْأَنْصَارِيِّ -رضي الله عنه-: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلَ».

وَالْقِصَّةُ: أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: «بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِذْ لَحِقَنَا عَمْرُو بْنُ زُرَارَةَ الْأَنْصَارِيُّ فِي حُلَّةٍ إِزَارٍ وَرِدَاءٍ قَدْ أُسْبِلَ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَأْخُذُ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ وَيَتَوَاضَعُ لِلَّهِ وَيَقُولُ: عَبْدُك وَابْنُ عَبْدِك وَأَمَتِك. حَتَّى سَمِعَهَا عَمْرٌو فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَمْشُ السَّاقَيْنِ فَقَالَ: يَا عَمْرُو إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْبِلَ».

وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ: عَنْ عَمْرِو بْنِ زُرَارَةَ وَفِيهِ: «وَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرْبَعَ أَصَابِعَ تَحْتَ رُكْبَةِ عَمْرٍو -رضي الله عنه- وَقَالَ: يَا عَمْرُو وَهَذَا مَوْضِعُ الْإِزَارِ. ثُمَّ ضَرَبَ بِأَرْبَعِ أَصَابِعَ تَحْتَ الْأَرْبَعِ ثُمَّ قَالَ: يَا عَمْرُو وَهَذَا مَوْضِعُ الْإِزَارِ» الْحَدِيثَ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

وَحُكْمُ غَيْرِ الثَّوْبِ وَالْإِزَارِ حُكْمُهُمَا:

وَكَذَلِكَ لَمَّا سَأَلَ شُعْبَةُ مُحَارِبَ بْنَ دِثَارٍ قَالَ شُعْبَةُ أَذَكَرَ الْإِزَارَ؟ قَالَ مَا خَصَّ إِزَارًا وَلَا قَمِيصًا وَمَقْصُودُهُ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِالثَّوْبِ يَشْمَلُ الْإِزَارَ وَغَيْرَهُ.





وَأَخْرَجَ أَهْلُ السُّنَنِ إِلَّا التِّرْمِذِيُّ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ -رضي الله عنهما- عَنْ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقَمِيصِ وَالْعِمَامَةِ. مَنْ جَرَّ مِنْهَا شَيْئًا خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرْ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَإِنْ كَانَ فِي إِسْنَادِهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي رَوَّادٍ وَفِيهِ مَقَالٌ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: وَإِسْبَالُ الْعِمَامَةِ الْمُرَادُ بِهِ إِسْبَالُ الْعَذْبَةِ زَائِدَةً عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ.

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيّ: مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ -رضي الله عنه-: «أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَرْخَى طَرَفَ عِمَامَتِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ».

وَكَذَلِكَ تَطْوِيلُ أَكْمَامِ الْقَمِيصِ زِيَادَةً عَلَى الْمُعْتَادِ كَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحِجَازِ إِسْبَالٌ مُحَرَّمٌ.

وَقَدْ نَقَلَ الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ الْعُلَمَاءِ كَرَاهَةَ كُلِّ مَا زَادَ عَلَى الْعَادَةِ وَعَلَى الْمُعْتَادِ فِي اللِّبَاسِ مِنْ الطُّولِ وَالسَّعَةِ.

(قُلْت) وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَادَ بِالْمُعْتَادِ مَا كَانَ فِي عَصْرِ النُّبُوَّةِ. اهـ

****

[بيان بعض آداب الأكل]

١٤٦٦ – (وَعَنْهُ –أي عن ابن عمر رضي الله عنهما–أَنَّ رَسُولَ اللهَّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ، وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان وجوب الأكل والشرب باليمين، للمستطيع .

بيان حكم الأكل والشرب باليمين للمستطيع:

حديث الباب يدل على وجوب الأكل والشرب باليمين، وعلى تحريمه بالشمال؛ لأن في ذلك تشبهًا بالشيطان.

وفيه: بيان أن اليمين هي المقدمة في: الأكل، والشرب، والأخذ، والعطاء، والطهور، والغسل، والكتابة، واللباس، وفي جميع الشأن.

ففي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ –رضي الله عنها–، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»[2].

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٠).

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٦٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ، وَيَشْرَبُ بِهَا».

قَالَ: وَكَانَ نَافِعٌ يَزِيدُ فِيهَا: «وَلَا يَأْخُذُ بِهَا، وَلَا يُعْطِي بِهَا».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي الطَّاهِرِ: «لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ»[١].

وفي الصحيحين: من حديث عُمَرَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: كُنْتُ غُلاَمًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلاَمُ، سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ"[٢].

قوله: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَأْكُلْ بِيَمِينِهِ».

والأكل باليمين واجب ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ -رضي الله عنه-، قال: «أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا

---

[٢] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٠).

[٣] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٣٧٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢٢).

أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: "فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ" [(١)].

بيان حكم من أكل بالشمال وشرب بالشمال لحاجة:

ومن عجز أن يأكل، أو يشرب بيمينه؛ فيجوز له الأكل والشرب بشماله.

يقول الله عز وجل: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}، وغيرها من الأدلة.

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -رضي الله عنها-: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ» [(٢)].

قال النووي في رياض الصالحين

باب استحباب تقديم اليمين في كل مَا هو من باب التكريم

كالوضوءِ وَالغُسْلِ وَالتَّيَمُّم، وَلُبْسِ الثَّوْبِ وَالنَّعْلِ وَالخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ وَدُخولِ المَسْجِدِ، وَالسِّوَاكِ، وَالاكْتِحَالِ، وَتقليم الأظْفار، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَنَتْفِ الإبْطِ، وَحلقِ الرَّأسِ، وَالسّلامِ مِنَ الصَّلاَةِ، وَالأكْلِ، والشُّربِ، وَالمُصافحَةِ، وَاسْتِلاَمِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، والخروجِ منَ الخلاءِ، والأخذ والعطاء

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٢١).

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود.

وغيرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ فِي معناه. ويُسْتَحَبُّ تَقديمُ اليسارِ فِي ضدِ ذَلِكَ، كالامْتِخَاطِ وَالبُصَاقِ عن اليسار، ودخولِ الخَلاءِ، والخروج من المَسْجِدِ، وخَلْعِ الخُفِّ والنَّعْلِ والسراويلِ والثوبِ، والاسْتِنْجَاءِ وفِعلِ المُسْتَقْذرَاتِ وأشْبَاه ذَلِكَ.

قوله: «وَإِذَا شَرِبَ فَلْيَشْرَبْ بِيَمِينِهِ».

أي أن الشرب حكمه حكم الأكل .

قوله: «فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ».

فيه: دليل على أن الشيطان يأكل ويشرب.

وفيه: دليل على أنه لا يجوز التشبه بأهل الشر: لا بالشياطين، ولا بالكفار والمشركين، ولا بالملحدين، ولا بالمبتدعة الضالة المنحرفين.

يقول الله عز وجل : {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}.

فإذا كان التشبه بهم ممنوع في هذا الباب فمن باب أولى التشبه بهم في الشركيات، والبدع والمحدثات، والخرافات والحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، واللباس والزينة، ولا في شيء من المخالفات .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» [(١)].

قوله: «وَيَشْرَبُ بِشِمَالِهِ».

أي أن حكم الشرب هو حكم الأكل.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٦٢٦/٢):

الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ بِالشِّمَالِ.

فَإِنَّهُ عَلَّلَهُ بِأَنَّهُ فِعْلُ الشَّيْطَانِ وَخُلُقُهُ وَالْمُسْلِمُ مَأْمُورٌ بِتَجَنُّبِ طَرِيقِ أَهْلِ الْفُسُوقِ فَضْلًا عَنْ الشَّيْطَانِ.

وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ إلَى أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْأَكْلُ بِالْيَمِينِ وَالشُّرْبُ بِهَا لَا أَنَّهُ بِالشِّمَالِ مُحَرَّمٌ.

وَقَدْ زَادَ نَافِعٌ: "الْأَخْذَ وَالْإِعْطَاءَ". اهـ

****

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله تعالى في سننه (٤٠٣١)، وقال فيه الإمام الألباني رحمه الله تعالى: حسن صحيح.

[بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يأتي دليل على تحريمها]

١٤٦٧ - (وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «كُلْ، وَاشْرَبْ، وَالْبَسْ، وَتَصَدَّقْ فِي غَيْرِ سَرَفٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ» [1]. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَأَحْمَدُ، وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن الأصل في الأشياء الإباحة.

فيجوز للإنسان أن يأكل، ويشرب، ويلبس ما شاء، ما لم يأتِ دليل على تحريمه.

قوله: «وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ».

---

[1] الحديث حسن. رواه الطيالسي (٢٢٦١)، وأحمد (٦٦٩٥ و ٦٧٠٨)، وعلَّقه البخاري (١٠/ ٢٥٢ / فتح) بصيغة الجزم، وهذا يدل على أنه صحيحه عنه إلى من علقه عنه. ولكنه عندهما بلفظ الجمع. وعند أحمد زيادة: «إن الله يحب أن تُرى نعمته على عبده»، وهي -أيضا- للطيالسي إلا أن عنده: «يُرى أثر»، والباقي مثله، ولكن الحديث عنده دون الاستثناء، وروى الترمذي الزيادة فقط (٢٨١٩)، وقال: «حديث حسن»، ورواه النسائي (٥/ ٧٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥) بدون الزيادة، وأخيرا: من هذا التخريج يعلم أن عزوه لأبي داود وَهْمٌ من الحافظ -رحمه الله-، إلا أن يكون الحافظ أراد أبا داود الطيالسي، فإني رأيته في «الفتح» عزاه للطيالسي دون السجستاني، وأيضا الحديث عندهم جميعا بصيغة الجمع لا المفرد كما قال الحافظ.

وهو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أي أن عمرو يروي الحديث عن أبيه شعيب، وشعيب يروي الحديث عن جده عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وليس عن أبيه محمد.

وقد تقدم أن هذه السلسلة حسنة،.

قوله: «كُلْ وَاشْرَبْ وَالْبَسْ ».

أي كل مما رزقك الله عز وجل؛ ما لم يكن حرامًا

ومما حرم على الرجال في اللبس: الحرير، والذهب، وغير ذلك.

ومما حرم على الرجال والنساء في اللبس: ما فيه خيلاء.

ومما حرم الرجال في اللبس أن يطيل الثوب ويجعله أسفل من الكعبين.

ومما حرم على النساء في اللبس أن تطيل لباسها أكثر من ذراع؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم يرخص لهن إلا في الذراع فقط، وهكذا.

ومما حرم عليهم جميعًا ما فيه تشبه بالكفار، وبالمشركين.

قوله: «وَتَصَدَّقْ».

أي على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين.

وأفضل الصدقة ما يكون على ذوي القربى؛ فإنها تعتبر صدقة، وصلة.

قوله: «فِي غَيْرِ سَرَفٍ».

أي في غير إسراف؛ لأن الإسراف والتبذير محرم.

فالمسرف لا يحبه الله عز وجل يقول الله عز وجل : {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}.

والمبذر أخًا للشيطان يقول الله عز وجل : {وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا}.

بيان الفرق بين الإسراف والتبذير:

والفرق بين الإسراف والتبذير:

أن الإسراف: يكون في المآكل، والمشارب؛ لأن الله عز وجل في الآية جعل الإسراف في المأكل، وفي المشرب.

والتبذير: يكون عام: في المآكل، والمشارب، والملابس، والمساكن، والمراكب، وغير ذلك.

قوله: «وَلَا مَخِيلَةٍ».

المخيلة: من الخيلاء وهو البكر والأشر والبطر.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من حديث ابْنَ عُمَرَ -رضي الله عنهما- يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ، أَوِ اخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» [(١)].

[(١)] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٩٩٥)، والإمام البخاري في الأدب المفرد برقم (٥٤٩)، =

ويقول الله عز وجل مخبرًا لنا عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٢٦):

دَلَّ عَلَى تَحْرِيمِ الْإِسْرَافِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَلْبَسِ وَالتَّصَدُّقِ.

وَحَقِيقَةُ الْإِسْرَافِ: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ وَهُوَ فِي الْإِنْفَاقِ أَشْهَرُ.

وَالْحَدِيثُ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْله تَعَالَى: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا} [الأعراف: ٣١].

وفيه: تَحْرِيمُ الْخُيَلَاءِ وَالْكِبْرِ.

قَالَ عَبْدُ اللَّطِيفِ الْبَغْدَادِيُّ: هَذَا الْحَدِيثُ جَامِعٌ لِفَضَائِلِ تَدْبِيرِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ.

وَفِيهِ مَصَالِحُ النَّفْسِ وَالْجَسَدِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

= وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الأدب المفرد(٥٤٩/٤٢٧)، وفي الصحيحة برقم (٥٤٣)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧١٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح.

فَإِنَّ السَّرَفَ: فِي كُلِّ شَيْءٍ مُضِرٌّ بِالْجَسَدِ، وَمُضِرٌّ بِالْمَعِيشَةِ، وَيُؤَدِّي إِلَى الْإِتْلَافِ.

فَيَضُرُّ بِالنَّفْسِ إِذَا كَانَتْ تَابِعَةً لِلْجَسَدِ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ.

وَالْمَخِيلَةُ: تَضُرُّ بِالنَّفْسِ حَيْثُ تُكْسِبُهَا الْعُجْبَ، وَتَضُرُّ بِالْآخِرَةِ حَيْثُ تُكْسِبُ الْإِثْمَ، وَبِالدُّنْيَا حَيْثُ تُكْسِبُ الْمَقْتَ مِنْ النَّاسِ.

وَقَدْ عَلَّقَ الْبُخَارِيُّ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: «كُلْ مَا شِئْت وَاشْرَبْ مَا شِئْت مَا أَخْطَأَتْك اثْنَتَانِ سَرَفٌ وَمَخِيلَةٌ». اهـ

****

[باب البر والصلة]

[بَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ]

الشرح: ********************************

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٢٦-٦٢٧):

الْبِرُّ: بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ هُوَ التَّوَسُّعُ فِي فِعْلِ الْخَيْرِ.

وَالْبَرُّ بِفَتْحِهَا: الْمُتَوَسِّعُ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُوَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَالصِّلَةُ: بِكَسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ مَصْدَرُ وَصَلَهُ كَوَعَدَهُ عِدَةً.

فِي النِّهَايَةِ: تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذِكْرُ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَهِيَ كِنَايَةٌ عَنْ الْإِحْسَانِ إلَى الْأَقْرَبِينَ مِنْ ذَوِي النَّسَبِ وَالْأَصْهَارِ وَالتَّعَطُّفِ عَلَيْهِمْ وَالرِّفْقِ بِهِمْ وَالرِّعَايَةِ لِأَحْوَالِهِمْ.

وَكَذَلِكَ إنْ تَعَدَّوْا وَأَسَاءُوا وَضِدُّ ذَلِكَ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ. اهـ

بيان أن البر والصلة من أعظم الأسباب في البركة في العمر:

لما جاء في الصحيحين:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[1].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٦٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٧).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[1].

بيان وأعظم البر:

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما-، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللهِ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ. وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً، كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَقَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنَّهُمُ الْأَعْرَابُ وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ-رضي الله عنهما-: إِنَّ أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ-رضي الله عنه-، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»[2].

بيان تحريم قطيعة الأرحام:

---

[3] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٨٥).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٢).

وقد نهى الله عز وجل عن قطيعة الأرحام، حيث قال سبحانه وتعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}.

فاستحقوا اللعن والطرد من رحمة الله عز وجل، والصمم في آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به، والعمى في أبصارهم عن رؤية الحق واتباعه، كل هذا بسبب الإفساد في الأرض، وبسبب قطيعه الرحم.

وقد جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ»[1].

وفي الصحيحين: من حديث جُبَيْرَ بْنَ مُطْعِمٍ -رضي الله عنه-، قال: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[2].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٨٨).

[(شجنة) يجوز في الشين الضم والكسر والفتح وهي في الأصل عروق الشجر المشتبكة. (من الرحمن) اشتق اسمها من هذا الاسم الذي هو صفة من صفات الله تعالى.

والمعنى: أن الرحم أثر من آثار رحمته تعالى مشتبكة بها فمن قطعها كان منقطعا من رحمة الله عز وجل ومن وصلها وصلته رحمة الله تعالى].

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٨٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٦).

فالواجب على الإنسان أن يبذل البر لذويه، ابتداء من الأبوين.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى وغيره:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ»[١].

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: " وَأَظُنُّهُ قَالَ: أَوْ أَحَدُهُمَا ".

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من حديث أُبَيِّ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، ثُمَّ دَخَلَ النَّارَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ وَأَسْحَقَهُ»[٢].

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ: "إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-: سَمِعْتُ

---

[٢] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٤٥)، وقال فيه الإمام الألباني رحمه الله تعالى: حسن صحيح. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٢٨٢)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٩٠٢٧). والحديث إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين غير أن صحابيه أُبي بن مالك، فمن رجال "التعجيل". قتادة: هو ابن دعامة السدوسي. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٤).

رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ أَوْ احْفَظْهُ» "[١].

بيان عظم حق الوالدين:

ويبين ذلك أن الله عزوجل يقرن في كثير من الآيات يقرن الله عز وجل حقه بحق الوالدين، وذلك لأمور:

الأمر الأول: بيان عظم حق الوالدين علينا، فحقهما عظيم.

الأمر الثاني: لأن الوالدين لهما الفضل علينا بعد الله عز وجل .

حيث يقول الله عز وجل : {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}.

ويقول الله عز وجل : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَّ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ}.

---

[٢] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٩٠٠)، وابن ماجه في سننه (٢٠٨٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

ويقول الله عز وجل : {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}.

ويقول الله عز وجل : {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}.

بيان حق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

فقد يقول قائل: ذكر الله عز وجل حق الوالدين بعد حقه، فأين حق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

فالجواب: أن حق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدخل في حق الله عز وجل؛ لأنه هو المبلغ عن الله عز وجل، وهو المعلم، والأسوة الحسنة.

ولا يستطيع أحد من الناس أن يطيع الله عز وجل حق طاعته، ويوحده حق توحيده، إلا إذا اتبع ما جاء في الكتاب، والسنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

بيان وجوب طاعة الوالدين ولو كانا كافرين، أو مشركين في غير معصية:

يقول الله عز وجل : {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

فأخبرنا الله عز وجل بأن طاعة الوالدين تكون بالمعروف، أي في غير معصية الله عز وجل، فمن باب أولى الكفر والشرك بالله عز وجل.

ومع ذلك يعاملان بالرفق، واللين، والتواضع، وحسن الأخلاق.

ومن حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَسَمِعْتُ فِيهَا قِرَاءَةً فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ-رضي الله عنه-»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ»[١].

وأخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في خلق أفعال العباد:

---

[٢] أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك (٤٩٢٩)، وهو في السلسلة الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٩١٣)، وقال فيه: رواه ابن وهب في " الجامع " (٢٢) سمعت سفيان يحدث عن ابن شهاب عن عمرة ابنة عبد الرحمن عن عائشة مرفوعا. ثم قال: وهذا سند صحيح على شرط الشيخين.

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي الْجَنَّةِ سَمِعْتُ صَوْتَ رَجُلٍ بِالْقُرْآنِ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، كَذَلِكُمُ الْبِرُّ كَذَلِكُمُ الْبِرُّ».

ومن حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رضي الله عنهما-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[1] أخرجه مسلم .

ثم إن الأب والأم قد يكون في التعامل معهما بعض المشقة، ولا سيما إذا كبر سنهما، ورق عظمهما.

والوالد يرى ولده دائمًا في مرتبة البنوة .

فمهما ارتفع الولد سواء كان ذلك في العلم الشرعي، أو في العلم الدنيوي .

فهو ما يزال عندهما ولد، وابن.

فقد يحسن الولد إلى والديه، ومع ذلك فقد يرى منهما بعض الأعراض، وبعض الجفاء فيجب عليه أن يصبر على الوالدين .

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٨).

يقول الله عز وجل : {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}.

وقد نهى الله عز وجل من التأفف منهما يقول الله عز وجل : {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}.

فإذا كان الله عز وجل قد نهى عن التأفف، وهو أقل درجات الأذى للوالدين.

فمن باب أولى تحريم كل أذية قولية أكبر منه: سواء كانت بالسب، والشتم، واللعن، أو غير ذلك.

ومن باب أولى الأذية الفعلية: كالضرب، أو الحبس، أو القتل .

فقد جاء في الصحيحين، واللفظ للبخاري رحمه الله تعالى في صحيحه:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»[1].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٧٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٩٠).

فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستبعدون أن يشتم، أو يلعن، أو يسب الرجل والديه مباشرة.

فأخبرهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن هذا الحكم يشمل حتى من يتسبب في سبهما من الناس .

أما في زماننا هذا: فقد وجد من يسب أبويه ويلعنهما، ومن يضربهما، بل ومن يقتلهما والعياذ بالله عز وجل.

وأما رفع الأصوات عليهما، والمنة عليهما، ورد أوامرهما، وغير ذلك فهو أكثر من أن يحصى، فحدث ولا حرج.

فإن كثيرًا من الأبناء يعاملون آباءهم، وأمهاتهم، معاملة البعيد عنهم.

فربما تجد من أحدهم أنه يلين جانبه لأخيه، أو لصحابه، أو لجاره.

فإذا ما دخل إلى البيت؛ فإذا به وحش كاسر، فلا بد أن نروض أنفسنا، على بر آبائنا، وعلى أمهاتنا وذلك في حياتهما: بالإحسان إليهما.

وبعد موتهما: بالدعاء لهما، وإكرام صاحبهما، لما في ذلك من البركة.

وكما تدين تدان، فأنت اليوم ابن، وغدًا أبًا.

وما كان منك مع أبيك، سيكون من ابنك معك.

وقد جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

من طريق الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَوْ عَنْ عَمِّهِ،- ضرار بن الأزور - رضي الله عنه- قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَفَةَ، فَأَخَذْتُ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ أَوْ خِطَامِهَا، فَدَفَعْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: " دَعُوهُ فَأَرَبٌ مَا جَاءَ بِهِ " فَقُلْتُ: نَبِّئْنِي بِعَمَلٍ يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: " لَئِنْ كُنْتَ أَوْجَزْتَ فِي الْخُطْبَةِ لَقَدْ أَعْظَمْتَ وَأَطْوَلْتَ، تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا تُحِبُّ أَنْ يَأْتُوهُ إِلَيْكَ، وَمَا كَرِهْتَ لِنَفْسِكَ فَدَعِ النَّاسَ مِنْهُ، خَلِّ عَنْ زِمَامِ النَّاقَةِ "[1].

****

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٧٠٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى تحت حديث رقم (١٤٧٧)، وقال فيه: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير المغيرة بن سعد وهو ابن الأخرم الطائي، روى عنه جمع من الثقات وقال العجلي: كوفي ثقة. وذكره ابن حبان في " الثقات ". والحديث هذا قال الهيثمي: " رواه عبد الله في " زياداته " والطبراني في " الكبير " بأسانيد، ورجال بعضها ثقات على ضعف في يحيى بن عيسى كثير ".

[بيان فضيلة البر وصلة الأرحام]

١٤٦٨ – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» [١]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضيلة البر وصلة الأرحام.

قوله: «مَنْ أَحَبَّ».

وفي رواية أخرى: «من سره».

وكلاهما بمعنى واحد، فكلنا نحب، ونسر بالبركة في الرزق، والعمر، والأولاد.

قوله: «أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ».

أي يوسع له في رزقه، ويبارك له فيه؛ لأن الرزق الضيق، سبب لضيق الصدور.

يُبْسَطَ: مُغَيَّرٌ صِيغَتَهُ أَيْ يَبْسُطُ اللهُ.

أفاده الصنعاني رحمه الله تعالى.

---

[٢] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٨٥)، وعنده: «من سره أن يبسط له» بدلا «من أحب أن يبسط عليه».

وفي صحيح ابن حبان رحمه الله تعالى وغيره:

من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضِّيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ»[1].

قوله: «وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ».

قيل: يؤخر أجله.

وَأَنْ يُنْسَأَ: بِالسِّينِ الْمُهْمَلَةِ مُخَفَّفَةً أَيْ يُؤَخَّرَ لَهُ.

فِي أَثَرِهِ: بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالْمُثَلَّثَةِ فَرَاءٍ أَيْ أَجَلِهِ.

بيان الجواب عن الإشكال:

ولكن يشكل هذا مع قول الله عز وجل : {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ}.

وقوله عز وجل: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}.

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن الأجل له وقت معلوم حدده الله عز وجل.

---

[1] أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٤٠٣٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٣٧٨)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في التعليقات الحسان (٤٠٢١): صحيح، وهو كذلك في الصحيحة برقم: (٢٨٢).

وقد ألف الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى رسالة في هذا الباب، ردًا على رسالة وصلته من أبناء الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

وملخص ذلك: أن العمر الذي هو في اللوح المحفوظ لا يزاد فيه ولا ينقص؛ لأنه مثبت على ما في علم الله عز وجل.

وأما الذي في يد الملك، فقد يكون على الحالين:

إن وصل رحمه فقد يطال له في عمره، ويؤخر له في أجله، فيكون عمره كذا وكذا.

وإن لم يصل رحمه، فلا يؤخر في أجله، ولا يزاد في عمره، فيكون عمره كذا وكذا.

مع أنه في علم الله عز وجل واحد، ولكن التغيير والزيادة تحصل من الملائكة.

وقيل: يبارك له في عمره، وفي ذكره، وكفى ذلك.

قوله: «فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

أي عليه أن يصل رحمه الله تعالى؛ حتى يتحصل على ما ذكر في الحديث: من البركة في الرزق، والعمر.

بيان أن الواصل ليس بالمكافئ:

وليس الواصل بالمكافئ.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنه-: قَالَ سُفْيَانُ: لَمْ يَرْفَعْهُ الأَعْمَشُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَفَعَهُ حَسَنٌ وَفِطْرٌ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا»(١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»(٢).

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٢٧-٦٢٨):

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: -رضي الله عنه- «أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ مَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ: عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - مَرْفُوعًا: «صِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يُعَمِّرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٩١).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٨).

وَأَخْرَجَ أَبُو يَعْلَى: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا -رضي الله عنه-: «إِنَّ الصَّدَقَةَ وَصِلَةَ الرَّحِمِ يَزِيدُ اللهُ بِهِمَا فِي الْعُمُرِ وَيَدْفَعُ بِهِمَا مِيتَةَ السُّوءِ»، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ.

قَالَ ابْنُ التِّينِ: ظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَيْ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ مُعَارَضٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل: ٦١].

قَالَ: وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا مِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ كِنَايَةٌ عَنْ الْبَرَكَةِ فِي الْعُمُرِ بِسَبَبِ التَّوْفِيقِ إِلَى الطَّاعَةِ وَعِمَارَةِ وَقْتِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَصِيَانَتِهِ عَنْ تَضْيِيعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَمِثْلُ هَذَا مَا جَاءَ: «أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَقَاصَرَ أَعْمَارُ أُمَّتِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَعْمَارِ مَنْ مَضَى مِنْ الْأُمَمِ فَأَعْطَاهُ اللهُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ».

وَحَاصِلُهُ: أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ تَكُونُ سَبَبًا لِلتَّوْفِيقِ لِلطَّاعَةِ وَالصِّيَانَةِ عَنْ الْمَعْصِيَةِ، فَيَبْقَى بَعْدَهُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَمُتْ.

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ التَّوْفِيقِ: الْعِلْمُ الَّذِي يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِتَأْلِيفٍ وَنَحْوِهِ وَالصَّدَقَةُ الْجَارِيَةُ عَلَيْهِ، وَالْخَلَفُ الصَّالِحُ.

وَثَانِيهِمَا: أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى حَقِيقَتِهَا وَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ الْمَلَكِ الْمُوَكَّلِ بِالْعُمْرِ.

وَالَّذِي فِي الْآيَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِلْمِ اللهِ.

كَأَنْ يُقَالَ لِلْمَلَكِ فِي عِلْمِهِ أَنَّهُ يَصِلُ أَوْ يَقْطَعُ فَالَّذِي فِي عِلْمِ اللهِ لَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ، وَالَّذِي يُقَالُ مَثَلًا إِنَّ عُمْرَ فُلَانٍ مِائَةٌ إِنْ وَصَلَ رَحِمَهُ، وَإِنْ قَطَعَهَا فَسِتُّونَ.

وَقَدْ سَبَقَ مَثَلًا فِي عِلْمِ الْمَلَكِ هُوَ الَّذِي يُمْكِنُ فِيهِ الزِّيَادَةُ وَالنَّقْصُ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: ٣٩].

وَالْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ: بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا فِي عِلْمِ الْمَلَكِ، وَمَا فِي أُمِّ الْكِتَابِ؛ وَأَمَّا الَّذِي فِي عِلْمِ اللهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ أَلْبَتَّةَ.

وَيُقَالُ لَهُ الْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ، وَيُقَالُ لِلْأَوَّلِ الْقَضَاءُ الْمُعَلَّقُ.

وَالْوَجْهُ الْأَوَّلُ أَلْيَقُ؛ فَإِنَّ الْأَثَرَ مَا يَتْبَعُ الشَّيْءَ فَإِذَا أُخِّرَ حَسُنَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى الذِّكْرِ الْحَسَنِ بَعْدَ فَقْدِ الْمَذْكُورِ وَرَجَّحَهُ الطِّيبِيُّ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْفَائِقِ.

وَيُؤَيِّدُهُ مَا أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ: عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه- قَالَ ذُكِرَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ أُنْسِئَ لَهُ فِي أَجَلِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ زِيَادَةً فِي عُمْرِهِ، قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف: ٣٤] وَلَكِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ لَهُ الذُّرِّيَّةُ الصَّالِحَةُ يَدْعُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ»، وَأَخْرَجَهُ فِي الْكَبِيرِ مَرْفُوعًا مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى.

وَجَزَمَ ابْنُ فُورَكٍ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِزِيَادَةِ الْعُمْرِ نَفْيُ الْآفَاتِ عَنْ صَاحِبِ الْبِرِّ فِي فَهْمِهِ وَعَقْلِهِ.

قَالَ غَيْرُهُ: فِي أَعَمِّ مِنْ ذَلِكَ وَفِي عِلْمِهِ وَرِزْقِهِ. وَلِابْنِ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِ الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ كَلَامٌ يَقْضِي بِأَنَّ مُدَّةَ حَيَاةِ الْعَبْدِ وَعُمْرِهِ هِيَ مَهْمَا كَانَ قَلْبُهُ مُقْبِلًا عَلَى اللهِ ذَاكِرًا لَهُ مُطِيعًا غَيْرَ عَاصٍ فَهَذِهِ هِيَ عُمْرُهُ.

وَمَتَى أَعْرَضَ الْقَلْبُ عَنْ اللهِ تَعَالَى وَاشْتَغَلَ بِالْمَعَاصِي ضَاعَتْ عَلَيْهِ أَيَّامُ حَيَاةِ عُمْرِهِ.

فَعَلَى هَذَا مَعْنَى أَنَّهُ يُنْسَأُ لَهُ فِي أَجَلِهِ أَيْ يُعَمِّرُ اللهُ قَلْبَهُ بِذِكْرِهِ وَأَوْقَاتَهُ بِطَاعَتِهِ وَيَأْتِي تَحْقِيقُ صِلَةِ الرَّحِمِ. اهـ

****

[بيان تحريم قطع الرحم وأنها من الكبائر للوعيد في حقه]

١٤٦٩ – (وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجُنَّةَ قَاطِعٌ»[1]. يَعْنِي: قَاطِعَ رَحِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن قطيعة الرحم من كبائر الذنوب.

بيان معنى الحديث:

قوله: «لَا يَدْخُلُ الْجُنَّةَ قَاطِعٌ».

الحديث جاء بتمامه في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ –رضي الله عنه–، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجُنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ»[2].

قال النووي شرح النووي على مسلم (١٦/ ١١٣):

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَلَا خِلَافَ أَنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ وَاجِبَةٌ فِي الْجُمْلَةِ وَقَطِيعَتَهَا مَعْصِيَةٌ كَبِيرَةٌ قَالَ وَالْأَحَادِيثُ فِي الْبَابِ تَشْهَدُ لِهَذَا وَلَكِنَّ الصِّلَةَ

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٨٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٦) والتفسير من سفيان بن عيينة، وهو لمسلم دون البخاري.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٦).

دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ وَأَدْنَاهَا تَرْكُ الْمُهَاجَرَةِ وَصِلَتُهَا بِالْكَلَامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ القدرة والحاجة فمنها واجب ومنها مستحب لووصل بعض الصلة ولم يَصِلْ غَايَتَهَا لَا يُسَمَّى قَاطِعًا وَلَوْ قَصَّرَ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ لَا يُسَمَّى وَاصِلًا قَالَ وَاخْتَلَفُوا فِي حَدِّ الرَّحِمِ الَّتِي تَجِبُ صِلَتُهَا فَقِيلَ هُوَ كُلُّ رَحِمٍ مَحْرَمٍ بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا وَالْآخَرُ أُنْثَى حَرُمَتْ مُنَاكَحَتُهُمَا فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَلَا أَوْلَادُ الْأَخْوَالِ وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ بِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا فِي النِّكَاحِ وَنَحْوِهِ وَجَوَازِ ذَلِكَ فِي بَنَاتِ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ وَقِيلَ هُوَ عَامٌّ فِي كُلِّ رَحِمٍ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ فِي الْمِيرَاثِ يَسْتَوِي الْمَحْرَمُ وَغَيْرُهُ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَهَذَا الْقَوْلُ الثَّانِي هُوَ الصَّوَابُ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ السَّابِقُ فِي أَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا وَحَدِيثُ إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَا مَحْرَمِيَّةَ وَاللهُ أَعْلَمُ . اهـ

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٢٨-٦٢٩) :

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُد: مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ -رضي الله عنه- يَرْفَعُهُ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا أَخَّرَ اللهُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- يَرْفَعُهُ «إِنَّ أَعْمَالَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَشِيَّةَ الْخَمِيسِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ».

وَأَخْرَجَ فِيهِ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي أَوْفَى -رضي الله عنه-: «إِنَّ الرَّحْمَةَ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ».

وَأَخْرُج الطَّبَرَانِيُّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-: «إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ مُغْلَقَةٌ دُونَ قَاطِعِ الرَّحِمِ».

وَاعْلَمْ أَنَّهُ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حَدِّ الرَّحِمِ الَّتِي تَجِبُ صِلَتُهَا:

فَقِيلَ: هِيَ الرَّحِمُ الَّتِي يَحْرُمُ النِّكَاحُ بَيْنَهُمَا بِحَيْثُ لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا ذَكَرًا حَرُمَ عَلَى الْآخَرِ.

فَعَلَى هَذَا لَا يَدْخُلُ أَوْلَادُ الْأَعْمَامِ وَلَا أَوْلَادُ الْأَخْوَالِ.

وَاحْتَجَّ هَذَا الْقَائِلُ بِتَحْرِيمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَخَالَتِهَا فِي النِّكَاحِ لِمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ مِنَ التَّقَاطُعِ.

وَقِيلَ: هُوَ مَنْ كَانَ مُتَّصِلًا بِمِيرَاثٍ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "ثُمَّ أَدْنَاك أَدْنَاك".

وَقِيلَ: مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْآخَرِ قَرَابَةٌ سَوَاءٌ كَانَ يَرِثُهُ أَوْ لَا.

ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ كَمَا قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا أَرْفَعُ مِنْ بَعْضٍ، وَأَدْنَاهَا تَرْكُ الْمُهَاجَرَةِ وَصِلَتُهَا بِالْكَلَامِ وَلَوْ بِالسَّلَامِ.

وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْقُدْرَةِ وَالْحَاجَةِ:

فَمِنْهَا وَاجِبٌ، وَمِنْهَا مُسْتَحَبٌّ.

فَلَوْ وَصَلَ بَعْضَ الصِّلَةِ وَلَمْ يَصِلْ غَايَتَهَا لَمْ يُسَمَّ قَاطِعًا.

وَلَوْ قَصَّرَ عَمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَنْبَغِي لَهُ: لَمْ يُسَمَّ وَاصِلًا.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: الرَّحِمُ الَّتِي تُوصَلُ الرَّحِمُ عَامَّةٌ وَخَاصَّةٌ.

فَالْعَامَّةُ: رَحِمُ الدِّينِ، وَتَجِبُ صِلَتُهَا بِالتَّوَادُدِ وَالتَّنَاصُحِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ.

وَالرَّحِمُ الْخَاصَّةُ: تَزِيدُ بِالنَّفَقَةِ عَلَى الْقَرِيبِ وَتَفَقُّدِ حَالِهِ وَالتَّغَافُلِ عَنْ زَلَّتِهِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: الْمَعْنَى الْجَامِعُ إِيصَالُ مَا أَمْكَنَ مِنَ الْخَيْرِ وَدَفْعُ مَا أَمْكَنَ مِنْ الشَّرِّ بِحَسَبِ الطَّاقَةِ، وَهَذَا فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْفُسَّاقُ: فَتَجِبُ الْمُقَاطَعَةُ لَهُمْ إِذَا لَمْ تَنْفَعْ الْمَوْعِظَةُ.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيْضًا بِأَيِّ شَيْءٍ تَحْصُلُ الْقَطِيعَةُ لِلرَّحِمِ:

فَقَالَ الزَّيْنُ الْعِرَاقِيُّ: تَكُونُ بِالْإِسَاءَةِ إِلَى الرَّحِمِ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: تَكُونُ بِتَرْكِ الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ الْأَحَادِيثَ آمِرَةٌ بِالصِّلَةِ نَاهِيَةٌ عَنْ الْقَطِيعَةِ فَلَا وَاسِطَةَ بَيْنَهُمَا.

وَالصِّلَةُ نَوْعٌ مِنْ الْإِحْسَانِ كَمَا فَسَّرَهَا بِذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ، وَالْقَطِيعَةُ ضِدُّهَا وَهِيَ تَرْكُ الْإِحْسَانِ.

وَأَمَّا مَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ قَوْلِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ وَلَكِنَّ الْوَاصِلَ الَّذِي إذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».

فَإِنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الصِّلَةَ إنَّمَا هِيَ مَا كَانَ لِلْقَاطِعِ صِلَةُ رَحِمِهِ وَهَذَا عَلَى رِوَايَةِ قَطَعَتْ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَهِيَ رِوَايَةٌ.

فَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِي شَرْحِهِ: الْمُرَادُ الْكَامِلَةُ فِي الصِّلَةِ.

وَقَالَ الطِّيبِيُّ: مَعْنَاهُ لَيْسَ حَقِيقَةَ الْوَاصِلِ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِصِلَتِهِ مَنْ يُكَافِئُ صَاحِبَهُ بِمِثْلِ فِعْلِهِ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَتَفَضَّلُ عَلَى صَاحِبِهِ.

وَقَالَ الْمُصَنِّفُ: لَا يَلْزَمُ مِنْ نَفْيِ الْوَصْلِ ثُبُوتُ الْقَطْعِ، فَهُمْ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: "وَاصِلٌ وَمُكَافِئٌ وَقَاطِعٌ".

فَالْوَاصِلُ: هُوَ الَّذِي يَتَفَضَّلُ وَلَا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ.

وَالْمُكَافِئُ: هُوَ الَّذِي لَا يَزِيدُ فِي الْإِعْطَاءِ عَلَى مَا يَأْخُذُهُ.

وَالْقَاطِعُ: الَّذِي لَا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَفَضَّلُ.

قَالَ الشَّارِحُ: وَبِالْأَوْلَى مَنْ يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَلَا يَتَفَضَّلُ أَنَّهُ قَاطِعٌ.




[بيان تحريم قطع الرحم وأنها من الكبائر للوعيد في حقه]

قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَكَمَا تَقَعُ الْمُكَافَأَةُ بِالصِّلَةِ مِنْ الْجَانِبَيْنِ كَذَلِكَ تَقَعُ بِالْمُقَاطَعَةِ مِنْ الْجَانِبَيْنِ فَمَنْ بَدَأَ فَهُوَ الْقَاطِعُ، فَإِنْ جُوزِيَ سُمِّيَ مَنْ جَازَاهُ مُكَافِئًا. اهـ

****

[بيان بعض المحرمات وبعض المكروهات]

١٤٧٠ – (وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ سَعِيدٍ – رضي الله عنه – عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان بعض المحرمات المكروهات:

ومنها: تحريم عقوق الأمهات، ويدخل في ذلك عقوق الآباء؛ إلا أن عقوق الأمهات أعظم إثمًا؛ لأن المرأة ضعيفة تتألم أكثر من الرجل، وتتأذى أكثر منه.

ومنها: تحريم وأد البنات، ويدخل في ذلك من يقتل أولاده من الذكور والبنات خوف الفقر، أو العار، كما كان أهل الجاهلية يفعلون.

ومنها: تحريم منع الرجل لما أوجب الله عليه من: النفقات، أو الزكاة الواجبة .

ويدخل في ذلك تحريم أن يسأل الإنسان لنفسه ما ليس له .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٧٥)، والإمام مسلم في صحيحه (ج ٣ / ص ١٣٤١ / رقم ٥٩٣)

ومنها: تحريم كثرة الكلام في الباطل .

وفي غير فائدة؛ لأنه ربما جر إلى المحرم: كالغيبة، والنميمة، والكذب، والاستهزاء، والطعن في الأنساب، وغير ذلك من المحرمات.

ومنها: كراهة كثرة السؤال في الأمور المختلفة التي قد توقع الإنسان في الشبهات.

ويدخل في ذلك السؤال الذي يراد منه إحراج العالم كسؤال التعجيز، أو السؤال الذي يكون فيه العناد للحق، وغير ذلك.

ومنها: إضاعة المال وصرفه في أمور لا تنقع صاحبه، ويدخل في ذلك الإسراف والتبذير وهو من المحرمات، بل من الكبائر كما تقدم .

الفرق بين المحرم وبين المكروه في اصطلاح الأصوليين :

المحرم: هو ما يثاب تاركه امتثالًا، ويستحق العقوبة فاعله.

المكروه: هو ما لا يأثم فاعله، ويثاب تاركه امتثالًا.

قوله: «إِنَّ اللهَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ».

ويدخل في ذلك عقوق الآباء كما تقدم .

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ

صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أُمُّكَ» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَبُوكَ»[1].

قوله: «وَوَأْدَ الْبَنَاتِ».

الوأد: قتل البنات وهن أحياء.

وكانوا في الجاهلية يفعلون ذلك لأمرين:

الأمر الأول: خشية العار.

الأمر الثاني: خشية الفقر.

يقول الله عز وجل: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ}.

ويقول الله عز وجل محرمًا ذلك: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ}.

ويقول الله عز وجل: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}.

قوله: «وَمَنْعًا وَهَاتِ».

أي يمنع ما أوجب الله عز وجل وسؤال ما لا يجوز له.

قوله: «وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ».

وهذا فيما لا ينفع صاحبه.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٧١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٤٨).

أما إذا كان الكلام في أمر محرم في الشرع، فهو هنا محرم، والحديث في حق الكلام المباح، ولكنه يكثر منه حتى يضيع وقته فيما لا ينفعه.

وفي الكلام الذي قد يؤدي إلى غضب الرب سبحانه وتعالى.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[1].

وفي لفظ في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»[2].

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث بِلَالَ بْنَ الحَارِثِ المُزَنِيَّ -رضي الله عنه-، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ فَيَكْتُبُ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٧٨).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٧٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٨٨).

اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»[1].

وجاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى أيضًا:

من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ... الحديث وفيه: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ»؟ قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ»[2].

قوله: «وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ».

سواء كان المسألة المحرمة لأموال الناس.

فالشرع لم يحل المسألة إلا في أمور ثلاث.

كما جاء ذلك في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: «تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: أَقِمْ حَتَّى

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣١٩)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٩٦٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: " يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ رَجُلٍ، تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا"» [(١)].

قوله: «وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».

وهي إنفاق المال في غير أوجه الحق؛ فإن الإنسان سيسأل عن ماله يوم القيامة من أين اكتسبه، وفيما أنفقه؟

ففي الترمذي: من حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[(٢)].

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢-٦٢٩-٦٣٢):

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٤٤).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في ضعيف وصحيح الترمذي.




الْأُمَّهَاتُ: جَمْعُ أُمَّهَةٍ لُغَةٌ فِي الْأُمِّ وَلَا تُطْلَقُ إِلَّا عَلَى مَنْ يَعْقِلُ، بِخِلَافِ أُمٍّ فَإِنَّهَا تَعُمُّ.

وَإِنَّمَا خُصَّتْ الْأُمُّ هُنَا: إِظْهَارًا لِعِظَمِ حَقِّهَا وَإِلَّا فَالْأَبُ مُحَرَّمٌ عُقُوقُهُ.

وَضَابِطُ الْعُقُوقِ الْمُحَرَّمِ كَمَا نُقِلَ خُلَاصَتُهُ عَنْ الْبُلْقِينِيِّ: وَهُوَ أَنْ يَحْصُلَ مِنْ الْوَلَدِ لِلْأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا إِيذَاءٌ لَيْسَ بِالْهَيِّنِ عُرْفًا.

فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا مَا إِذَا حَصَلَ مِنْ الْأَبَوَيْنِ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ فَخَالَفَهُمَا بِمَا لَا يُعَدُّ فِي الْعُرْفِ مُخَالَفَتُهُ عُقُوقًا فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا.

وَكَذَلِكَ لَوْ كَانَ مَثَلًا عَلَى الْأَبَوَيْنِ دَيْنٌ لِلْوَلَدِ أَوْ حَقٌّ شَرْعِيٌّ فَرَافَعَهُ إِلَى الْحَاكِمِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ عُقُوقًا.

كَمَا وَقَعَ مِنْ بَعْضِ أَوْلَادِ الصَّحَابَةِ: "شِكَايَةُ الْأَبِ إِلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي احْتِيَاجِهِ لِمَالِهِ فَلَمْ يَعُدَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شِكَايَتَهُ عُقُوقًا".

(قُلْت): فِي هَذَا تَأَمُّلٌ فَإِنَّ قَوْلَهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أَنْتَ وَمَالُك لِأَبِيك»: دَلِيلٌ عَلَى نَهْيِهِ عَنْ مَنْعِ أَبِيهِ عَنْ مَالِهِ وَعَنْ شِكَايَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ صَاحِبُ الضَّابِطِ: فَعَلَى هَذَا، الْعُقُوقُ أَنْ يُؤْذِيَ الْوَلَدُ أَحَدَ أَبَوَيْهِ بِمَا لَوْ فَعَلَهُ مَعَ غَيْرِ أَبَوَيْهِ كَانَ مُحَرَّمًا مِنْ جُمْلَةِ الصَّغَائِرِ فَيَكُونُ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ كَبِيرَةً.

أَوْ مُخَالَفَةُ الْأَمْرِ أَوْ النَّهْيِ فِيمَا يَدْخُلُ فِيهِ الْخَوْفُ عَلَى الْوَلَدِ مِنْ فَوَاتِ نَفْسِهِ أَوْ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِهِ فِي غَيْرِ الْجِهَادِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ.

أَوْ مُخَالَفَتُهُمَا فِي سَفَرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِمَا وَلَيْسَ بِفَرْضٍ عَلَى الْوَلَدِ.

أَوْ فِي غَيْبَةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا لَيْسَ لِطَلَبِ عِلْمٍ نَافِعٍ أَوْ كَسْبٍ.

أَوْ تَرْكِ تَعْظِيمِ الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّهُ لَوْ قَدِمَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ، أَوْ قَطَّبَ فِي وَجْهِهِ فَإِنَّ هَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِّ الْغَيْرِ مَعْصِيَةً فَهُوَ عُقُوقٌ فِي حَقِّ الْأَبَوَيْنِ.

وقوله: «**وَوَأْدَ الْبَنَاتِ**»: بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ وَهُوَ دَفْنُ الْبِنْتِ حَيَّةً وَهُوَ مُحَرَّمٌ.

وَخَصَّ الْبَنَاتَ؛ لِأَنَّهُ الْوَاقِعُ مِنْ الْعَرَبِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَرَاهِيَةً لَهُنَّ.

يُقَالُ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَهُ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ التَّيْمِيُّ.

وَكَانَ مِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقْتُلُ أَوْلَادَهُ مُطْلَقًا خَشْيَةَ الْفَاقَةِ وَالنَّفَقَةِ.

وقوله: «**مَنْعًا وَهَاتِ**»: الْمَنْعُ مَصْدَرٌ مِنْ مَنَعَ يَمْنَعُ وَالْمُرَادُ مَنْعُ مَا أَمَرَ اللهُ أَنْ لَا يُمْنَعَ.

وَهَاتِ فِعْلُ أَمْرٍ مَجْزُومٌ وَالْمُرَادُ النَّهْيُ عَنْ طَلَبِ مَا لَا يَسْتَحِقُّ طَلَبَهُ.

وقوله: «**وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ**»: يُرْوَى بِغَيْرِ تَنْوِينٍ حِكَايَةً لِلَفْظِ الْفِعْلِ.

وَرُوِيَ مُنَوَّنًا وَهِيَ رِوَايَةٌ فِي الْبُخَارِيِّ، قِيلًا وَقَالًا، عَلَى النَّقْلِ مِنْ الْفِعْلِيَّةِ إِلَى الِاسْمِيَّةِ وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ.

وَالْمُرَادُ بِهِ: نَقْلُ الْكَلَامِ الَّذِي يَسْمَعُهُ إِلَى غَيْرِهِ فَيَقُولُ قِيلَ كَذَا وَكَذَا بِغَيْرِ تَعْيِينِ الْقَائِلِ وَقَالَ فُلَانٌ كَذَا وَكَذَا.

وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ مِنْ الِاشْتِغَالِ بِمَا لَا يَعْنِي الْمُتَكَلِّمَ وَلِكَوْنِهِ قَدْ يَتَضَمَّنُ الْغِيبَةَ وَالنَّمِيمَةَ وَالْكَذِبَ وَلَا سِيَّمَا مَعَ الْإِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ قَلَّمَا يَخْلُو عَنْهُ.

وَقَالَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ: فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ لِلْقَوْلِ نَقُولُ قُلْت قَوْلًا وَقِيلَا.

وَفِي الْحَدِيثِ الْإِشَارَةُ إِلَى كَرَاهَةِ كَثْرَةِ الْكَلَامِ.

ثَانِيهَا: إرَادَةُ حِكَايَةِ أَقَاوِيلِ النَّاسِ وَالْبَحْثِ عَنْهَا لِتُخْبِرَ عَنْهَا فَتَقُولَ: قَالَ فُلَانٌ: كَذَا وَقِيلَ لَهُ كَذَا.

وَالنَّهْيُ عَنْهُ: إِمَّا لِلزَّجْرِ عَنْ الِاسْتِكْثَارِ مِنْهُ، وَإِمَّا لِمَا يَكْرَهُهُ الْمَحْكِيُّ عَنْهُ.

ثَالِثُهَا: أَنَّ ذَلِكَ فِي حِكَايَةِ الِاخْتِلَافِ فِي أُمُورِ الدِّينِ كَقَوْلِهِ قَالَ فُلَانٌ كَذَا وَقَالَ فُلَانٌ كَذَا.

وَمَحَلُّ كَرَاهَةِ ذَلِكَ: فِي أَنْ يُكْثِرَ مِنْهُ بِحَيْثُ لَا يَأْمَنُ مِنْ الزَّلَلِ، وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ يَنْقُلُ بِغَيْرِ تَثَبُّتٍ فِي نَقْلِهِ لِمَا يَسْمَعُهُ وَلَا يَحْتَاطُ لَهُ؛ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

قُلْت: وَيَحْتَمِلُ إرَادَةَ كُلٍّ مِنَ الثَّلَاثَةِ.

قوله: «وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»: هُوَ السُّؤَالُ لِلْمَالِ، أَوْ عَنْ الْمُشْكِلَاتِ مِنْ الْمَسَائِلِ، أَوْ مَجْمُوعِ الْأَمْرَيْنِ وَهُوَ أَوْلَى وَتَقَدَّمَ فِي الزَّكَاةِ مَسْأَلَةُ الْمَالِ.

«وَقَدْ نَهَى عَنْ الْأُغْلُوطَاتِ». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَهِيَ الْمَسَائِلُ الَّتِي يُغَلَّطُ بِهَا الْعُلَمَاءُ لِيَزِلُّوا فَيَنْتِجُ بِذَلِكَ شَرٌّ وَفِتْنَةٌ.

وَإِنَّمَا نَهَى عَنْهَا لِكَوْنِهَا غَيْرَ نَافِعَةٍ فِي الدِّينِ وَلَا يَكَادُ أَنْ يَكُونَ إلَّا فِيمَا لَا يَنْفَعُ.

وَقَدْ ثَبَتَ عَنْ جَمْعٍ مِنْ السَّلَفِ كَرَاهَةُ تَكَلُّفِ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ وُقُوعُهَا عَادَةً أَوْ يَنْدُرُ وُقُوعُهَا جِدًّا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ التَّنَطُّعِ وَالْقَوْلِ بِالظَّنِّ الَّذِي لَا يَخْلُو صَاحِبُهُ عَنْ الْخَطَأِ.

وَقِيلَ: كَثْرَةُ السُّؤَالِ عَنْ أَخْبَارِ النَّاسِ وَأَحْدَاثِ الزَّمَانِ، وَكَثْرَةُ سُؤَالِ إنْسَانٍ مُعَيَّنٍ عَنْ تَفَاصِيلِ حَالِهِ، وَكَانَ مِمَّا يَكْرَهُهُ الْمَسْئُولُ.

بيان التشديد في إضاعة الْمَال:

وقوله: «وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»: الْمُتَبَادَرُ مِنْ الْإِضَاعَةِ مَا لَمْ يَكُنْ لِغَرَضٍ دِينِيٍّ وَلَا دُنْيَوِيٍّ.

وَقِيلَ: هُوَ الْإِسْرَافُ فِي الْإِنْفَاقِ.

وَقَيَّدَهُ بَعْضُهُمْ بِالْإِنْفَاقِ فِي الْحَرَامِ.

وَرَجَّحَ الْمُصَنِّفُ أَنَّهُ مَا أُنْفِقَ فِي غَيْرِ وُجُوهِهِ الْمَأْذُونِ فِيهَا شَرْعًا سَوَاءٌ كَانَتْ دِينِيَّةً أَوْ دُنْيَوِيَّةً؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى جَعَلَ الْمَالَ قِيَامًا لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ وَفِي التَّبْذِيرِ تَفْوِيتُ تِلْكَ الْمَصَالِحِ إِمَّا فِي حَقِّ صَاحِبِ الْمَالِ أَوْ فِي حَقِّ غَيْرِهِ.

قَالَ: وَالْحَاصِلُ أَنَّ فِي كَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ ثَلَاثَةُ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْوُجُوهِ الْمَذْمُومَةِ شَرْعًا وَلَا شَكَّ فِي تَحْرِيمِهِ.

الثَّانِي: الْإِنْفَاقُ فِي الْوُجُوهِ الْمَحْمُودَةِ شَرْعًا وَلَا شَكَّ فِي كَوْنِهِ مَطْلُوبًا مَا لَمْ يُفَوِّتْ حَقًّا آخَرَ أَهَمَّ مِنْ ذَلِكَ الْمُنْفَقِ فِيهِ.

وَالثَّالِثُ: الْإِنْفَاقُ فِي الْمُبَاحَاتِ وَهُوَ مُنْقَسِمٌ إِلَى قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهٍ يَلِيقُ بِحَالِ الْمُنْفِقِ وَبِقَدْرِ مَالِهِ فَهَذَا لَيْسَ بِإِضَاعَةٍ وَلَا إِسْرَافٍ.

وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ فِيمَا لَا يَلِيقُ بِهِ عُرْفًا فَإِنْ كَانَ لِدَفْعِ مَفْسَدَةٍ إِمَّا حَاضِرَةً أَوْ مُتَوَقَّعَةً فَذَلِكَ لَيْسَ بِإِسْرَافٍ.

وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَالْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ إِسْرَافٌ.

قَالَ ابْنُ دَقِيقِ الْعِيدِ: ظَاهِرُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ إِسْرَافٌ.

وَصَرَّحَ بِذَلِكَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فَقَالَ فِي قِسْمِ الصَّدَقَاتِ: هُوَ حَرَامٌ.

وَتَبِعَهُ الْغَزَالِيُّ، وَجَزَمَ بِهِ الرَّافِعِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْغَارِمِ.

وَقَالَ الْبَاجِيُّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ: إِنَّهُ يَحْرُمُ اسْتِيعَابُ جَمِيعِ الْمَالِ بِالصَّدَقَةِ.

قَالَ: وَيُكْرَهُ كَثْرَةُ إِنْفَاقِهِ فِي مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَلَا بَأْسَ بِهِ إِذَا وَقَعَ نَادِرًا لِحَادِثٍ كَضَيْفٍ أَوْ عِيدٍ أَوْ وَلِيمَةٍ.

وَالِاتِّفَاقُ عَلَى كَرَاهَةِ الْإِنْفَاقِ فِي الْبِنَاءِ الزَّائِدِ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ انْضَافَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَالَغَةُ فِي الزَّخْرَفَةِ وَكَذَلِكَ احْتِمَالُ الْغَبْنِ الْفَاحِشِ فِي الْمُبَايَعَاتِ بِلَا سَبَبٍ.

وَقَالَ السُّبْكِيُّ فِي الْحَلَبِيَّاتِ: وَأَمَّا إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي الْمَلَاذِّ الْمُبَاحَةِ فَهُوَ مَوْضِعُ اخْتِلَافٍ، وَظَاهِرُ قَوْله تَعَالَى {وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧].

أَنَّ الزَّائِدَ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِحَالِ الْمُنْفِقِ إِسْرَافٌ.

وَمَنْ بَذَلَ مَالًا كَثِيرًا فِي عَرَضٍ يَسِيرٍ فَإِنَّهُ يَعُدُّهُ الْعُقَلَاءُ مُضَيِّعًا. انْتَهَى.

وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي الزَّكَاةِ عَلَى التَّصَدُّقِ بِجَمِيعِ الْمَالِ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ. اهـ

****

[بيان أن رضاء الله في رضاء الوالد، وسخط الله في سخط الوالد]

١٤٧١ – (وَعَنْ عَبْدِ اللهِّ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا-، عَنْ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «رِضَا اللهَّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ اللهَّ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ»[١]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن رضاء الله عز وجل في رضا الوالد، وأن سخط الله في سخط الوالد.

قد أعل حديث الباب بالوقف، ولم يثبت حتى موقوفًا، والمعنى صحيح.

بيان حكم طاعة الوالد:

فإن كان أمر الوالد في غير معصية الله عز وجل، فيجب على الولد طاعته.

وكذلك لو كان أمر الوالد في طاعة الله عز وجل، فيجب طاعته.

وإنما لا يطاع الوالد إذا كان أمره في معصية الله عز وجل.

---

[١] رواه الترمذي (١٨٩٩)، وابن حبان (٢٠٢٦ وموارد)، والحاكم (٤/ ١٥١ – ١٥٢)، وفي إسناده عطاء العامري مجهول. واختلف في رفعه ووقفه، ورجح الترمذي وقفه، والموقوف فيه الرجل المذكور، وجاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: "طاعة الله طاعة الوالد، ومعصية الله معصية الوالد"، عند الطبراني، وفي إسناده أحمد بن إبراهيم بن كيسان الثقفي وإسماعيل بن عمرو، وكلاهما مترجم في لسان الميزان، وكلاهما ضعيف. وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

ففي الصحيحين: من حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: « الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[1].

وفي رواية في الصحيحين: «لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ».

قوله: «رِضَا اللهِ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ».

فيه: إثبات صفة الرضا لله عز وجل، وهي من الصفات الفعلية.

قوله: «وَسَخَطُ اللهِ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ».

فيه: إثبات صفة السخط لله عز وجل، وهي من الصفات الفعلية التي تليق بجلال الله عز وجل، وليست كصفات المخلوقين.

يقول الله عز وجل: {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ}.

فنثبت صفتي: "الرضا، والسخط"، على ما يليق بجلال الله عز وجل، وبعظمته، من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تحريف.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/٦٣٢-٦٣٣):

الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى وُجُوبِ إرْضَاءِ الْوَلَدِ لِوَالِدَيْهِ وَتَحْرِيمِ إسْخَاطِهِمَا فَإِنَّ الْأَوَّلَ فِيهِ مَرْضَاةُ اللهِ وَالثَّانِيَ فِيهِ سَخَطُهُ.

فَيُقَدِّمُ رِضَاهُمَا عَلَى فِعْلِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٣٤٠، ٧٢٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٠).

كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-: «أَنَّهُ جَاءَ رَجُلٌ يَسْتَأْذِنُهُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي الْجِهَادِ فَقَالَ: أَحَيٌّ وَالِدَاك؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ».

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُد: مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ-رضي الله عنه-: «أَنَّ رَجُلًا هَاجَرَ إلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ الْيَمَنِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إنِّي قَدْ هَاجَرْت قَالَ: هَلْ لَك أَهْلٌ بِالْيَمَنِ؟ فَقَالَ: أَبَوَايَ قَالَ أَذِنَا لَك؟ قَالَ لَا قَالَ فَارْجِعْ فَاسْتَأْذِنْهُمَا فَإِنْ أَذِنَا لَك فَجَاهِدْ وَإِلَّا فَبِرَّهُمَا» وَفِي إسْنَادِهِ مُخْتَلَفٌ فِيهِ، وَكَذَلِكَ غَيْرُ الْجِهَادِ مِنْ الْوَاجِبَاتِ.

وَإِلَيْهِ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ الْعُلَمَاءِ كَالْأَمِيرِ حُسَيْنٍ ذَكَرَهُ فِي الشِّفَاءِ، وَالشَّافِعِيُّ.

فَقَالُوا: يَتَعَيَّنُ تَرْكُ الْجِهَادِ إذَا لَمْ يَرْضَ الْأَبَوَانِ، إلَّا فَرْضَ الْعَيْنِ: كَالصَّلَاةِ فَإِنَّهَا تُقَدَّمُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا الْأَبَوَانِ بِالْإِجْمَاعِ.

وَذَهَبَ الْأَكْثَرُ إلَى أَنَّهُ يَجُوزُ فِعْلُ فَرْضِ الْكِفَايَةِ وَالْمَنْدُوبِ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ الْأَبَوَانِ مَا لَمْ يَتَضَرَّرَا بِسَبَبِ فَقْدِ الْوَلَدِ.

وَحَمَلُوا الْأَحَادِيثَ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي حَقِّ الْوَالِدَيْنِ، وَأَنَّهُ يَتْبَعُ رِضَاهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ سَخَطُ اللَّهِ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥].

قُلْت: الْآيَةُ إنَّمَا هِيَ فِيمَا إذَا حَمَلَاهُ عَلَى الشِّرْكِ وَمِثْلُهُ غَيْرُهُ مِنْ الْكَبَائِرِ.

وفيه: دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ يُطِيعُهُمَا فِي تَرْكِ فَرْضِ الْكِفَايَةِ وَالْعَيْنِ، لَكِنَّ الْإِجْمَاعَ خَصَّصَ فَرْضَ الْعَيْنِ.

وَأَمَّا إذَا تَعَارَضَ حَقُّ الْأَبِ وَحَقُّ الْأُمِّ فَحَقُّ الْأُمِّ مُقَدَّمٌ؛ لِحَدِيثِ الْبُخَارِيِّ: «قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صُحْبَتِي قَالَ أُمُّك ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ أَبُوك».

فَإِنَّهُ دَلَّ عَلَى تَقْدِيمِ رِضَا الْأُمِّ عَلَى رِضَا الْأَبِ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: مُقْتَضَاهُ أَنْ يَكُونَ لِلْأُمِّ ثَلَاثَةُ أَمْثَالِ مَا لِلْأَبِ.

قَالَ: وَكَأَنَّ ذَلِكَ لِصُعُوبَةِ الْحَمْلِ ثُمَّ الْوَضْعِ ثُمَّ الرَّضَاعِ.

قُلْت: وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} [الأحقاف: ١٥].

وَمِثْلُهَا {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ} [لقمان: ١٤].

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: ذَهَبَ الْجُمْهُورُ إلَى أَنَّ الْأُمَّ تَفْضُلُ عَلَى الْأَبِ فِي الْبِرِّ.

وَنَقَلَ الْحَارِثُ الْمُحَاسِبِيُّ الْإِجْمَاعَ عَلَى هَذَا.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْأَخِ وَالْجَدِّ مَنْ أَحَقُّ بِبِرِّهِ مِنْهُمَا؟

فَقَالَ الْقَاضِي: الْأَكْثَرُ الْجَدُّ وَجَزَمَ بِهِ الشَّافِعِيَّةُ وَيُقَدَّمُ مَنْ أَدْلَى بِسَبَبَيْنِ عَلَى مَنْ أَدْلَى بِسَبَبٍ.





ثُمَّ الْقَرَابَةَ مِنْ ذَوِي الرَّحِمِ وَيُقَدِّمُ مِنْهُمْ الْمَحَارِمَ عَلَى مَنْ لَيْسَ بِمَحْرَمٍ، ثُمَّ الْعَصَبَاتِ ثُمَّ الْمُصَاهَرَةَ ثُمَّ الْوَلَاءَ ثُمَّ الْجَارَ.

وَأَشَارَ ابْنُ بَطَّالٍ: إلَى أَنَّ التَّرْتِيبَ حَيْثُ لَا يُمْكِنُ الْبِرُّ دَفْعَةً وَاحِدَةً.

وَوَرَدَ فِي تَقْدِيمِ الزَّوْجِ: مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-: «سَأَلْت النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَيُّ النَّاسِ أَعْظَمُ حَقًّا عَلَى الْمَرْأَةِ قَالَ: زَوْجُهَا قُلْت: فَعَلَى الرَّجُلِ: قَالَ أُمُّهُ».

وَلَعَلَّ مِثْلَ هَذَا مَخْصُوصٌ بِمَا إذَا حَصَلَ التَّضَرُّرُ لِلْوَالِدَيْنِ فَإِنَّهُ يُقَدَّمُ حَقُّهُمَا عَلَى حَقِّ الزَّوْجِ جَمْعًا بَيْنَ الْأَحَادِيثِ. اهـ

****

[بيان أن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا أحب لجاره وأحب لأخيه ما يحب لنفسه]

١٤٧٢ – (وَعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – عَنْ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ – أَوْ لِأَخِيهِ– مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن إيمان المسلم لا يكمل حتى يحب لأخيه، أو لجاره، ما يحب لنفسه.

قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ».

فيه: الحلف بدون استحلاف؛ لتأكيد الأمر المحلوف عليه.

وفيه: إثبات صفة اليد لله عز وجل.

قوله: «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ».

أي لا يكمل إيمانه.

فليس المراد نفي الإيمان، بحيث أنه يكفر والعياذ بالله عز وجل كما يقول ذلك الخوارج، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم من أهل البدع والتكفير.

قوله: «حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ – أَوْ لِأَخِيهِ– مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

---

[1] أخرجه الإمام البخاري (١٣)، والإمام مسلم (٤٥) (٧٢)، واللفظ لمسلم.




أي من الخير.

على ما جاء في بعض الروايات.

ففي سنن الإمام النسائي رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ» [(١)].

وفي صحيح مسلم: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ، قَالَ: «فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ» [(٢)].

****

[(١)] أخرجه الإمام النسائي في سننه (٥٠١٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف النسائي. وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم (٧٣): والزيادة – أي ما يحب لنفسه (من الخير)- لأبي عوانة والنسائي وأحمد في رواية لهم وإسنادها صحيح.

[(١)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٤).

[بيان أعظم الحقوق]

١٤٧٣ – (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِّ – صلى الله عليه وسلم – أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهِّ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ». قُلْتُ ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ» (1). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أعظم الحقوق.

قوله: «وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه –».

وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه.

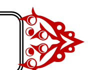
كان من كبار فقهاء الصحابة رضي الله عنهم.

وكان من القراء الذي أرشد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى القراءة عنهم.

قوله: «قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِّ – صلى الله عليه وسلم –».

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٤٧٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٦) وزاد: فأنزل الله –عز وجل– تصديقه: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان: ٦٨]. ().





فيه: سؤال الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عما ينفعهم في أمر دينهم، ودنياهم، وأخراهم.

قوله: «أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟».

فيه: أن الذنوب تتعاظم وتتفاضل بعضها عن بعض.

فمنها الشرك والكفر بالله عز وجل، ومنها الشرك الأصغر، ومنها البدع، ومنها الكبائر، ومنها أكبر الكبائر، ومنها ما هو دون ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»[1].

ويقول الله عز وجل : {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

قوله: «قَالَ: «أَنْ تَجْعَلَ للهَّ نِدًّا، وَهُوَ خَلَقَكَ»".

النِد: هو المثيل، والنظير، والشبيه، والكفء، والسمي، ونحو ذلك.

فالشرك: أن تجعل لله عز وجل مثيلًا، ونظيرًا، وشبيهًا، وكفئًا، سميًا، وهو الذي خلقك ورزقك، وأنعم عليك النعم الظاهرة والباطنة.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٧٦٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٩).

وغير الله عز وجل لا يستطيع أن يخلق، ولا يرزق .

فهذا من أجمع معاني الشرك، ولا سيما هو تفسير أعلم الخلق بربه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

يقول الله عز وجل : {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا}.

ويقول الله عز وجل : {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ويقول الله عز وجل : {وَقُلِ الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا}.

ويقول الله عز وجل : {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}.

يقول الله عز وجل مبينًا لنا حال المشركين يوم القيامة: {قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللهَّ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ}.

قوله: "قُلْتُ ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ»".

فيه أن فقتل النفس المحرمة بغير حق من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله عز وجل، وقد جاء ذلك مبينًا في كثير من الأدلة.

ويزاد إثمًا إلى إثمه: إن كان المقتول ولده، وقتله مخافة أن يأكل ويطعمهم معه .

قوله: "قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ»".

وفيه الزنى من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله عز وجل، وبعد القتل بغير حق للنفس المعصومة، ولكن الزنى في حق الجار يزاد إثمًا، مع إثم الزنى نفسه، لأن حق الجار عظيم.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من حديث الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟ " قَالُوا: حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: "لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ"، قَالَ: فَقَالَ: "مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟" قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: "لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشَرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ»[١].

****

---

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٨٥٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الجامع (٢٥٤٩). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١١٤١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

[باب الزهد والورع]

[بَابُ الزُّهْدِ وَالْوَرَعِ]

الشرح: ****************************

بيان معنى الورع والزهد وبيان أيهما أعلى مرتبة من الآخر:

الورع: هو ترك ما يضر في الآخرة.

والزهد: هو ترك ما لا ينفع في الآخرة.

فعلى هذا يكون الزهد أعلى درجة من الورع.

لأن الورع: هو ترك المحرم؛ فهو الذي يضر في الآخرة.

أما الزهد: هو ترك كل شيء لا ينفع صاحبه يوم القيامة، ولو كان الشيء

وقيل: العكس، أن الورع أعلى من الزهد.

وقيل: بأن الزهد والورع بمعنى متقارب.

فكل عمل لا يقربك من الله عز وجل فتركه من الورع والزهد.

وهذا الباب أوسع من باب الحلال والحرام.

فيدخل في باب الورع ترك كثير من المشتبهات؛ حتى وإن كنا لا نعلم بحرمتها ورعا .

بل ربما يترك بعض الحلال خشية أن يوصل إلى الحرام، أو لشبهة فيه.

وقد ألف العلماء رحمة الله عليهم قديمًا في هذا الباب ومن أنفسهم ذلك .

" الزهد"، للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى.

و"الزهد"، للإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى.

و"الزهد"، للإمام وكيع بن الجراح رحمه الله تعالى.

وذكر في المسانيد، والجوامع، كثيرًا مما يتعلق في هذا الباب.

هذا الباب من المهمات؛ لأن الإنسان إذا لم يحصل له الزهد عن كثير من ملذات الدنيا؛ ربما جره ذلك إلى الوقوع في كثير من البلايا، والمصائب، والمعاصي، والمحرمات.

بل قد يجره ذلك إلى الوقوع في الكبائر، وربما وقع في الشركيات والخرفات، وفي البدع والكفر بالله عز وجل.

فإذا تعلق قلب الإنسان بالدنيا أخلد إليها وصار من أصحابها .

يقول الله عز وجل : {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ

زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}.

ويقول الله عز وجل: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}.

ويقول الله عز وجل: {يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر: ٣٩].

ويقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}.

والأدلة في الباب كثيرة جدًا، كما سنرى مما يسوقه المصنف رحمه الله.

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ

أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»[(١)].

والحديث ضعيف، من طريق خالد بن عمرو القرشي كذاب وضاع، ولكن معناه صحيح.

قال العقيلي: " ليس له من حديث الثوري أصل، وقد تابعه محمد بن كثير الصنعاني ولعله أخذه عنه ودلسه لأن المشهور به خالد هذا ".

وعلى كل فمعناه صحيح؛ لأن من زهد في الدنيا، لازم عمل الآخرة؛ فأحبه الله عز وجل.

ومن زهد فيما عند الناس، ولم ينافسهم على أمور الدنيا؛ أحبه الناس .

وذلك أن الناس يزهدون فيمن يسألهم أموالهم، ويزاحمهم وينافسهم في أمور الدنيا.

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤١٠٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٩٤٤)، وقال فيه: وقد وجدت له شاهدا مرسلا بإسناد جيد بلفظ: " ازهد في الدنيا يحبك الله وأما الناس، فانبذ إليهم هذا يحبوك "،... ثم قال: وجملة القول أن الحديث صحيح بهذا الشاهد المرسل، والطرق الموصولة المشار إليها. والله أعلم.

يقول الله عز وجل : {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ}.

وكلما كان الإنسان بعيدًا عن شأنهم، كان حب الناس له أعظم، وكان تقدير الناس له أجل.

لأنهم يعرفون أن هذا الرجل ليس صاحب دنيا، وليس له همة في تحصيلها .

وكم أفسدت الدنيا من علماء؛ لما زاحموا أصحاب الكراسي على كراسيهم، وأصحاب المناصب على مناصبهم، وأصحاب الدنيا على دنياهم.

ولن يستقيم حال العبد إلا بالزهد والورع.

بيان أقسام العلم:

وينقسم العلم أربعة أقسام:

الأول: ربع العبادات.

الثاني: ربع الاعتقادات.

الثالث: ربع المعاملات.

الرابع: ربع الزهديات والورع.

بيان أن تحريم ما أحل الله عز وجل ليس من الزهد:

وليس من الزهد، والورع، تحريم ما أحل الله عز وجل من الطيبات من الرزق، قال الله عز وجل: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٢]، وعَنْ أَنَسٍ، أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه .

وإنما كان هذا حال الرهبان، والقساوسة، وغلاة الصوفية، ومن إليهم من أهل البدع والخرافات.

إذ أن كثيراً من الصوفية يحرمون المكاسب، ويلبسون ثياب الصوف في الصيف، ولثياب رقيقة في الشتاء، زعما منهم أن هذا من الورع، والزهد، ولا والله إنما هو من البدع .

بيان أن نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم الناس زهدا وورعاً الزهاد:

وأعظم الناس زهداً وورعاً هو نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولم ينقل عنه مثل هذا عنه.

بل ولم يفعله صحابته رضي الله عنهم، وهم أزهد الناس في هذه الأمة بعد نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ولا فعله التابعون لهم، ولا أتباع التابعين، وهم أصحاب القرون الثلاثة المفضلة التي شهد لها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالخير، والعلم، والفضل، والإيمان.

ومع ذلك فقد جاء في مسلم: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[(١)].

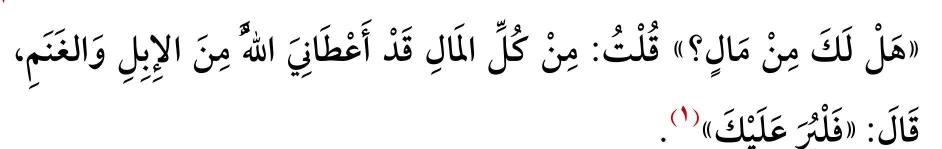
كما جاء ذلك في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي الأَحْوَصِ، عَنْ أَبِيهِ- وهو مالك بن نضلة الجشمي- رضي الله عنه-- قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِّ، الرَّجُلُ أَمُرُّ بِهِ فَلَا يَقْرِينِي وَلَا يُضَيِّفُنِي فَيَمُرُّ بِي أَفَأُجْزِيهِ؟ قَالَ: «لَا، أَقْرِهِ» قَالَ: وَرَآنِي رَثَّ الثِّيَابِ، فَقَالَ:

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩١).





«هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ؟» قُلْتُ: مِنْ كُلِّ المَالِ قَدْ أَعْطَانِيَ اللَّهُ مِنَ الإِبِلِ وَالغَنَمِ، قَالَ: «فَلْيُرَ عَلَيْكَ»[1].

وفي لفظ النسائي: «فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا، فَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ»[2].

وفي سنن الإمام النسائي رحمه الله تعالى:

من حديث عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ»[3].

وفي الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ -رضي الله عنه- قَالَ: "بَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَنِي أَنْ آخُذَ عَلَيَّ ثِيَابِي وَسِلَاحِي، ثُمَّ آتِيهِ، فَفَعَلْتُ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَصَعَّدَ إِلَيَّ الْبَصَرَ ثُمَّ طَأْطَأَ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عَمْرُو، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ

---

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٠٠٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٠٩٩).

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٥٢٢٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف النسائي.

(٢) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٢٥٥٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف النسائي.

أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُغْنِمُكَ اللهُ، وَأَرْغَبُ لَكَ رَغْبَةً مِنَ الْمَالِ صَالِحَةً» ، قُلْتُ: إِنِّي لَمْ أُسْلِمْ رَغْبَةً فِي الْمَالِ، إِنَّمَا أَسْلَمْتُ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ فَأَكُونُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»[(١)].

****

(١) أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (٢٩٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في (٢٢٩/٢٩٩). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٠٠٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

[بيان أن الأحوط إجتناب المشتبهات]

١٤٨٢ – (عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ – وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[(١)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان البعد عن المشتبهات .

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ١٩٤): قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ» مَعْنَاهُ: أَنَّ الْحَلَالَ الْمَحْضَ بَيِّنٌ لَا اشْتِبَاهَ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الْحَرَامُ الْمَحْضُ، وَلَكِنْ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ أُمُورٌ تَشْتَبِهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، هَلْ هِيَ مِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ؟ وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، فَلَا يَشْتَبِهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَيَعْلَمُونَ مِنْ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٩٩).

أَيِّ الْقِسْمَيْنِ هِيَ. فَأَمَّا الْحَلَالُ الْمَحْضُ: فَمِثْلُ أَكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الزُّرُوعِ، وَالثِّمَارِ وَبَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَشُرْبِ الْأَشْرِبَةِ الطَّيِّبَةِ، وَلِبَاسِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْقُطْنِ وَالْكَتَّانِ، أَوِ الصُّوفِ أَوِ الشَّعْرِ، وَكَالنِّكَاحِ، وَالتَّسَرِّي وَغَيْرِ ذَلِكَ إِذَا كَانَ اكْتِسَابُهُ بِعَقْدٍ صَحِيحٍ كَالْبَيْعِ، أَوْ بِمِيرَاثٍ، أَوْ هِبَةٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالْحَرَامُ الْمَحْضُ: مِثْلُ أَكْلِ الْمَيْتَةِ، وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَنِكَاحِ الْمَحَارِمِ، وَلِبَاسِ الْحَرِيرِ لِلرِّجَالِ، وَمِثْلُ الْأَكْسَابِ الْمُحَرَّمَةِ كَالرِّبَا وَالْمَيْسِرِ وَثَمَنِ مَالَا يَحِلُّ بَيْعُهُ، وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ الْمَغْصُوبَةِ بِسَرِقَةٍ أَوْ غَصْبٍ أَوْ تَدْلِيسٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الْمُشْتَبِهُ: فَمِثْلُ بَعْضِ مَا اخْتُلِفَ فِي حَلِّهِ أَوْ تَحْرِيمِهِ، إِمَّا مِنَ الْأَعْيَانِ كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ، وَالضَّبِّ، وَشُرْبِ مَا اخْتُلِفَ فِي تَحْرِيمِهِ مِنَ الْأَنْبِذَةِ الَّتِي يُسْكِرُ كَثِيرُهَا، وَلُبْسِ مَا اخْتُلِفَ فِي إِبَاحَةِ لُبْسِهِ مِنْ جُلُودِ السِّبَاعِ وَنَحْوِهَا، وَإِمَّا مِنَ الْمَكَاسِبِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا كَمَسَائِلِ الْعِينَةِ وَالتَّوَرُّقِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَبِنَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى فَسَّرَ الْمُشْتَبِهَاتِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْأَئِمَّةِ.

وَحَاصِلُ الْأَمْرِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ الْكِتَابَ، وَبَيَّنَ فِيهِ لِلْأُمَّةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [النحل: ٨٩] (النَّحْلِ: ٨٩) قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ: كُلُّ شَيْءٍ أُمِرُوا بِهِ أَوْ نُهُوا عَنْهُ، وَقَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ (الْآيَةَ: ١٧٦) الَّتِي بَيَّنَ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ أَحْكَامِ الْأَمْوَالِ وَالْأَبْضَاعِ: {يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ} [النساء: ١٧٦] وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} [الأنعام: ١١٩] (الْأَنعَامِ: ١١٩)، وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} [التوبة: ١١٥] (التَّوْبَةِ: ١١٥) وَوَكَّلَ بَيَانَ مَا أَشْكَلَ مِنَ التَّنْزِيلِ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: ٤٤] (النَّحْلِ: ٤٤) وَمَا قُبِضَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلِأُمَّتِهِ الدِّينَ، وَلِهَذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ بِعَرَفَةَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمُدَّةٍ يَسِيرَةٍ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣] (الْمَائِدَةِ: ٣) . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تَرَكْتُكُمْ عَلَى بَيْضَاءَ نَقِيَّةٍ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ» . وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا طَائِرٌ يُحَرِّكُ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا. . اهـ

قوله: «النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-».

صحابي أنصاري، من صغار الصحابة رضي الله عنهم.

وأمه: عمرة بنت رواحة رضي الله عنها.

وله قصة في باب الهبة.

ففي الصحيحين: من حديث النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ: «أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً، فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ -رضي الله عنها-: لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ»، قَالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ"[1].

قوله: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ - وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ».

وذلك لتأكيد السمع من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأنه أخذ الحديث من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مشافهة، وهذا أرفع أنواع الشمل .

قوله: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ».

أي واضح معروف في الكتاب، والسنة، لا إشكال فيه .

قوله: «وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ».

أي واضح، لا إشكال فيه، يعلمه معلوم أنه حرام.

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥٨٧، ٢٦٥٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦٢٣).

قوله: «وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ».

وربما كان اشتباهها إلى احل، أو إلى الحرمة.

فمن الورع البعد عن مثل هذه المشتبهات؛ لما قد تؤدي إليه من التبعات، والوقوع في المحرمات .

قوله: «لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ».

والمعنى أن كثيرًا من الناس لا يعلمون حكم المشتبهات.

وهناك من حكمها، ولا سيما أهل العلم، والطلبة الذين فتح الله عليهم بالعلم الشرعي الذي يستطيعون به أن يميزوا بين الحلال والحرام .

فمن علم حلها فلا حرج عليه في تعاطيها؛ ومن علم حرمتها فعليه اجتنابها.

ومن لم يتبين فيها الحل، أو الحرمة، وأصبح مترددًا فيها، فالمتيقن البعد عنها؛ احتياطًا من الوقوع في المحرمات وهو لا يدري .

وعليه أن يسأل عنها أهل العلم، فهم الذين يميزون بين الحرام، والحلال، والأمور المشتبهة.

قوله: «فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ».

أي جعل بينها وبينه وقاية، بحيث لا يغشاها، ولا يأتيها .

قوله: «فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ».

ومعناه: أن من وقع في الشبهات قد يلحقه الضرر في دينه، وعرضه.

فالضرر في الدين: من حيث يضعف، وينقص إيمانه .

والضرر في عرضه: من حيث أن الناس قد يتكلمون فيه .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث عَمْرِو بْنِ الشَّرِيدِ، عَنْ أَبِيهِ الشريد بن سويد الثقفي رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ، وَعُقُوبَتَهُ»[1] .

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: «يُحِلُّ عِرْضُهُ يُغَلَّظُ لَهُ، وَعُقُوبَتَهُ يُحْبَسُ لَهُ».

قوله: «وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ».

أي أن من وقع في الشبهات كاد أن يقع في الحرام، هذا هو المعنى من الحديث، ويعرف ذلك من سياقه .

لأن الشبهات تجر صاحبها إلى الوقوع في المحرمات، فمن تساهل ووقع في الشبهات، ولم يستبرأ لدينه وعرضه .

ومما يدل على هذا المعنى من أن المراد: أنه يكاد أن يقع في المحرمات .

قوله: «كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ».

---

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٦٢٨)، والإمام النسائي في سننه (٤٦٨٩)، والإمام ابن ماجه في سننه (٢٤٢٧)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

فصرح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذا اللفظ أنه لم يقع فيه بعد، ولكنه يوشك أن يقع فيه؛ لقربه من المحرمات .

والحمى: هو الذي يمنع فيه الناس من الرعي الصيد، ونحوه .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى».

أي أن لكل ملك، أو رئيس، أو شيخ قبيلة، له حمى خاص؛ يجعله لبقره، أو غنمه، أو إبله، أو يجعله لحوائج المسلمين.

قوله: «أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ».

أي أن الله عز وجل جعله حماه المحارم، فمن وقع في المحرمات، فقد وقع في حمى الله عز وجل.

فلا يجوز لأحد من الناس أن يقع في محارم الله عز وجل .

قوله: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

وهذا في دليل على أن القلب فيه صلاح الباطن، والظاهر.

وأن القلب هو ملك الجسد وقائده، فإن كان القلب صالحًا كان سائر الجسد كذلك، وإن كان القلب فاسدًا كان سائر الجسد كذلك.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[1].

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما-، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ» ، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ، نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»[2].

يقول الله عز وجل : {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}.

****

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٤).

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤٢١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في الصحيحة برقم (٩٤٨)، وقال فيه: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

[بيان تعاسة عبد الدينار والدرهم]

١٤٨٣ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ»[1]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ***************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تعاسة عبد الدينار، والدرهم.

والحديث له قصة:

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ»[2]، وَقَالَ: «فَتَعْسًا»: كَأَنَّهُ يَقُولُ: فَأَتْعَسَهُمُ اللَّهُ، طُوبَى: فُعْلَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ، وَهِيَ يَاءٌ حُوِّلَتْ إِلَى الوَاوِ وَهِيَ مِنْ يَطِيبُ ".

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٣٥). وزاد «والخميصة».

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٨٧).

فالحال يحمل على احتمالين:

الأول: إما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا على من كان هذا حاله، ودعاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مستجاب في الغالب.

الثاني: وإما أن يكون أخبر خبرًا، وخبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم صدق .

وشبه الحريص على جمع الدنيا بعابد الدرهم، ؛ لأنه فرط فيها خلق من أجله، وانشغل بجمع الدراهم، والدنانير، وبالتجارة وغيرها.

كان الواجب عليه أن يعبد الله عز وجل، وأن لا يفرط في ذلك.

قوله: «تَعِسَ».

دعاء بالتعاسة، وهو أي سقط، والمراد هنا هلك. وقيل ضد سعد أي شقي .

قوله: «عَبْدُ الدِّينَارِ».

الدينار: هو من الذهب.

والدينار يقدر بالجرامات: بأربعة جرامات وربع.

قوله: «وَالدِّرْهَمِ».

الدرهم: من الفضة.

قوله: «وَالْقَطِيفَةِ».





القطيفة: هي نوع من اللباس، والأقمشة المزينة والملونة، وتكون في الغالب غليظة وهي معروفة باسمها إلى يومنا هذا.

قوله: «إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ».

أي مما ذكر من حطامها رضي بالدنيا؛ لأنها مراده .

قوله: «وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ».

لأن حرصه الأكبر هو في تحصيل الدنيا، ملذاتها، ولا هم له في الدار الآخرة، وفيما يقربه من الله عز وجل بالأعمال الصالحة.

فالحديث يحث على الزهد، والورع، والحرص على ما ينفع؛ لأن الدنيا لا تدوم لصاحبها.

قال الحافظ الفتح (١١/ ٢٥٤): قَالَ بن الْأَنْبَارِيِّ التَّعْسُ الشَّرُّ قَالَ تَعَالَى فَتَعْسًا لَهُمْ أَرَادَ أَلْزَمَهُمُ الشَّرَّ وَقِيلَ التَّعْسُ الْبُعْدُ أَيْ بُعْدًا لَهُمْ وَقَالَ غَيْرُهُ قَوْلُهُمْ تَعْسًا لِفُلَانٍ نقيض قَوْلهم لعاله فَتَعْسًا دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْعَثْرَةِ وَلَعًا دُعَاءٌ لَهُ بِالِانْتِقَاشِ قَوْلُهُ عَبْدُ الدِّينَارِ أَيْ طَالِبُهُ الْحَرِيصُ عَلَى جَمْعِهِ الْقَائِمُ عَلَى حِفْظِهِ فَكَأَنَّهُ لِذَلِكَ خَادِمُهُ وَعَبْدُهُ قَالَ الطِّيبِيُّ قِيلَ خُصَّ الْعَبْدُ بِالذِّكْرِ لِيُؤْذَنَ بِانْغِمَاسِهِ فِي مَحَبَّةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا كالأسير الَّذِي لا يجد خَلَاصًا وَلَمْ يَقُلْ مَالِكُ الدِّينَارِ وَلَا جَامِعُ الدِّينَارِ لِأَنَّ الْمَذْمُومَ مِنَ الْمِلْكِ وَالْجَمْعِ الزِّيَادَةُ عَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ وَقَوْلُهُ إِنْ أُعْطِيَ إِلَخْ يُؤْذِنُ بِشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ غَيْرُهُ جَعَلَهُ

عَبْدًا لَهُمَا لِشَغَفِهِ وَحِرْصِهِ فَمَنْ كَانَ عَبْدًا لِهَوَاهُ لَمْ يَصْدُقْ فِي حَقِّهِ إِيَّاكَ نعبد فَلَا يَكُونُ مَنِ اتَّصَفَ بِذَلِكَ صِدِّيقًا قَوْلُهُ وَالْقَطِيفَة هِيَ الثَّوْبُ الَّذِي لَهُ خَمْلٌ وَالْخَمِيصَةُ الْكِسَاءُ الْمُرَبَّعُ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي كِتَابِ الْجِهَادِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ بِلَفْظِ تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ تَعِسَ وَانْتَكَسَ وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ وَقَوْلُهُ وَانْتَكَسَ أَيْ عَاوَدَهُ الْمَرَضُ فَعَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ تَفْسِيرِ التَّعْسِ بِالسُّقُوطِ يَكُونُ الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا قَامَ مِنْ سَقْطَتِهِ عَاوَدَهُ السُّقُوطُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى بِانْتَكَسَ بَعْدَ تَعِسَ انْقَلَبَ عَلَى رَأْسِهِ بَعْدَ أَنْ سَقَطَ . اهـ

****




[بيان كون الإنسان في الدنيا غريب، أو عابر سبيل]

١٤٨٤ – (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ –رضي الله عنهما– يَقُولُ: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ". (١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث للحث على الزهد في الدنيا.

وأن حال الإنسان في الدنيا، كحال الغريب، أو كحال العابر سبيل، إلى الدار الآخرة.

والغريب: حاله أنه لا يستقر.

فلا ينبغي لعاقل أن ينخدع بالدنيا، وأن يغتر بها؛ لأنه مهما عمر فيها سيرحل عنها، وسيترك ما ورائه لغيره.

وكذلك الغريب لا يبني له بيتًا في بلاد الناس، وإنما يحرص كل الحرص على أن يبني له بيتًا في بلده.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤١٦).

ونحن في هذه الحياة الدنيا غرباء، فلا ينبغي لنا أن ننشغل بها، وننسى الدار الآخرة التي هي دارنا الحقيقة.

يقول الله عز وجل : {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}.

قوله: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – بِمَنْكِبِي».

المنكب: ما بين الكتف والرقبة.

وفعل ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليكون أوقع في نصحه، وأبلغ في إيصال الفائدة إليه.

قوله: «كُنْ فِي الدُّنْيَا».

أي في عمرك اليسير الذي ستعيشه في هذه الدنيا.

وسميت الدنيا ؛ لدناءتها، فهي دار تفنى ولا تبقى لأهلها وقيل سميت بذلك لقربها .

قوله: «كَأَنَّكَ غَرِيبٌ».

أي غير موطنه، فالإنسان في الدنيا غريب؛ لأنها ليست بدار مقام له، وإنما هي دار ممر إلى الدار الحقيقية، الدار الآخرة، دار الحيوان.

فمهما عمر الإنسان في الدنيا لا بد له من الموت، والرحيل عنها.

قوله: «أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

أي المسافر في الطريق يعبرها إلى غيرها، فعابر السبيل لا يلتفت إلى ما فاته؛ لأنه يعلم أنه سيجد بغيته في أمامه، في البلد التي هو إليها .

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللهَّ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: "نَامَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهَّ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً"، فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» [1].

وفي مستدرك الحاكم رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[2].

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٧٧)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤١٠٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[1] أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه (٧٨٤٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٣٥٥).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ»[١].

قوله: «وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ».

أي أن ابن عمر رضي الله عنهما أخذ بوصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعمل بها، وزاد عليها هذه الكلمات.

قوله: «إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ».

أي لعل الموت يأتيك وأنت نائم في ليلك.

وكما قيل:

المـــوت يأتي بغتـــة ... والقبر صندوق العمل

قوله: «وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ».

أي لعل الموت، يأتيك وأنت في نهارك.

فلا بد أن تستعد له بالأعمال الصالحة، وبما يقربك من رضوان الله عز وجل عنك، ويبعدك من عذابه، ومن ناره، وعقابه.

يقول الله عز وجل : {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}، ويقول: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا

---

[٢] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤١٢).

وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: ٩٧ - ٩٩].

قوله: «وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِسَقَمِك».

أي استغل صحتك، ونشاطك، وأيام قوتك، وفراغك، في طاعة الله عز وجل، وتزود من الأعمال الصالحة بقدر ما تستطيع.

فلعل الله عز وجل أن يبتليك بمرض، أو سقم، أو شغل، فلا تستطيع بعد أن تفعل كما كنت في قوتك، ونشاطك، وصحتك، وفراغك.

ومن كان في حال صحته وحال فراغه وحال شبابه وقوته في طاعة الله عز وجل كان على خير عظيم.

فإذا قدر الله عز وجل عليه بمرض، أو بشغل، أو كبر سن وضعف؛ فإن الله عز وجل يكتب له بفضله، وكرمه، وإحسانه، وجوده، ما كان يعمل من الأعمال الصالحة وهو في حال صحته، وقوته وشابه، وحال فراغه.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي مُوسَى - رضي الله عنه- يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا»[1].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩٩٦).

قوله: «وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

أي وخذ من حياتك عملا ينفعك بعد موتك .

لأن الموت يقطع على الإنسان عمله الصالح، إلا ما كان من صدقة جارية، أو دعاء ولد صالح، أو علم ينتفع به وما في باب ذلك من أعمال البر.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قال: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا»[2].

ويقول الله عز وجل : {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ}.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٦٣١).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٢).





ويقول الله عز وجل : {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى}، والله المستعان .

****

[بيان النهي عن التشبه بالكفار وبالمشركين]

١٤٨٥ – (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ»[1]. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله الحديث لبيان النهي عن التشبه بالكافرين، وبالمشركين، ولتحريم ذلك.

وظاهر الحديث أن المتشبه بالكافرين والمشركين لا يخلو حاله عن أمرين:

الأمر الأول: أن يتشبه بهم، وهو يحبهم، ويعظمهم، ويفضلهم على المسلمين، فهذا يعتبر ردة عن دين الإسلام، وكفره هنا كفر أكبر .

الأمر الثاني: أن يتشبه بهم، وهو لا يرى تفضيلهم على المسلمين، ولا يرى الحب والتعظيم لهم، وإنما لرغبة في الملبس .

فهذا لا يكفر، ولكنه يكون مرتكبًا لكبيرة من الكبائر؛ للوعيد المذكور في الحديث.

فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل المتشبه بالكفار منهم.

---

[1] أخرجه الإمام أبو داود (٤٠٣١)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود: حسن صحيح.

والحديث ليس على إطلاقه، وإنما يرجع إلى حال المتشبه بهم.

وكذلك التشبه بهم في عقائدهم الشركية والكفرية فإنه يكفر بالله عز وجل.

والتشبه بالكفار حرمه الله عز وجل .

قال تعالى: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}.

ويقول الله عز وجل: {وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}.

فالأدلة عامة في النهي عن التشبه بهم في كل شيء يخص المشركين، والكافرين، فلا يجوز للمسلم أن يكون منهم، ولا مثلهم، ولا على طريقتهم.

لا في عقائدهم الشركية والكفرية، ولا في مآكلهم، ومشاربهم، ولا في ملابسهم، وعاداتهم، ولا في أعيادهم، أو شيء مما يخصهم.

بل يجب على المسلم أن يعتز بدينه، وأن يتميز عنهم في كل شيء يستطيع أن يتميز عنهم به.

يقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

وقد علم اليهود من حال النبي ﷺ ذلك حتى صرحوا به، ففي حديث أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ} [البقرة: ٢٢٢] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا، فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا » أخرجه مسلم .

ونهى ﷺ عن الصلاة عند طلوع الشمس، وعند غروبها، لسد ذرائع التشبه بالكافرين والمشركين؛ فإنها ساعة يقصدها الكفار بالصلاة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه وفيه قال: «فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ، قَالَ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ...»[(١)].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضي الله عنهما-، أَخْبَرَهُ، قَالَ: «رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا»[(٢)].

وفي رواية أخرى لمسلم: «أَأُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذَا؟» قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا، قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا».

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٣٢).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٠٧٧).





وقد تكلمنا على هذه المسألة بتوسع في كتاب: "الأدلة الرضية في حكم الدمقراطية".

إذ أن الناس قد تشبهوا بالكفار في أكل الربا، ولباس البناطيل، وحلق شعورهم، ولحاهم، وفي كثير من الأحكام الشرعية، مثل التحزب، والانتخابات، والدمقراطية، ومساواة المرأة بالرجل، وفي كثير من شؤون حياتهم.

قوله: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ».

المتشبه بالكفار وبالمشركين على أقل الأحوال حاله أنه واقع في كبيرة من كبائر الذنوب .

ما لم يصل به الحال إلى حبهم، وتفضيلهم على المسلمين، وتعظيمهم، والتشبه بهم في عقائدهم الكفرية، وعباداتهم؛ فهنا يكون قد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة، ووقع في الردة، والعياذ بالله عز وجل.

****




[بيان وجوب مراقبة الله عز وجل في السر وفي العلن]

١٤٨٦ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ»[1].

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان وجوب مراقبة الله عز وجل في السر، وفي العلن.

وللحديث تتمة ولفظه من سنن الإمام الترمذي:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهَّ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهَّ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ».

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٦٨٥).

قوله: «كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – يَوْمًا».

أي رديفا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حيث أردفه على حمار.

وقد أردف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جماعة من الصحابة رضي الله عنهم .

منهم: عبد الله بن عباس وأخوه الفضل وأسامة بن زيد ومعاذ بن جبل وعبد الله بن جعفر والحسن والحسين رضي الله عنهم، وغيرهم .

ففيه: تواضع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وركوبه للحمار.

وفيه: جواز الإرداف في الركوب على الحمار، وأن هذا ليس من الظلم في حق الحمار؛ إذا كان لا يشق عليه .

قوله: "فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! »".

قالها للتنبيه، والغلام يطلق على الصغير وما فوق البلوغ أيضاً .

قوله: " احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ".

أي احفظ دين الله عز وجل: بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده.

يحفظك الله عز وجل: في منشطك، ومكرهك، وجميع شأنك.

وإلا فإن الله عز وجل غني عن طاعة عباده، ولا تضره معصيتهم .

يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ}.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا،

فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»[1].

قَالَ سَعِيدٌ: "كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ".

فإذا حفظت دين الله عز وجل، فإن الله عز وجل يحفظك من بين يديك، وخلفك، يحفظك في عقيدتك، وأخلاقك، يحفظك في جميع أعمالك.

قوله: «احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ».

أي احفظ حدود الله عز وجل، فالمأمور بفعله وامتثاله، واحفظ المحظور بتركه واجتنابه، تجد الله عز وجل تجاهك، في كل وقت، وحين، يحفظك ويرعاك ويسددك ويعينك.

قوله: «وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللهَّ».

أي لا تجعل قلبك يتعلق بغير الله عز وجل أبدًا، وإنما علقه بالله عز وجل في كل شيء تحتاج إليه من أمور الدين، والدنيا، وأمور الآخرة.

فلا تسأل أحدًا غير الله عز وجل مهما يكن هذا الشيء، ولو كان حقيرًا؛ فإن هذا علامة على حسن الظن بالله عز وجل، وعلى كمال الإيمان بالله عز وجل، وكمال التوكل على الله عز وجل، وكمال اليقين بالله عز وجل.

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).




يقول الله عز وجل : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.

ويقول الله عز وجل : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ، قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَرَّتَيْنِ، قَالَ: " لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ الْمَيِّتِ، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ " قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِنْ أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ، أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرَاءَ - أَوْ فَلَاةٍ - فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ، رَدَّهَا عَلَيْكَ»، قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا» قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً، قَالَ: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ، وَإِنِ امْرُؤٌ

شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»[1].

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث سَلْمَانَ الفارسي -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[2].

قوله: «وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِّ».

الاستعانة: هي طلب العون.

والاستعانة لا تكون إلا بالله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، ومن صرفها لغير الله عز وجل فقد وقع في الشرك الأكبر المخرج من الملة.

بيان مشروعية الاستعانة بالمخلوق:

ولكن تجوز الاستعانة بالمخلوق إذا تحقق فيها شروط:

الأول: أن تكون فيما يقدر عليه المخلوق.

الثاني: أن يكون المخلوق حيًا.

---

(1) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٠٨٤). وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٩٦).

(2) أخرجه الإمام أبي داود في سننه (١٤٨٨)، والإمام الترمذي في سننه (٣٥٥٦)، وابن ماجه في سننه (٣٨٦٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٣٥).

الثالث: أن يكون المخلوق قادرًا.

فإن كان المستعان به من المخلوقين غائبًا، أو ميتًا، أو عاجزًا، واستعان به أحد الناس في شيء يقدر عليه المخلوق، فهذا يدل على سفه في عقله، وعلى أنه يعتقد فيه أن له تأثيرًا في الكون، فهذا أيضًا من الشرك؛ لأن يعتقد أنه ينفع ويضر مع الله عز وجل، أو من دون الله عز وجل.

فالذي ينبغي لنا أن نستعين بالله عز وجل، ونطلب العون منه في جميع شؤون حياتنا: في عباداتنا، وفي معاملاتنا، وفي كل شأننا.

يقول الله عز وجل : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

أي نستعين بك يا ربنا على أداء عبادتنا لك .

والباء في البسملة للاستعانة، فأنت تقول: "بسم الله الرحمن الرحيم".

أي استعين بالله عز وجل في البدء فيما أريد أن أفعل، فإن كنت في القراءة، يكون المعنى: استعين بالله عز وجل في قراءتي، أو في كتابتي، أو في تأليفي، وهكذا.

ويقول الله عز وجل: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

ويستعان بفعل طاعة الله عز وجل على كثير من النوائب.

يقول الله عز وجل : {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}.

ويقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى وغيره:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو يَقُولُ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا، لَكَ ذَكَّارًا، لَكَ رَهَّابًا، لَكَ مِطْوَاعًا، لَكَ مُخْبِتًا، إِلَيْكَ أَوَّاهًا مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي»[(١)].

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من طريق أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي (٣٥٥١)، والإمام أبو داود (١٥١٠)، والإمام ابن ماجه (٣٨٣٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

صَلَاةٍ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[1]، "وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ".

وقد أحسن من قال:

إذا لم يكن عون من الله على الفتى ... فأول ما يجني عليـــه اجتهاده

****

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٢٢)، والإمام الترمذي في سننه (١٣٠٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[بيان فضل الزهد في الدنيا]

١٤٨٧ – (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ –رضي الله عنه– قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. [فـ] قَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»[1]. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه، وَسَنَدُهُ حَسَنٌ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان فضل الزهد في الدنيا .

قوله: «وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ».

هو سهل بن سعد بن مالك الساعدي، هو وأبوه صحابيان رضي الله عنهما.

قوله: «قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!».

---

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه (٤١٠٢) ولو قال الحافظ «وهو حسن» لكان أدق من قوله: «وسنده حسن» إذ الحديث له شواهد؛ ولذلك حسَّنه غير واحد: كالنووي، والعراقي والهيثمي، والألباني، أما سند ابن ماجه، ففيه خالد بن عمرو، وهو كذاب وضَّاع. وبين الحافظ ابن رجب في كتابه جامع العلوم والحكم وذكره طرقه، ورجح أنه ضعيف. والحديث في الصحيحة برقم (٩٤٤)، وقال فيه: لكنه لم يتفرد به – أي خالد بن عمرو– كما يأتي. ثم ذكر له طرقًا وشواهد، ثم قال: وجملة القول أن الحديث صحيح بهذا الشاهد المرسل، والطرق الموصولة المشار إليها. والله أعلم.





فيه: سؤال أهل العلم، وحرص الصحابة رضي الله عنهم على الخير، ومعرفة طرق محبة الله عز وجل.

قوله: «دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ».

فيه: إثبات صفة المحبة لله عز وجل .

وفيه: أن الإنسان يحرص على محبة الناس له بالأعمال الصالحة، وفيما لا يسخط الله عز وجل عنه.

وبدون أن يقع في مداهنة لهم على الباطل، وأن يقرهم على الخطأ أو يتنازل عن الحق والشرع .

يقول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}.

ويقول الله عز وجل مخبرًا لنا عن دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام: {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}.

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ

فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»[1].

قوله: "فـ قَالَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا»".

أي كن زاهدًا عن الدنيا، وملذاتها، وشهواتها.

وعن كل شيء يلهيك عن اغتنام العمر في طاعة الله عز وجل.

قوله: «يُحِبُّكَ اللهُ».

لأن التعلق بالدنيا سبب من الأسباب التي تبعد الإنسان عن طريق الاستقامة عن شرع الله عز وجل .

ولذلك إذا ابتعد الإنسان عن الدنيا، وزهد فيها، أحبه الله عز وجل؛ إذ أنه سيكون قريباً من الله عز وجل بالأعمال الصالحة، والمسارعة، والمسابقة، والمبادرة، بالخيرات، وفيما يقربه من الله عز وجل.

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَقُولُ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ اللهِ، وَمَا وَالَاهُ، أَوْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا»[1].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٣٧)، واللفظ لمسلم في صحيحه.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الساعدي -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[٢].

قوله: «وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ».

أي ازهد عما في أيدي الناس، ولا تنافسهم، ولا تسابقهم في دنياهم .

واترك أموالهم، ومناصبهم، وتجاراتهم.

فإذا فعلت ذلك أحبك الناس، وعلموا أنك لست من أصحاب الدنيا، وليست همتك في الدنيا، وإنما أنت تريد رضا الله عز وجل، وتريد جنته.

اجعل منافستك في أمور الآخرة، وأعمال الخير التي تقربك من الله عز وجل.

فكم من إنسان يكون محبًا، ومقدرًا لك، ويجعلك فوق رأسه؛ فإذا ما سألت ماله، أو حصل منك شيء يدل على أنك تحب الدنيا، فإذا به يتنكر لك.

---

[١] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٤١١٢)، وأخرجه الترمذي في سننه (٢٣٢٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[١] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٢٠)، وابن ماجه في سننه (٤١١٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

فكل ما كان الإنسان مستغنيًا بالله عز وجل عن الخلق، كان محبوبًا إلى الله عز وجل، وإلى عباد الله عز وجل الصالحين.

ففي الصحيحين: من حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»[1].

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَأَعْطَاهُمْ حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[2].

وإذا حصَّل المؤمن بشارة بالخير، فهذه عاجل بُشرى المؤمن.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٢٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٣٤).

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٦٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٥٣).

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[1].

****

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٤٢).





[بيان بعض الذين يحبهم الله عز وجل]

١٤٨٨ - (وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان بعض الذين يحبهم الله عز وجل.

فمن كان متقيًا لله عز وجل بفعل أوامره، ومجتنبًا لنواهيه.

ومن كان غنيًا بالله عز وجل، ومستغني عما سواه من خلقه.

ومن كان خفيًا في عبادته، ولا يحب الثناء، ولا المدح، ولا يحب الرياء والسمعة، فهذا هو المحبوب عند الله عز وجل.

وللحديث قصة ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من طريق عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ -رضي الله عنه- فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِالله مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَنَزَلَ فَقَالَ لَهُ: أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ -رضي الله عنه- فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٦٥).

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ».

قوله: «سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ – رضي الله عنه».

هو سعد بن مالك رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة.

قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ».

فيه: إثبات صفة المحبة لله عز وجل ، وهي من الصفات الفعلية، التي يفعلها الله عز وجل متى شاء، وكيف شاء، فهي متعلقة بمشيئته.

وهي صفة تليق بالله عز وجل من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تحريف.

يقول الله عز وجل : {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله عز وجل يُحِب، ويُحَبُ من عباده المؤمنين.

يقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

قوله: «الْعَبْدَ».

أي العبد المؤمن: سواء كان من الرجال، أو النساء، وسواء كان من الأحرار، أو العبيد.

قوله: «التَّقِيَّ».

الذي جعل بينه وبين عذاب الله عز وجل وقاية بفعل أوامر الله عز وجل، وباجتناب نواهيه.

وحقيقة التقوى: هي فعل المأمور، وترك المحظور.

يقول الله عز وجل: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}.

ويقول الله عز وجل: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا}.

ويقول الله عز وجل: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا}.

ويقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}.

والتقوى: سبب للفلاح في الدنيا، وفي الآخرة.

يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

قوله: «الْغَنِيَّ».

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (١).

قوله: «الْخَفِيَّ».

وهو الذي يخفي أعمال الصالحة عن الناس .

وإن ظهر منها شيء فيكون ذلك بدون قصد منه للمرآة ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٤٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٥١).

اللهَّ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَّ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[(١)].

جاء في الصحيحين:

من حديث جُنْدَب -رضي الله عنه- قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهَّ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهَّ بِهِ»[(٢)].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[(٣)].

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

من حديث مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ-رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ " قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: " الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ

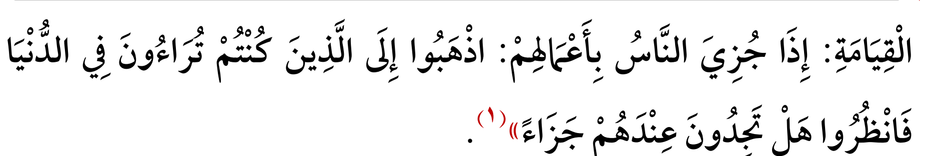
---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٦٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٣١).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٩٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٨٦).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٨٥).





الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»[1].

****

[3] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٦٣٠)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٩٥١)، وقال فيه: وهذا إسناد جيد، رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير محمود = بن لبيد، فإنه من رجال مسلم وحده، قال الحافظ: "وهو صحابي صغير، وجل روايته عن الصحابة رضي الله عنهم.

[بيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه]

١٤٨٩ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»[(١)]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَسَنٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

والحديث من مراسيل علي بن الحسين.

قال الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في سننه (٢٣١٨):

وَهَكَذَا رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ حَدِيثِ مَالِكٍ مُرْسَلًا.

وَهَذَا عِنْدَنَا أَصَحُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٢٣١٨) وأظن أن الحافظ – رحمه الله – وَهِمَ في نقل التحسين عن الترمذي، فلم أجده في أكثر من مطبوعة من «السنن»، وإنما الذي فيها قوله: «غريب» وهو الصواب، كما نقله عنه ابن رجب في «الجامع» (١/ ٢٨٧) والمزي في «التحفة» (١١/ ٤١) وغيرهما. وهو من طريق قرة بن عبد الرحمن وهو ضعيف، وقد خالفه الحفاظ فرووه عن الزهري عن علي بن الحسين عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم. والحديث يصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صيح السنن. وقال في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٨١): حسن لغيره.



ثم قال رحمه الله تعالى: «وَعَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ لَمْ يُدْرِكْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ».

لكن الحديث كأنه من مشكاة النبوة، فمعناه صحيح؛ فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، والحال كما قال بعضهم:

(من تدخل فيما لا يعنيه، وجد ما لا يرضيه)

وأكثر أسبابه للشر الذي يقع في العالم التدخل فيما لا يعنيهم.

وإلا لو لزم كل إنسان ما كلف به من العبادة، ومن الأعمال، ولم يتدخل فيما لا يعنيه، وترك الفضول في العمل والقول، لحصل خير عظيم لا يعلم به إلا الله عز وجل.

وقد قيل في هذا الحديث:

عمدة الدين عندنـا كلمات ... أربع من كلام خير البريـــة

اتق الشبهات وازهـد ودع ... ما ليس يعنيك واعملن بنية

قوله: «اتق الشبهات»: يراد به حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه السابق .

قوله: «وازهد»: يراد به حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه المتقدم معنا.

قوله: «ودع ما ليس يعنيك»: يراد به حديث الباب .

قوله: «واعملن بنية»: حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الصحيحين: «إنما الأعمال بالنيات».

قوله: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ، تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ».

فمن ترك ما لا يعنيه، كان إسلامه حسنًا، وكان دينه عظيمًا، وإيمانه قويًا، بإذن الله عز وجل.

قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٨):

مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِهِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَاقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْنِيهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ؛ وَمَعْنَى يَعْنِيهِ: أَنَّهُ تَتَعَلَّقُ عِنَايَتُهُ بِهِ، وَيَكُونُ مِنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلُوبِهِ، وَالْعِنَايَةُ: شِدَّةُ الِاهْتِمَامِ بِالشَّيْءِ، يُقَالُ عَنَاهُ يَعْنِيهِ: إِذَا اهْتَمَّ بِهِ وَطَلَبَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ يَتْرُكُ مَا لَا عِنَايَةَ لَهُ بِهِ وَلَا إِرَادَةَ بِحُكْمِ الْهَوَى وَطَلَبِ النَّفْسِ، بَلْ بِحُكْمِ الشَّرْعِ وَالْإِسْلَامِ وَلِهَذَا جَعَلَهُ مِنْ حُسْنِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا حَسُنَ إِسْلَامُ الْمَرْءِ، تَرَكَ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَقْتَضِي فِعْلَ الْوَاجِبَاتِ.. وَإِنَّ الْإِسْلَامَ الْكَامِلَ الْمَمْدُوحَ يَدْخُلُ فِيهِ تَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ» وَإِذَا حَسُنَ الْإِسْلَامُ، اقْتَضَى تَرْكَ مَا لَا يَعْنِي كُلَّهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمُشْتَبِهَاتِ وَالْمَكْرُوهَاتِ، وَفُضُولِ الْمُبَاحَاتِ الَّتِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ لَا يَعْنِي الْمُسْلِمَ إِذَا كَمُلَ إِسْلَامُهُ، وَبَلَغَ إِلَى

دَرَجَةِ الْإِحْسَانِ، وَهُوَ أَنْ يَعْبُدَ اللهَّ تَعَالَى كَأَنَّهُ يَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ، فَإِنَّ اللهَّ يَرَاهُ، فَمَنْ عَبَدَ اللهَّ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ بِقَلْبِهِ، أَوْ عَلَى اسْتِحْضَارِ قُرْبِ اللهَّ مِنْهُ وَاطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ، فَقَدْ حَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَلَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَتْرُكَ كُلَّ مَا لَا يَعْنِيهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَيَشْتَغِلَ بِمَا يَعْنِيهِ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ مِنْ هَذَيْنِ الْمَقَامَيْنِ الِاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللهَّ وَتَرْكُ كُلِّ مَا يُسْتَحْيَا مِنْهُ كَمَا وَصَّى صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا أَنْ يَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهَّ كَمَا يَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ صَالِحِي عَشِيرَتِهِ لَا يُفَارِقُهُ. وَفِي " الْمُسْنَدِ " وَالتِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: " «الِاسْتِحْيَاءُ مِنَ اللهَّ تَعَالَى أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى، وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهَّ حَقَّ الْحَيَاءِ» ". اهـ

****

[بيان النهي عن كثرة الأكل]

١٤٩٠ - (وَعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ»[١]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان النهي عن كثرة الأكل.

وللحديث تتمة كما في سنن الترمذي رحمه الله تعالى:

«بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

قوله: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ».

الحديث فيه أن البطن سبب لكثير من الأدواء.

فكلما امتلئ البطن سمن الجسم، وضعف العقل.

وفي المثل العربي: "البطنة تذهب الفطنة".

وكثير من الناس يكثر نومه بسبب ملؤه لبطنه.

---

[١] أخرجه الإمام الترمذي (٢٣٨٠)، من طريق بن يحيى بن جابر الطائي عن المقدام، والحديث ضعيف؛ لأن رواية يحيى بن جابر الطائي عن المقدام مرسلة. والحديث يصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.




قوله: « فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ».

أي أن الإنسان يجعل الأكل بقدر الثلث، والشراب بقدره، ويجعل في البطن متسعًا للنفس، والهواء بقدره؛ حتى لا تتعب المعدة.

وقد قيل: "المعدة بيت الداء".

فكثرة الأكل، وكثرة الشرب؛ متعب جدًا للإنسان.

وكذلك يسبب الكسل والخمول والفتور في العبادات، وفي الطاعات؛ فلهذا ينبغي لكل عاقل أن يجعل طعامه وشرابه بقدر، ولا يأكل كثيرًا حتى يتسبب له الأكل في التخمة، وفي الأمراض المتعبة.

****

[بيان الحث على التوبة من كل ذنب]

١٤٩١ – (وَعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» [١]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَسَنَدُهُ قَوِيٌّ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان أن خير بني آدم التوابون من أخطائهم.

وحديث الباب فيه ضعف، ومعناه صحيح.

ويشهد له ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي ذَرٍّ –رضي الله عنه– يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ ".

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي مُوسَى –رضي الله عنه–، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

[١] رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٢٤٥١)، من طريق علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس به، وعلي بن مسعدة ضعيف، وحديثه غير محفوظ كما جزم بذلك الإمام ابن عدي في ترجمته من الكامل. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٣٩).

قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» (٢).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أيضًا:

من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ -رضي الله عنه- ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ، قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ» (٣).

قوله: «كُلُّ».

كل: من ألفاظ العموم.

إلا من عصمه الله من الذنوب، ومن المعاصي .

قوله: «بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ».

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٩).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٨).

وهذا هو الأصل في بني آدم أنهم يقعون في الأخطاء، والذنوب، والمعاصي، إلا من عصمه الله عز وجل، وسدده، ووفقه.

قوله: «وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

أي أن التوابين من أفضل بني آدم، وخيرهم .

فلهذا ينبغي لمن وقع في ذنب، أو معصية، أن يبادر إلى التوبة، والإنابة، والرجوع إلى الله عز وجل.

يقول الله عز وجل : {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}.

فبين الله عز وجل لنا في هذه الآية الكريمة أن مغفرته يشترط له أربعة شروط:

الأول: التوبة النصوح التي يتحقق فيها شروط التوبة المعروفة.

الثاني: الإيمان بالله عز وجل.

الثالث: فعل الصالحات، والإكثار من ذلك؛ لأن الحسنات يذهبن السيئات.

كما في قول الله عز وجل: {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}.

الرابع: سلوك طريق الهداية، وهي طريق الكتاب والسنة.

يقول الله عز وجل : {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}.

ويقول الله عز وجل : {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا}.

ويقول الله عز وجل : {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا}.

فيجب على الإنسان أن يكون مبادرًا إلى التوبة، رجاعًا إلى الله عز وجل.

بيان شروط التوبة النصوح:

الشرط الأول: الإخلاص لله عز وجل في توبته وذلك أن التوبة عبادة لله عز وجل، والعبادة لا تقبل إلا من مخلص.

يقول الله عز وجل : {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.

وفي الصحيحين: من حديث عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[1].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[2].

وقد قال الله عز وجل : {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ}.

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١، ٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩٠٧).

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٣٧)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤٢٥٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.




الشرط الثالث: الإقلاع عن الذنب بالكلية.

لأن التوبة من الذنب مع الاستمرار فيه، يدل على تهاون العبد بهذا الذنب

.

الشرط الرابع: الندم على فعل الذنب.

الشرط الخامس: العزم على أن لا يعود إلى الذنب مرة أخرى.

وهذه الشروط في التوبة من الذنوب بين العبد وبين الله عز وجل.

وأما في حقوق الناس فيزاد إلى الشروط شرط سادس.

الشرط السادس: أن يرد المظالم إلى أهلها .

لأن حقوق الناس مبنية على المشاحة، فلا بد من المسامحة والتحلل، وإرجاع الحقوق والمظالم إلى أهلها .

أما حق الله عز وجل فهو مبني على المسامحة، فمن تاب إلى الله عز وجل تاب الله عز وجل عليه .

بيان كيفية التوبة من البدع ومن الضلال ومن الزيغ ومن الانحراف:

وإن كان الذنب بدعة، فيضاف إلى ما سبق شرط سابع:

الشرط السابع وهو: شرط الإصلاح.

الشرط الثامن: التبيين والبيان.

حتى لا يتبعه أحد من المسلمين على ضلال، وبدعته، وزيغه، وانحرافه.

يقول الله عز وجل : {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

بيان كيفية التوبة من النفاق:

وإن كانت التوبة من النفاق الاعتقادي، الأكبر، المخرج لصاحبه من ملة الإسلام.

فلا بد من إضافة شروط أخرى.

يقول الله عز وجل : {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا * مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}.

فتضمنت الآية شروط ثلاثة بعد شروط التوبة وهي:

الأول: الإصلاح

الثاني: الاعتصام بالله عز وجل ودينه .

الثالث: الإخلاص لدين الله عز وجل .

فإن كانت المعصية شركاً، أو كفراً، أو ردة عن دين الإسلام.

فالتوبة تكون بالإسلام.





يقول الله عز وجل : {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ}.

وقد استوعبت الكلام عن هذه الشروط في كتابي: شروط التوبة إلة الله عز وجل، ولله الحمد والمنة .

****



[بيان فضل الصمت]

١٤٩٢ – (وَعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ، وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ»[(١)]. أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

وَصَحَّحَ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ مِنْ قَوْلِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ[(٢)]).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضل الصمت.

وهذا من قول لقمان الحكيم رحمه الله تعالى، والمنقول عنه كثيراً من الحِكَم.

---

(١) الحديث ضعيف. رواه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨١٦)، والبيهقي في «الشعب» (٥٠٢٧)، وتحرف في «الأصل» إلى «حِلْمٌ» والتصحيح من «أ»، وهو الموافق لما عند ابن عدي والبيهقي، وهو في الضعيفة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٢٤٢٤) وقال فيه: ضعيف.

(٢) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» ص (٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٢٢ / ٤٢٣)، والبيهقي في «الشعب» بسند صحيح عن أنس: "أن لقمان كان عند داود وهو يسرد الدرع، فجعل يفتله هكذا بيده، فجعل لقمان يتعجب، ويريد أن يسأله، فتمنعه حكمته أن يسأله، فلما فرغ منها صبها على نفسه وقال: نعم درع الحرب هذه. فقال لقمان: "إن الصمت من الحكم، وقليل فاعله". كنت أريد أن أسألك، فسكت حتى كفيتني". وقال البيهقي: «هذا هو الصحيح عن أنس أن لقمان قال: «الصمت حكم، وقليل فاعله»، وإسناده إلى أنس رضي الله عنه صحيح.

ومنها ما قصه الله عز وجل: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}.

وبعضها مذكورة في سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.






ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من حديث ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لُقْمَانَ الْحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا اسْتُوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»[1].

ومما يذكر عن لقمان الحكيم رحمه الله تعالى:

ما أخرجه الإمام ابن شيبة في مصنفه:

من طريق حَدَّثَنَا، أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ، أَبِي الْأَشْهَبِ، قَالَ: حَدَّثَنِي، خَالِدُ بْنُ ثَابِتٍ الرَّبَعِيُّ، قَالَ جَعْفَرٌ: وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ: "أَنَّ لُقْمَانَ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا ، وَأَنَّ سَيِّدَهُ قَالَ لَهُ: اذْبَحْ لِي شَاةً ، قَالَ: فَذَبَحَ لَهُ شَاةً فَقَالَ: ائْتِنِي بِأَطْيَبِهَا مُضْغَتَيْنِ ، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ ، قَالَ: فَقَالَ: مَا كَانَ فِيهَا شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْ هَذَيْنِ؟ قَالَ: لَا ، فَسَكَتَ عَنْهُ مَا سَكَتَ ، ثُمَّ قَالَ: اذْبَحْ لِي شَاةً ، فَذَبَحَ لَهُ شَاةً قَالَ: أَلْقِ أَخْبَثَهَا مُضْغَتَيْنِ ، فَأَلْقَى اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ ، فَقَالَ لَهُ: قُلْتُ لَكَ ائْتِنِي بِأَطْيَبِهَا ، فَأَتَيْتَنِي بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ ، ثُمَّ قُلْتُ لَكَ: أَلْقِ أَخْبَثَهَا مُضْغَتَيْنِ ، فَأَلْقَيْتُ اللِّسَانَ وَالْقَلْبَ ، قَالَ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا وَلَا أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خَبُثَا "[2].

ومن شأنه أن سورة في القرآن سميت باسمه: "سورة لقمان".

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٦٠٥)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٢٥٤٧).

[2] أخرجه الإمام ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٢٩٤).

قوله: «الصَّمْتُ حِكْمَةٌ».

الصمت عن كل شر، ومحرم أفضل من النطق بالشر.

ولكن النطق بالخير خير وأفضل من الصمت.

ولكن ينبغي للعاقل أن يعود نفسه الصمت؛ إلا إذا كان سيأمر بالمعروف، أو ينهى عن المنكر وما في بابه من العالم، أو نفسه.

والصمت عن النطق بالشر، أو الكذب، والغيبة، والنميمة، غير ذلك من الذنوب والمعاصي، يعتبر نجاة من الإثم.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[(١)].

فبين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن النطق بالخير خير من الصمت عن الخير؛ لأن الإنسان إذا وجب وتعين عليه الأمر بالعروف، والنهي عن المنكر، وهو قادر على ذلك وصمت عن ذلك أثم.

بينما إذا كان الكلام ليس من الخير، فالصمت يكون في مثل هذه الحالة خير من الكلام.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠١٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٧).

وإذا لم يتبين للإنسان ولم يترجح له هل الكلام خير، أم غير خير؟

فهنا نقول له: اصمت؛ حتى يتبين لك أنه خير، فعند ذلك تكلم به، وإلا فلا؛ لما جاء في الحديث.

فلا يجوز للإنسان أن يتحدث، ولا يجوز له أن يتكلم إلا إذا كان كلامه خير، وفي كلامه النفع للغير، وإلا فلا يتكلم.

ولكن الصمت عن الشر نجاة من الإثم.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»[(١)].

ثم قال رحمه الله تعالى: " هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهِيعَةَ.

وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحُبُلِيُّ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَزِيدَ ".

ولما أخرج الحاكم في مستدركه رحمه الله تعالى:

[(١)] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٠١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب (٢٨٧٤)، وفي صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيحة برقم (٥٣٦)، وقال فيه: قال المنذري (٤ / ٩): " رواه الترمذي وقال: حديث غريب والطبراني ورواته ثقات ". ونقل المناوي عن الزين العراقي أنه قال:" سند الترمذي ضعيف، وهو عند الطبراني بسند جيد ".





من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ -رضي الله عنه-: "فَأَشَارَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فِيهِ قَالَ: «الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ» قَالَ: وَهَلْ نُؤَاخَذُ بِمَا تَكَلَّمَتْ بِهِ أَلْسِنَتُنَا؟ قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخِذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ - وَهَلْ يُكَبَّ النَّاسِ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَغْنَمُوا وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا»[(١)].

قوله: «وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ».

أي أن قليل من الناس الذي يلتزم الصمت عن الشر .

وكما قيل:

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقائه الشجعان

---

(١) أخرجه الإمام الحاكم في مستدركه (٧٧٧٤)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني برقم (٤١٢)، وقال فيه عقب كلام الحاكم: كلا بل هو صحيح فقط، فإن الربيع بن سليمان وعمرو بن مالك الجنبي لم يخرج لهما الشيخان، وإنما أخرج البخاري للجنبي في " الأدب المفرد " وكذلك أخرج لأبي هانئ واسمه حميد بن هانئ، وهو من رجال مسلم فقط. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٥٣٨).





وقد فصل أهل العلم في ذلك فقالوا: ما كان من الكلام في طاعة الله عز وجل: كالذكر لله عز وجل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم للناس أمر دينهم، ونحو ذلك من القربات، فالكلام خير.

ومن كان من الكلام في معصية الله عز وجل: فيحرم التكلم به .

وما كان من الكلام المباح: فهو جائز، ولكن الأفضل أن لا يتكلم به، ولا يكثر منه.

والحمد لله رب العالمين.

****

[باب الرهب من مساوئ الأخلاق]

[بَابُ الرَّهَبِ مِنْ مَسَاوِئِ الأَخْلَاقِ]

الشرح: ***********************************

جاء الإسلام بالترغيب في فعل الخير، والدلالة عليه، والحث على الأعمال الصالحة، والحث على محاسن الأخلاق.

وجاء بالترهيب من الشر، والضير، والضرر، والتحذير منه، والترهيب من الأعمال، والأخلاق السيئة .

ومن رَهِبَ من الشيء، أبغضه، وخافه، وابتعد عنه.

ومن رغب في الشي، أحبه، وأمنه، وحرص عليه.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ »[1].

وصاحب الخلق السيء بعيداً من الله عز وجل، وبعيداً عن سنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

وبعيد عن عباد الله الصالحين المستقيمين على شرع الله عز وجل، فهم لا يحبونه، ولا يودونه، ولا يرغبون في الجلوس معه.

وقد قيل في الأخلاق:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

بيان معنى وحقيقة حسن الأخلاق:

وليس المراد بحسن الخلق حسن المعاملة للناس بطلاقة الوجه فقط، وإن كان هذا من حسن، فحسن الخلق له مراتب:

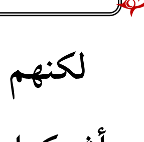
المرتبة الأولى: حسن الخلق مع الله عز وجل: بتوحيده وطاعته، وعدم الشرك به ومعصيته، ويكون بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

فيكون المعنى كمعنى الإحسان: أن تعبد الله عز وجل كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

المرتبة الثانية: حسن الخلق مع المخلوقين: بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.

وبعض الكفار والمشركين قد يكون لهم من هذه المرتبة بعضها، فهو يتعاملون مع الناس ربما بطلاقة وجه، ويبذلون معروفهم للناس، ولا سيما في الطب، وغير ذلك من المعاملات الدنيوية .





لكنهم في سوء أخلاق مع الله عز وجل؛ حيث أنهم كفروا بالله عز وجل، وأشركوا به، وكفروا بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهدمت كل جميل من أخلاقهم .

فتجد أنهم يقعون في الزنا، وأكل الربا، وشرب المسكرات، وغير ذلك من البلايا التي هي زائدة على كفرهم، وشركهم .

بيان بدء دعوة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم للناس :

وقد كان مبدأ دعوة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أنه يأمر بمحاسن الأخلاق: بداية من التوحيد والدخول في دين الإسلام، كقوله: "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا".

ففي صحيح ابن حزيمة رحمه الله تعالى:

من حديث طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ –رضي الله عنه–قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ تُفْلِحُوا».

وعن أَبِي سُفْيَانَ–رضي الله عنه–: أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: – يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – « يَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ، وَالصَّدَقَةِ، وَالعَفَافِ، وَالصِّلَةِ»[1].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٨٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٧٣).

فجمع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الأمر: بين محاسن الأخلاق في حق الخالق: وهي الصلاة والزكاة.

وبين محاسن الأخلاق في حق المخلوقين: من العفاف عما في أيديهم من الأموال ونحوها، وصلة الأرحام.

وامتدح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أشج عبد القيس كما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ» [1].

بيان أقسم الأخلاق الحسنة، أو محاسن الأخلاق:

ثم إن محاسن الأخلاق تنقسم إلى قسمين:

الأول: ما هو طبعي يجبل الإنسان عليه.

الثاني: ما هو مكتسب.

فربما تجد كثيرًا من الناس عندهم الكرم، والشجاعة، والنخوة، والصدق، والنجدة، وحب التعاون الغير، ونصرة المظلوم والضعيف، وغير ذلك من محاسن الأخلاق، وطبعًا .

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧).

وبعض الناس قد يروض نفسه عليها ترويضًا، ويكتسبها من تعلم الكتاب والسنة، أو من مجالسة العلماء، أو الصالحين .

ولهذا جاء في الصحيحين، واللفظ للإمام مسلم في صحيحه:

من حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(١) .

قوله: «فإن الصدق يهدي إلى البر»: أي أن الصدق يرشد، ويدل، ويؤدي إلى البر.

والبر: اسم جامع لكل خير.

فهذا دليل على الاكتساب من محاسن الأخلاق .

فإن لم يكن المسلم متخلقًا بهذا الأخلاق العظيمة الحسنة جبلةً، وطبعًا، فلا أقل من أن تتخلق بها اكتسابًا، وتعلمًا؛ لأن ديننا الإسلامي قد حثنا ورغبنا في ذلك أشد ترغيب.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٧).

ففي معجم الطبراني الأوسط:

من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ، مَنْ يَتَحَرَّى الْخَيْرَ يُعْطَهُ، وَمَنْ يَتَّقِ الشَّرَّ يُوقَهُ، ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ لَمْ يَسْكُنِ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَلَا أَقُولُ لَكُمُ الْجَنَّةَ: مَنْ تَكَهَّنَ، أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَدَّهُ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرٌ»(1).

فمعنى الحديث: أن الإنسان لا بد له أن يبذل جهدًا في تعلم العلم، والحلم، والفقه في دين الله عز وجل.

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحسن الناس خُلُقًا، وكما أنه رزق أنه أحسن الناس خَلْقًا.

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ - قَالَ: أَحْسِبُهُ - فَطِيمًا، وَكَانَ إِذَا جَاءَ قَالَ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ» نُغَرٌ

---

(1) أخرجه الإمام الطبراني في معجمه الأوسط (٢٦٦٣)، وأخرجه الخطيب في " تاريخه " (٩ / ١٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٣٤٢)، وقال فيه: وهذا إسناد حسن أو قريب من الحسن. وحسنه أيضًا في صحيح الجامع برقم (٢٣٢٨).

كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وَهُوَ فِي بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بِالْبِسَاطِ الَّذِي تَحْتَهُ فَيُكْنَسُ وَيُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ وَنَقُومُ خَلْفَهُ فَيُصَلِّي بِنَا"[(١)].

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسٌ -رضي الله عنه-: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا»"[(٢)].

وفي سنن الإمام النسائي رحمه الله تعالى:

من حديث الْبَرَاءِ بن عازب رضي الله عنه قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مُتَرَجِّلًا لَمْ أَرَ قَبْلَهُ، وَلَا بَعْدَهُ أَحَدًا هُوَ أَجْمَلُ مِنْهُ»[(٣)].

فما أجمل اتفاق حسن الخَلْق مع حسن الخُلُق .

أي يتفق الخلق الظاهر مع الخلق الباطن، فيكون في مثل هذه الحالة على حظ عظيم.

وإن لم تتفق، فإن مكارم الأخلاق تغطي على ما يلحق الخلقة من النقص بعض الشيء.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٥٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣١٠).

(٣) أخرجه الإمام النسائي في سننه (٥٣١٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف النسائي.

فإن الناس ينظرون إلى أفعال غيرهم، أكثر من النظر إلى المظاهر.

فقد قال رجل بين يدي عمر بن عبد العزيز: "المرء بأصغريه: قلبه ولسانه".

فإذا كان قلبة صالحًا، ولسانه ناطقًا بالخير، دالًا عليه، مرشدًا إليه، كان هو المرء، وكان هو الرجل الذي يضرب به المثل في نبل الأخلاق.

وإن كان قلبة فاسدًا، ولسانه ناطقًا بالشر، ودالًا عليه، ومرشدًا إليه ، كان هو الفاسد، ولو كان ذو جاه كبير، ومال كثير .

بيان أنواع مساوئ الأخلاق:

ومساوئ الأخلاق تنقسم إلى أنواع:

الأول: القولي: كالسب، والشتم، واللعن، والغيبة، والنميمة، والكذب، والاستهزاء بالقول، وشهادة وقول الزور، ، وكل قول قبيح محرم في الدين، ومخالف لكتاب الله عز وجل، ولسنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الثاني: الفعلي: كالقتل، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وأكل الربا، والنهبة، والاختلاس، والنصب، والظلم، وكل فعل محرم مخالف للكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.





الثالث: الاعتقادي: كسوء الظن، والحسد، والبغض، والكراهية، وكل اعتقاد محرم مخالف لكتاب الله عز وجل، ولسنة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

****

[بيان تحريم الحسد وأنها من الكبائر]

١٤٩٣ – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ، فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ، كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»[1]. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ).

١٤٩٤ – (وَلِابْنِ مَاجَهْ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ –رضي الله عنه– نَحْوُهُ[2]).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم الحسد .

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ».

أي احذروا واجتنبوا وابتعدوا من الحسد.

وهذا من المبالغة في التحذير منه؛ لشدة حرمته فهو من كبائر الذنوب .

والحسد: تمني زوال النعمة عن الغير، أو بعض وقوع الخير للغير، ولا سيما إذا كان من المسلمين.

---

(١) الحديث ضعيف. رواه أبو داود (٤٩٠٣)، من طريق إبراهيم بن أبي أُسيد عن جده عن أبي هريرة به. وإبراهيم فيه لين، وجده مجهول لا يعرف.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢١٠)، وفي إسناده عيسى بن أبي عيسى الحناط وهو متروك.

ولم يرخص في الحسد إلا إذا كان من باب التنافس على الخير، أي يحب المؤمن أن يكون له من الخير مثل ما يكون لغيره من المؤمنين، وهذا يسمى بالغبطة.

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» [1].

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ» [2].

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَحَاسُدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٨١٦).

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٥٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٨١٥).

وَالنَّهَارِ، يَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ هَذَا لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا يُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ فَيَقُولُ: لَوْ أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ لَفَعَلْتُ كَمَا يَفْعَلُ»[1].

ومما يدل على تحريم الحسد ما في الصحيحين:

من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»[2].

وجاء في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[3].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٢٣٢).

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٦٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٥٩).

(2) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٦٤)، و الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٣).

التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث الزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ -رضي الله عنه-، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»(٢).

والحسد خلق المنافقين والكفار والمشركين: من اليهود وغيرهم.

يقول الله عز وجل : {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ويقول: {مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

---

(٣) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٤).

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥١٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

الْعَظِيمِ} [البقرة: ١٠٥]، ويقول: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: ٥٤] .

بيان أن أصل الذنوب والمعاصي ترجع إلى الكبر والحسد:

فإبليس عليه لعنة الله عز وجل عصى الله عز وجل وامتنع من السجود لأبينا آدم عليه السلام.

وفعل ذلك إلا من الحسد والكبر، حسد أبينا آدم عليه السلام وتمرد على الله عز وجل كبرًا منه .

يقول الله عز وجل : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} .

ويقول الله عز وجل : {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} .

ويقول الله عز وجل : {قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} .

وغيرها من الآيات وهي كثيرة.

بيان أفضل علاج للحسد:

وأفضل علاج لهذا الداء العضال: "أن الإيمان بالقضاء وبالقدر".

فمن آمن بقضاء الله عز وجل وقدره؛ فإنه لا يحسد أحدًا.

وقد قال بعضهم في ذا الحسد:

لله در الحسد ما أعدله ... بدأ بصاحبـــه فقتله

وقيل أيضًا:

اصبر على كيد الحسود ... فإن صبرك قاتـــله

فالنار تأكل بعضهـــا ... إن لم تجد ما تأكـــله

قوله: «فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ».

لأن الحسد فيه اعتراض على قدر الله عز وجل وقضائه، والمؤمن مأمور بأن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، والهدى، والصلاح، والدين، والسعادة، وكل أمر حسن وفي الآخرة.

والحسد مبني على سوء الظن بالله عز وجل، وبغض المسلمين، وكراهيتهم، والاعتراض على قضاء الله عز وجل وقدره.

وإذا استمر الحسد في قلب المسلم فإنه قد يوصله إلى الحقد على المسلمين، وعلى محبة إيقاع الشر بهم، والضرر، والعياذ بالله عز وجل، وهذا من صفات المنافقين، واليهود، والكفار، والمشركين.

فيولد الحسد في قلب صاحبه مرضاً داخلياً، وكلما رأى نعمة، أو رأى خيرًا في أخيه المسلم، ازداد تألمًا على ذلك فوق تألمه الأول.

قوله: «كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ».

والحديث لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما تقدم ولكن معناه صحيح، فيخشى على صاحب الحسد من أن تذهب حسناته، ويقع في الكراهية، وفي البغض المسلمين، والله أعلم .

****

[بيان ذم الغضب]

١٤٩٥ – (وَعَنْهُ –أبي هريرة رضي الله عنه–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان ذم الغضب .

فهذا فيه التحذير من الغضب.

قوله: «وَعَنْهُ».

أي عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قوله: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».

قال النووي في شرحه على مسلم (١٦/ ١٦٢): وَكَذَلِكَ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ الصُّرَعَةَ الْمَمْدُوحُ الْقَوِيُّ الْفَاضِلُ هُوَ الْقَوِيُّ الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ بَلْ يَصْرَعُهُمْ وَلَيْسَ هُوَ كَذَلِكَ شَرْعًا بَلْ هُوَ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ فَهَذَا هُوَ الْفَاضِلُ الْمَمْدُوحُ الَّذِي قَلَّ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِخُلُقِهِ وَمُشَارَكَتِهِ فِي فَضِيلَتِهِ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ . اهـ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١١٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٩).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» [(١)].

وإنما يكون الغضب إذا انتهكت حرمة من حرمات الله عز وجل .

وفي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا» [(٢)].

وليس المراد النهي عن الغضب من حيث هو؛ فإن الإنسان مهما كان عنده من الدين، والصلاح، فربما طرأ عليه الغضب .

ولكن المراد أن يبتعد عن نتائج الغضب بقدر ما يستطيع .

فإذا طرأ عليه الغضب، ما أوصى به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الاستعاذة بالله عز وجل من الشيطان الرجيم.

ففي الصحيحين: من حديث سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَجُلاَنِ يَسْتَبَّانِ، فَأَحَدُهُمَا احْمَرَّ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦١١٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٦٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٢٧).

وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ»، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ " فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ: وَهَلْ بِي جُنُونٌ" [1].

****

[بيان تحريم الظلم]

١٤٩٦ – (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [2]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٢٨٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦١٠).

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٩) وزاد مسلم في أوله: «إن».

١٤٩٧ – (وَعَنْ جَابِرٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»[(١)]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الأحاديث لبيان تحريم الظلم.

قوله: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أحاديث الباب، وغيرها من الأدلة تبين تحريم الظلم، وأنه من كبائر الذنوب؛ لأن صاحبه متوعد بالظلمات يوم القيامة.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[(٢)].

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٨) وزاد: «حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم».

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨١).

بيان أنواع الظلم:

والظلم على ثلاثة أنواع:

الأول: ظلم العبد لنفسه.

بارتكاب ما نهى الله عز وجل عنه: من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام.

أو بترك ما أمر الله عز وجل به، فلا يفعله، ولا يمتثله.

الثاني: ظلم العبد لغيره: وهذا أيضًا ينقسم إلى أقسام أخرى:

فقد يكون الظلم بالقول: فقد يكون بالسب، وبالشتم، وبالغيبة، وبالنميمة، وبالكذب على الناس، وبغير ذلك من الأقوال الظالمة على غيرها.

وقد يكون بالفعل: من الضرب، ومن القتل، ومن الزنا، ومن السرقة، ومن غير ذلك من الأفعال التي يكون فيها ظلم للآخرين.

الثالث: الظلم الأكبر، والظلم الأعظم، وهو الشرك والكفر.

وهو ظلم العبد لنفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، أو في الكفر الأكبر، أو في ردة عن الإسلام.

يقول الله عز وجل مخبرًا لنا عن لقمان الحكيم وهو يعظ ولده: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

فهذا الظلم هو الذي لا يغفره الله عز وجل لصاحبه إذا لم يتب منه، ويكون صاحبه خالدًا مخلدًا في نار جهنم، خارجًا عن ملة الإسلام، حلال الدم والمال والعرض.

قوله: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ».

أي اجتنبوه، وابتعدوا عنه، ولا تتخلقوا به، سواء قليله، أو كثيره.

قوله: «فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رضي الله عنهما-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[(١)].

فبسبب الشح: حصل الهلاك لمن كان قبلنا، وسيحصل لنا إن فعلنا مثل ما فعلوا، فإن الشح هو الذي حمل الناس على القتل فيما بينهم حرصًا على الدنيا، والمناصب، والأموال، وغير ذلك.

ففي الصحيحين: من حديث جَابِرِ بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: «مَا سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ: لاَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٨).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٣٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣١١).


وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «مَا سُئِلَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ» [1].

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من حديث أَبَي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ» [2].

بحيث يحمله الشح والجبن عن الامتناع عن إخراج ما أوجب الله عز وجل عليه من: النفقات الواجبة على الأهل والأولاد، ومن ولاه الله أمرهم، بل وإخراج الزكوات الواجبة عليه .

****

---

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣١٢).

[3] أخرجه الإمام أبو دود في سننه (٢٥١١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٣٩٢)، وقال فيه: حديث حسن.

[بيان خطر الرياء]

١٤٩٨ – (وَعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: الرِّيَاءُ»[1]. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ حَسَنٍ).

الشرح: ************************************

[1] الحديث حسن. رواه أحمد (٥/ ٤٢٨ و ٤٢٩) وزاد: «يقول الله –عز وجل– لهم يوم القيامة – إذا جزى الناس بأعمالهم–: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء». وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢)، وقال: صحيح.



ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان خطر الرياء.

الرياء مأخوذ من المرآة، وهو مرض قلبي يئدي إلى حبوط العمل، فصاحبه شرَّك غير لله عز وجل في عمله، وهو على قسمين:

شرك أكبر: وضابطه أن يدخل العمل لا يريد إلا الدنيا، قال الله عز وجل: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦] .

وشرك أصغر: وهو أن يدخل العمل لله ثم يطرأ عليه الرياء .

قوله: «عَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ - رضي الله عنه» .

ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد الأنصاريّ، الأوسي، الأشهليّ.

قال البخاريّ: له صحبة، وروى عن عاصم بن عمر بن قتادة، عنه، قال: أسرع النبيّ صلى اللهَّ عليه وآله وسلم يوم مات سعد بن معاذ حتى تقطعت نعالنا، وهذا ظاهره أنه حضر ذلك، ويحتمل أن يكون أرسله .

قوله: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ: الرِّيَاءُ».

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٦٠):

لُغَةً أَنْ يَرَى غَيْرَهُ خِلَافَ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَشَرْعًا أَنْ يَفْعَلَ الطَّاعَةَ وَيَتْرُكَ الْمَعْصِيَةَ مَعَ مُلَاحَظَةِ غَيْرِ اللهَّ أَوْ يُخْبِرَ بِهَا أَوْ يُحِبَّ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا لِمَقْصِدٍ دُنْيَوِيٍّ

مِنْ مَالٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَقَدْ ذَمَّهُ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ وَجَعَلَهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ فِي قَوْلِهِ: {يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا قَلِيلا} [النساء: ١٤٢] وَقَالَ {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠] ، وَقَالَ {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} [الماعون: ٤]- قَوْلُهُ - {الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ} [الماعون: ٦] وَوَرَدَ فِيهِ مِنْ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الطَّيِّبَةِ الدَّالَّةِ عَلَى عَظَمَةِ عِقَابِ الْمُرَائِي، فَإِنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ عَابِدٌ لِغَيْرِ اللهِ ﷻ، وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ «يَقُولُ اللهُ ﷻ تَعَالَى: مِنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا عَنْهُ بَرِيءٌ وَأَنَا أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ عَنْ الشِّرْكِ» وَاعْلَمْ أَنَّ الرِّيَاءَ يَكُونُ بِالْبَدَنِ، وَذَلِكَ بِإِظْهَارِ النُّحُولِ وَالِاصْفِرَارِ لِيُوهِمَ بِذَلِكَ شِدَّةَ الِاجْتِهَادِ، وَالْحُزْنِ عَلَى أَمْرِ الدِّينِ وَخَوْفِ الْآخِرَةِ، وَلِيَدُلَّ بِالنُّحُولِ عَلَى قِلَّةِ الْأَكْلِ، وَبِتَشَعُّثِ الشَّعْرِ وَدَرَنِ الثَّوْبِ يُوهِمُ أَنَّ هَمَّهُ بِالدِّينِ أَلْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْوَاعُ هَذَا وَاسِعَةٌ، وَهُوَ مَعْنَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ، وَيَكُونُ فِي الْقَوْلِ بِالْوَعْظِ فِي الْمَوَاقِفِ وَيَذْكُرُ حِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ لِيَدُلَّ عَلَى عِنَايَتِهِ بِأَخْبَارِ السَّلَفِ وَتَبَحُّرِهِ فِي الْعِلْمِ وَيَتَأَسَّفُ عَلَى مُقَارَفَةِ النَّاسِ لِلْمَعَاصِي وَالتَّأَوُّهِ مِنْ ذَلِكَ.

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ بِحَضْرَةِ النَّاسِ وَالرِّيَاءُ بِالْقَوْلِ لَا تَنْحَصِرُ أَبْوَابُهُ، وَقَدْ تَكُونُ الْمُرَاءَاةُ بِالْأَصْحَابِ، وَالْأَتْبَاعِ وَالتَّلَامِيذِ فَيُقَالُ: فُلَانٌ مَتْبُوعٌ قُدْوَةٌ، وَالرِّيَاءُ بَابٌ وَاسِعٌ إذَا عَرَفْت ذَلِكَ، فَبَعْضُ أَبْوَابِ الرِّيَاءِ

أَعْظَمُ مِنْ بَعْضٍ لِاخْتِلَافِهِ بِاخْتِلَافِ أَرْكَانِهِ، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: الْمُرَاءَى بِهِ، وَالْمُرَاءَى لِأَجْلِهِ، وَنَفْسُ قَصْدِ الرِّيَاءِ، فَقَصْدُ الرِّيَاءِ لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ مُجَرَّدًا عَنْ قَصْدِ الثَّوَابِ أَوْ مَصْحُوبًا بِإِرَادَتِهِ، وَالْمَصْحُوبُ بِإِرَادَةِ الثَّوَابِ لَا يَخْلُو عَنْ أَنْ تَكُونَ إِرَادَةُ الثَّوَابِ أَرْجَحَ أَوْ أَضْعَفَ أَوْ مُسَاوِيَةً فَكَانَتْ أَرْبَعَ صُوَرٍ الْأُولَى أَنْ لَا يَكُونَ قَصَدَ الثَّوَابَ بَلْ فَعَلَ الصَّلَاةَ مَثَلًا لِيَرَاهُ غَيْرُهُ، وَإِذَا انْفَرَدَ لَا يَفْعَلُهَا، وَأَخْرَجَ الصَّدَقَةَ لِئَلَّا يُقَالَ إِنَّهُ بَخِيلٌ، وَهَذَا أَغْلَظُ أَنْوَاعِ الرِّيَاءِ وَأَخْبَثُهَا، وَهُوَعِبَادَةٌ لِلْعِبَادِ، الثَّانِيَةُ: قَصَدَ الثَّوَابَ لَكِنْ قَصْدًا ضَعِيفًا بِحَيْثُ أَنَّهُ لَا يَحْمِلُهُ عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا مُرَاءَاةَ الْعِبَادِ وَلَكِنَّهُ قَصَدَ الثَّوَابَ فَهَذَا كَالَّذِي قَبْلَهُ، الثَّالِثَةُ: تَسَاوِي الْقَصْدَيْنِ بِحَيْثُ لَمْ يَبْعَثْهُ عَلَى الْفِعْلِ إِلَّا مَجْمُوعُهُمَا وَلَوْ خَلَّى عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَمْ يَفْعَلْهُ فَهَذَا تَسَاوِي صَلَاحُ قَصْدِهِ وَفَسَادِهِ، فَلَعَلَّهُ يُخْرِجُ رَأْسًا بِرَأْسٍ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ اطِّلَاعُ النَّاسِ مُرَجِّحًا أَوْ مُقَوِّيًا لِنَشَاطِهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَمَا تَرَكَ الْعِبَادَةَ. قَالَ الْغَزَالِيُّ: وَالَّذِي نَظُنُّهُ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ أَنَّهُ لَا يَحْبَطُ أَصْلُ الثَّوَابِ وَلَكِنَّهُ يَنْقُصُ وَيُعَاقَبُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الرِّيَاءِ، وَيُثَابُ عَلَى مِقْدَارِ قَصْدِ الثَّوَابِ وَحَدِيثُ: «أَنَا أَغْنَى الْأَغْنِيَاءِ عَنْ الشِّرْكِ» مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا تَسَاوَى الْقَصْدَانِ أَوْ أَنَّ قَصْدَ الرِّيَاءِ أَرْجَحُ. وَأَمَّا الْمُرَاءَى بِهِ، وَهُوَ الطَّاعَاتُ فَيُقْسَمُ إِلَى الرِّيَاءِ بِأُصُولِ الْعِبَادَاتِ، وَإِلَى الرِّيَاءِ بِأَوْصَافِهَا، وَهُوَ ثَلَاثُ دَرَجَاتٍ: الرِّيَاءُ بِالْإِيمَانِ، وَهُوَ



إِظْهَارُ كَلِمَةِ الشَّهَادَةِ، وَبَاطِنُهُ مُكَذِّبٌ فَهُوَ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنْهَا، وَفِي هَؤُلَاءِ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ} [المنافقون: ١] الْآيَةَ. اهـ

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[١].

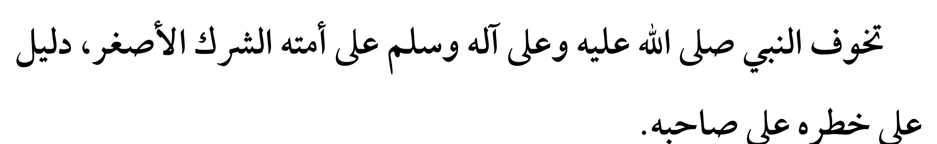
وأخرج البخاري في الأدب المفرد: من حديث معقل بن يسار -رضي الله عنه- قال: "انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ! لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ ". قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ» [٢].

بيان هل الشرك الأصغر يغفره الله عز وجل لصاحبه؟

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٨٥).

[١] أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الأدب المفرد (٥٥٤/٧١٦).

تخوف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أمته الشرك الأصغر، دليل على خطره على صاحبه.

وسواء كان الشرك صغيرًا أو كبيرًا، فإن الله عز وجل لا يغفره لصاحبه؛ حتى يتوب منه يقول الله عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}.

كما بينت ذلك في كتابي فتح الوهاب شرح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب.

****

[بيان علامات النفاق العملي الأصغر]

١٤٩٩ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

١٥٠٠ – (وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو –رضي الله عنهما–: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[2]).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان علامات النفاق العملي، وهو النفاق الأصغر.

قوله: «آيَةُ».

أي علامة.

قوله: « الْمُنَافِقِ».

هو من يظهر الإيمان ويبطن الكفر، وهو اصطلاح إسلامي، وكان ظهورهم بعد غزوة بدر الكبرى.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩) (١٠٧).

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٨).

ثلاث: وليس على سبيل الحصر، ولكنها أشهر وأوضح علامات المنافقين .

بيان أقسام النفاق:

والنفاق ينقسم إلى قسمين:

الأول: نفاق اعتقادي، ويسمى بالنفاق الأكبر.

وهو الذي يكون صاحبه كافرًا، كحال عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين في زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وهو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر والشرك بالله عز وجل.

ويظهر صاحبه الإسلام حتى يعصم دمه وماله وعرضه، ويكون في الظاهر أنه منهم ليتسنى له الطعن في دين الله عز وجل .

مع أنه في حقيقة الحال ما يزال في كفره، وشركه؛ تجد أنه محبًا للكفر، ومؤثرًا له على الإسلام.

يقول الله عز وجل : {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}.

الثاني: النفاق العملي، ويسمى بالنفاق الأصغر.

وصاحبه لا يخرج من ملة الإسلام، ولكنه واقعًا في كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظائم الآثام.

والمراد منه: التخلق بأخلاق المنافقين، وفعل أفعالهم المشهورة عنهم.

ولا يراد من قولنا لشخص أنه منافق: أنه قد وقع في النفاق الأكبر، والنفاق الاعتقادي، إلا مع القرينة على أنه قد وقع في ردة عن الإسلام، أو في ناقض من نواقضه المعلومة.

قوله: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ».

والكذب من أشهر علامات النفاق العملي.

يقول الله عز وجل: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

إذ أن الكذب صفة ذميمة، لا تليق بالمسلم أبدًا حتى أن العرب في جاهليتهم وقبل إسلامهم كانوا يتورعون عن الكذب؛ في حقهم، فقد يعيرون به.

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ -رضي الله عنه- أَخْبَرَهُ: "أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تُجَّارًا بِالشَّامِ فِي المُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ، فَدَعَاهُمْ

فِي مَجْلِسِهِ، وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ. فَوَاللَّهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ...»[1].

فأبو سفيان -رضي الله عنه- كان مشركًا ومع ذلك تورع عن الكذب؛ حتى لا يعير به .

وفي الصحيحين، واللفظ لمسلم رحمه الله تعالى: من حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[2].

قوله: «وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ».

ومن صفاتهم خلف الوعد، حيث يعد على نية الخلف .

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٧٣).

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٧).

أما إذا وعد ونيته الوفاء، ثم قدر الله عز وجل عليه بشيء حال بينه، وبين وعده؛ فلا شيء عليه .

ففي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ»، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»[1] .

و وصف الله عز وجل بأنه : لا يخلف الميعاد.

يقول الله عز وجل : {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ}.

ويقول الله عز وجل : {رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ}.

فلا يخلف وعده، ولا ينقض عهده.

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يفي بالوعد .

قوله: «وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٨٧، ٥٨٩).

أي ومن علاماتهم الخيانة ويشمل كل الأمانات الحسية: من حفظ الودائع، وغيرها.

والأمانات المعنوية: من تبليغ دين الله عز وجل، وتربية الأولاد، وغير ذلك.

فدين الله عز وجل، وتبليغه أمانة على من آتاه الله عز وجل العلم، والنصح لولاة أمور المسلمين عند القدرة عليه أمانة، وكذلك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أمانة، إلى غير ذلك.

فالخيانة صفة ذميمة من صفات المنافقين، فلا تليق بمسلم .

يقول الله عز وجل : {وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

قوله: «وَلَهُمَا: مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»".

الخصام قد يقع بين الناس، ولكن الفجور في الخصومة من علامات المنافقين، وصفاتهم.

فقد يتخاصم الرجل مع زوجته، والجار مع جاره، والصاحب مع صاحبه، والرجل مع ولده، لكن المذموم من ذلك أن يفجر في خصومته، يقول الله عز وجل : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ۞ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا

وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

وفي الصحيحين أيضًا: من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ»[1].

وتقوم الساعة على أهل الخصومات .

يقول الله عز وجل : {مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ}.

أي يتجادلون بالباطل.

فإن قُدِّر عليك أن تضع الخصومة مع أحد من المسلمين، فلا يتجاوز ذلك إلى الفجور فيها الانتصار للنفس ولو بالظلم، والتعدي، والكذب.

ولفظ الحديث في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ».

****

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٦٨).



[بيان تحريم سباب المسلم]

١٥٠١ – (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم سباب المسلم .

ومن باب أولى تحريم قتله ؛ لأنه من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله عز وجل.

فحديث الباب يدل على تحريم سباب المسلم، وشتمه .

يقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ–رضي الله عنه–، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِثْمُ الْمُسْتَبَّيْنِ مَا قَالَا عَلَى الْبَادِئِ، حَتَّى يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ " أَوْ " إِلَّا أَنْ يَعْتَدِيَ الْمَظْلُومُ "»[٢] ".

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٤٤) والإمام مسلم في صحيحه (٦٤).

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧٤٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٠٥٥)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

قوله: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ».

أي أن شتم المسلم فسوق، والفسق: هو الخروج من الطاعة إلى المعصية.

بيان أقسام الفسق:

والفسق ينقسم إلى قسمين:

الأول: فسق أكبر.

وهو الخروج من توحيد الله عز وجل إلى الكفر والشرك، وهذا فسق أهل الكفر، والشرك، والإلحاد.

الثاني: فسق أصغر.

وهو فسق عصاة المسلمين، ويكون ذلك بفعل الكبائر .

فسباب المسلم من الفسق المحرم، ويجب على صاحبه أن يتحلل ممن سبه وشتمه، وأن يتوب إلى الله عز وجل من ذلك.

قوله: «وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».

أي كفر دون كفر، وليس بالمخرج من الملة.

لكنه أيضًا من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله عز وجل.

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكَبَائِرَ، أَوْ سُئِلَ عَنِ الكَبَائِرِ فَقَالَ: " الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، فَقَالَ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟ قَالَ:





قَوْلُ الزُّورِ، أَوْ قَالَ: شَهَادَةُ الزُّورِ " قَالَ شُعْبَةُ: وَأَكْثَرُ ظَنِّي أَنَّهُ قَالَ: «شَهَادَةُ الزُّورِ»[1].

بيان سبب تسمية القتل كفراً:

وسمي القتل كفر؛ لأنه من أفعال الكفار.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "خَطَبَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الحَجَّةِ؟»، قُلْنَا: بَلَى، قَالَ «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ «أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحَرَامِ؟» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٧٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٨٨).

الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[1].

وفي الصحيحين: من حديث جَرِيرٍ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» فَقَالَ: «لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»[2].

قد ساق الإمام البخاري رحمه الله تعالى حديث ابن مسعود في صحيحه للرد على المرجئة، والخوارج.

إذ أن الخوارج يكفرون المسلمين بمطلق الكبيرة.

وقد سمى الله عز وجل المتقاتلين بأنهم مؤمنين فقال:{وإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }.

وفيه رد على المرجئة: الذي يقولون لا يضر مع الإيمان معصية، وأنه لا ينقص من المعاصي.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٧٤١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦٧٩).

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢١)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٥).

وفي صحيح الإمام مسلم: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»(١).

ويكون قتاله كفر أكبر: إذا استحل قتله، فإنه يكفر ويخرج من ملة الإسلام؛ لاستحلاله ما حرم الله عز وجل، والله أعلم .

****

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨١).

[بيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين]

١٥٠٢ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم إساءة الظن بالمسلمين.

والحديث متفق عليه :

ولفظ الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[2].

وحديث الباب يدل على نهي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن إساءة الظن بالمسلمين، والنهي للتحريم؛ إذ يتولد من إساءة الظن العديد من المحرمات.

فمنها: الظلم، والبغي، والبغض، والتجسس، والتحسس، والكراهية، والحسد، والكذب، والغيبة، والنميمة، وغيرها من المحرمات التي يعتبر كل مرض منها من الكبائر بذاته، فنسأل الله عز وجل العافية .

---

[1] هو طرف من حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥١٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٣)، وسيأتي –أيضا– برقم (١٥٢٠).

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٦٦).

يقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.

فلو تأملنا كثرة البلايا الواقعة في الأمة الإسلامية لوجدنا أن أكثرها بسبب إساءة الظن بالمسلمين .

ويقع ذلك بين الأزواج، والآباء وأبناءهم، والجيران، والأقرباء، والنساء، والأخوة، و البعيد والقريب.

إذ أن الظن السيء يجر إلى كل بلية.

بيان أن أسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله عز وجل:

وأسوأ الظن على الإطلاق هو سوء الظن بالله عز وجل لما يأتي إن شاء الله .

والواجب إحسان المؤمن ظنه بربه، لما جاء في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ

تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[(١)].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث جَابِرٍ بن عبد الله-رضي الله عنهما-، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثٍ، يَقُولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللهِ الظَّنَّ»[(٢)].

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»[(٣)].

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى أيضًا:

من طريق حَيَّانُ أَبُو النَّضْرِ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ -رضي الله عنه-عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَجَلَسَ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٧٧).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩٠٧٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى تحت رقم (١٦٦٣)، وقال فيه: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات مترجمون في " التهذيب " غير حيان أبي النضر وقد وثقه ابن معين، وقال ابن أبي حاتم (١ / ٢ / ٢٤٥) عن أبيه: " صالح ". وذكره ابن حبان في " الثقات " (٣ / ٤٨) . ومحمد بن المهاجر هو الأنصاري الشامي الثقة.

قَالَ: فَأَخَذَ أَبُو الْأَسْوَدِ يَمِينَ وَاثِلَةَ فَمَسَحَ بِهَا عَلَى عَيْنَيْهِ، وَوَجْهِهِ لِبَيْعَتِهِ بِهَا رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لَهُ وَاثِلَةُ: وَاحِدَةٌ، أَسْأَلُكَ عَنْهَا؟ قَالَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: كَيْفَ ظَنُّكَ بِرَبِّكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: وَأَشَارَ بِرَأْسِهِ، أَيْ حَسَنٌ قَالَ وَاثِلَةُ -رضي الله عنه-: أَبْشِرْ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ» [1].

فمن ظن بالله عز وجل الخير ناله بإذن الله عز وجل؛ لأنه خير الرزاقين، وأكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين.

ومن ظن بالله عز وجل السوء، ناله السوء والشر بسبب ظنه السيء؛ لأنه وقع في كبيرة من الكبائر.

وظن السوء بالله عز وجل هو من صفات المشركين والمنافقين، كما أخبرنا الله عز وجل عنهم فقال: {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}.

---

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٠١٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١١٩٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

ويقول الله عز وجل : {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

ف ينبغي أن يكون الله عز وجل عند حسن ظن كل مسلم، فمن أحسن الظن بالله عز وجل جازاه الله عز وجل على حسن ظنه .

فإن التعبد لله عز وجل بمعاني أسمائه وصفاته، من الأمور المطلوبة من كل مسلم.

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ».

أي احذروا من الظن فيما بينكم يا معشر المسلمين، واحذروا كل الحذر أن يسوء ظنكم بالله عز وجل.

قوله: «فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ».

قال الحافظ في الفتح (١٠/ ٤٨٢): قد استشكلت تَسْمِيَةُ الظَّنِّ حَدِيثًا وَأُجِيبُ بِأَنَّ الْمُرَادَ عَدَمُ مُطَابَقَةِ الْوَاقِعِ سَوَاءٌ كَانَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَا يَنْشَأُ عَنِ الظَّنِّ فَوُصِفَ الظَّنُّ بِهِ مَجَازًا . اهـ

فعلى كل مسلم أن يحسن ظنه بالمسلمين ما استطاع إلى ذلك سبيلًا؛ حتى يدفع عن نفسه الشر العظيم الذي لا يعلم به إلا الله عز وجل.

وعليه أن يعامل أخاه بما ظهر منه، كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " إِنَّ أُنَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا، أَمِنَّاهُ، وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ» أخرجه البخاري .

والله أعلم .

****

[بيان تحريم غش المسلمين]

١٥٠٣ – (وَعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ - رضي الله عنه -[قَالَ] سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم غش المسلمين.

ولفظ الحديث عند الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه:

من حديث مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ -رضي الله عنه-: أنه قال: سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[2].

والأدلة في تحريم الغش كثيرة منها ما في مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[3].

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧١٥١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٤٢) واللفظ لمسلم.

[2] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧١٥١).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١).



وفي لفظ: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»[١].

فالغش محرم، سواء كان في البيع، والشراء، والنكاح، والخطبة، والتربية للأولاد، والحكم بين الناس، والقضاء، والولاية، وغير ذلك .

وأسوأ الغش غش الرعية، سواء كان ذلك في الولاية الخاصة، أو العامة.

فالولاية الخاصة: كالعالم والشيخ مع طلابه وتلامذته، والأب مع أولاده وأهله، ومن ولاه الله عز وجل أمرهم، ونحو ذلك.

والولاية العامة: هي ولاية المسلمين، كالإمام وخليفة المسلمين مع سائر رعيته فلابد من النصح للرعية في سلوك السبيل الصحيح .

قوله: «مَا مِنْ عَبْدٍ».

أي عبد من عباد الله عز وجل: سواء كان من الرجال، أو من النساء.

قوله: « يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً».

عامة سواء كانوا من الرجال، أو من النساء، أو من الكبار، أو الصغار، وسواء كانوا قليلًا، أم كثيرًا.

---

[٢] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٢).

قوله: «يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ».

أي أنه يلازم الغش من غير توبة، فلعله يبعث على خيانته .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث جَابِرٍ بن عبد الله -رضي الله عنهما-، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»[(١)].

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أيضًا:

من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ -رضي الله عنهما-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ»[(٢)].

قوله: «وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ».

أي مات على هذا الفعل القبيح، وهو غاش لرعيته؛ لم ينصح لهم، ولم يأمرهم بالمعروف، أو ينهاهم عن المنكر، ولم يحذرهم من الشر والضرر، ولم يعلمهم الكتاب والسنة .

بل تركهم كالبهائم، لا يعرفون ما أمرهم الله عز وجل به، ولا ما نهاهم الله عز وجل عنه .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٧٨).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٧٩).

فالذي يجب علينا جميعًا: رجالًا ونساءً أن نتعلم دين الله عز وجل، وأن نعمل بما تعلمنا، ونسأل الله عز وجل أن يعلمنا .

ونحرص كل الحرص على تعلم الكتاب والسنة بقدر ما نستطيع، فالمعرض عن العلم لا يتعلم، كيف سيصله وهو معرض عنه.

قوله: «إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

وهذا يحمل على الدخول الأولي للجنة؛ لأن أصحاب الكبائر تحت مشيئة الله عز وجل؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم.

أو يحمل على الوعيد، وعلى الجزاء إن جازاه الله عز وجل على فعله هذا.

وفي الصحيحين، واللفظ للإمام البخاري: من حديث ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-: «أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ» وَزَادَ اللَّيْثُ، قَالَ يُونُسُ: كَتَبَ رُزَيْقُ بْنُ حُكَيْمٍ إِلَى ابْنِ شِهَابٍ، وَأَنَا مَعَهُ يَوْمَئِذٍ بِوَادِي القُرَى: هَلْ تَرَى أَنْ أُجَمِّعَ وَرُزَيْقٌ عَامِلٌ عَلَى أَرْضٍ يَعْمَلُهَا، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السُّودَانِ وَغَيْرِهِمْ؟ - وَرُزَيْقٌ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَيْلَةَ - فَكَتَبَ ابْنُ شِهَابٍ، وَأَنَا أَسْمَعُ: يَأْمُرُهُ أَنْ يُجَمِّعَ، يُخْبِرُهُ أَنَّ سَالِمًا حَدَّثَهُ: أَنَّ عَبْدَ اللهَّ بْنَ عُمَرَ-رضي الله عنهما-، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ





زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» قَالَ: - وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ - «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[(١)].

****

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٠٩)، والإمام مسلم في صحيحه (١٨٢٩).

[بيان وجوب الرفق بالرعية]

١٥٠٤ - (وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا، فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان وجوب الرفق بالرعية.

وفيه قصة ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٢٨).

فحديث الباب يدل على وجوب الرفق بالرعية، حيث أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا على من يشق عليهم بأن الله عز وجل يشق عليه، وهذا قد يشمل المشقة في الدنيا، والآخرة .

وفي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ» قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: " قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "[1].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث جَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ - رضي الله عنهما-، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ، حُرِمَ الْخَيْرَ أَوْ مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»[2].

وعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» أخرجه مسلم .

قوله: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا».

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٩٢٧).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٩٢).

سواء كان هذا الشيء قليلًا، أم كثيرًا، صغيرًا، أم كبيرًا، وسواء كانت الولاية عامة، أم الخاصة.

فعلى كل مسلم أن يتقى الله في نفسه، وأن يراقب الله عز وجل في جميع شأنه.

والمراد بالأمة : أمة الإجابة.

شيئًا: نكرة في سياق الإثبات، فتفيد العموم كما تقدم.

قوله: «فَشَقَّ عَلَيْهِ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ».

أي أن الجزاء من جنس العمل، فمن شق على المسلمين في ولاتيه عليهم شاق الله عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

ومن رفق بالمسلمين رفق به في الدنيا، وفي الآخرة، والله الموفق .

****

[بيان تحريم الضرب في الوجه]

١٥٠٥ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم الضرب في الوجه.

حديث الباب يدل على تحريم ضرب الوجه عند المقاتلة.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن الوسم في الوجه.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث جَابِرٍ –رضي الله عنهما–، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ الضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ، وَعَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ»[2].

فإن أكرم ما في الإنسان وجهه.

يقول الله عز وجل: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}.

ونهي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وضرب الوجه حتى مع زوجته.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٥٥٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦١٢) واللفظ لمسلم، ولتمام تخريج الحديث انظر «التوحيد» لابن خزيمة (٣٥ بتحقيقي) وما بعده.

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١١٦).

لما جاء في سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟، قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوِ اكْتَسَبْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»[1]، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: " وَلَا تُقَبِّحْ أَنْ تَقُولَ: قَبَّحَكِ اللَّهُ ".

فلا يجوز ضرب الوجه بحال، حتى في حال القتال مع الكفار والمشركين.

لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن المثلة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث بُرَيْدَةَ بن الحصيب -رضي الله عنه- قَالَ: "كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»[2].

---

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢١٤٢)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود: حسن صحيح. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١١١٣)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٧٣١).





وتتمة الحديث: «إن الله خلق آدم على صورته»، وقد اختلف العلماء في معنى الحديث فقال بعضهم الضمير يعود إلى آدم عليه السلام، وقال بعضهم الضمير يعود إلى الله عز وجل .

وأي كان فإن الصورة ثابتة لله عز وجل على ما يليق بوجهه، من هذا الحديث أو غيره .

❊❊❊❊❊❊❊❊❊❊

[التحذير من الغضب]

١٥٠٦ – (وَعَنْهُ -أي أبي هريرة رضي الله عنه-أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي. فَقَالَ: «لَا تَغْضَبْ» ، فَرَدَّدَ مِرَارًا. قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»[١]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان التحذير من الغضب.

قوله: «وَعَنْهُ أَنَّ رَجُلًا».

جارية بن قدامة رضي الله عنه.

فعند الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده:

من طريق الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ عَمٍّ لَهُ يُقَالُ لَهُ: جَارِيَةُ بْنُ قُدَامَةَ السَّعْدِيُّ-رضي الله عنه-، أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي قَوْلًا يَنْفَعُنِي، وَأَقْلِلْ عَلَيَّ لَعَلِّي أَعِيهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَا تَغْضَبْ "، فَأَعَادَ عَلَيْهِ حَتَّى أَعَادَ عَلَيْهِ مِرَارًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: " لَا تَغْضَبْ "[٢].

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١١٦).

[١] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠٣٥٧)، وهو حديث إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير صحابيه جارية بن قدامة رضي الله عنه، فقد خرَّج له النسائي في "مسند علي". قاله محقق المسند.

قوله: «قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوْصِنِي».

فيه: استحباب طلب الوصية من العالم، والفاضل، والأب، وأهل الشأن.

قوله: "فَقَالَ: «لَا تَغْضَبْ»".

وهذه الوصية من جوامع الكلم التي أوتيه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقد جمع في هذه الوصية القليلة الكلمات معاني الدين كله.

لأن الغضب يجر على صاحبه الوقوع في كثير من المعاصي، والكبائر، والذنوب، والخطايا، والسيئات.

فقد يقتل، وقد يظلم، وقد يطلق زوجته، وقد يعتدي، وقد يسب، وقد يشتم، وقد يغتاب، وقد ينم، وقد يحسد، وقد يغل، وقد يبغض، وقد يكره، وقد يسيء الظن، وقد يفعل المنكرات، وكل هذا بسبب الغضب.

قوله: «فَرَدَّدَ مِرَارًا».

أي أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كرر قوله لا تغضب؛ لما في هذه الوصية من النفع في الدنيا، والآخرة.

قوله: "قَالَ: «لَا تَغْضَبْ»".

أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده:



[التحذير من الغضب]

عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَوْصِنِي؟ قَالَ: " لَا تَغْضَبْ "[1].

قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: "فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ، فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ".

****

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣١٧٢)، وهو حديث إسناده صحيح. رجال الشيخين، غير صحابيه رضي الله عنه. قاله محقق المسند.



[بيان تحريم التخوض في مال الله عز وجل بغير حق]

١٥٠٧ – (وَعَنْ خَوْلَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رِجَالًا يتخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان تحريم التخوض في مال الله عز وجل بغير حق.

التخوض في مال الله عز وجل بغير حق له طرق:

الأولى: أن يصرف في الحرام.

الثانية: أن يؤخذ ويكتسب من الحرام.

الثالثة: أن يقع في صرفه ولو في الحلال والمباح المجاوزة والإسراف والتبذير.

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣١١٨)، ويتخوَّضون في مال الله بغير حق. أي: يتصرفون في مال المسلمين بالباطل، وفي الحديث ردع الولاة أن يأخذوا من المال شيئا بغير حقه، أو يمنعوه من أهله. انظر «الفتح».

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لاَ يُبَالِي المَرْءُ بِمَا أَخَذَ المَالَ، أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ»[1].

والمال شأنه عظيم حتى أن المرء في القيامة يُسأل عنه في حالين:

الحال الأول: من أين اكتسبه، أمن حلال، أم من حرام.

الحال الثاني: وفيما أنفقه، أفي الحلال، أم في الحرام.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»[2].

والمال أيضًا له أحكامه، ويدخل فيه كل ما يتمول، سواء كان من النقدين: الذهب، أو الفضة، أو كان من غيرهما.

قوله: «إِنَّ رِجَالًا».

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٨٣).

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤١٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

خرج مخرج الغالب، وإلا فالحكم يشمل الرجال والنساء .

قوله: «يتخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ».

والتخوض في مال الله عز وجل يكون بعدة أشياء:

الأول: في جمعه من غير حله .

الثاني: في صرف، ونفقته في غير حله .

الثالث: منع الزكاة الواجبة منه .

الرابع: منع النفقة الواجبة فيه على الزوجة، والأولاد، والأبوين إن كانا فقراء محتاجين .

الخامس: البخل في إخراج الصدقة المستحبة منه: للفقراء، وللمساكين، واليتامى، والأرامل، وغيرهم من المحتاجين.

السابع: أن يستخدم المال في أذية المسلمين بالرشوة، وغير ذلك.

قوله: «بغَيْرِ حَقٍّ».

خرج بذلك لو كان التخوض فيه بحق.

ما إذا أنفق المال في أوجه الخير، واكتسبه من الحلال .

ومن كان هذا هو حاله فإن الله عز وجل قد أثنى عليه في آيات كثيرات.

يقول الله عز وجل : {الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } .

ويقول الله عز وجل : {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

قوله: «فَلَهُمْ».

أي جزاء صنيعهم وتخوضهم في مال الله عز وجل بغير حق.

قوله: «النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ} [التوبة: ٣٤، ٣٥]

****

[بيان تحريم الظلم]

١٥٠٨ – (وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ – رضي الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ- قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»[١]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم الظلم .

وقد تقدم معنا في أحاديث سابقة أن الظلم من الكبائر؛ لما جاء فيه من الوعيد، وأنه يكون على أصحابه يوم القيامة ظلمات.

قوله: «وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ – رضي الله عنه –».

وهو جندب بن جنادة رضي الله عنه.

قوله: «عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ-».

أي أن هذا الحديث هو حديث قدسي.

قوله: «يَا عِبَادِي».

إضافة ملك وخلق وقهر .

قوله: «إِنِّي حَرَّمْتُ ».

---

[١] أخرجه الإمام مسلم (٢٥٧٧)، وهو طرف من حديث طويل، وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية شرحا نفيسا في «مجموع الفتاوى»، وأيضا طبع مفردا.

أي منعت .

قوله: «الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي».

وتحريم الظلم على نفسه يدل على عدله، وعلى كرمه، وإحسانه، وجوده، وتفضله على عباده.

يقول الله عز وجل: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَّ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.

ويقول الله عز وجل: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّ اللهَّ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}.

ويقول الله عز وجل : {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهَّ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ}.

ويقول الله عز وجل : {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ}.

بيان معنى الظلم:

والظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه.

والله عز وجل الملك ملكه، والخلق خلقه، وكلهم وتحت تصرفه وتدبيره، وأفعاله على مقتضى حكمته عمله.

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من طريق عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، خَشِيتُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ دِينِي وَأَمْرِي، فَأَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: أَبَا الْمُنْذِرِ، إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَدَرِ، فَخَشِيتُ عَلَى دِينِي وَأَمْرِي، فَحَدِّثْنِي مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، فَقَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا، أَوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قُبِلَ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، فَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ» وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ أَخِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، فَتَسْأَلَهُ، فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ، فَسَأَلْتُهُ، فَذَكَرَ مِثْلَ مَا قَالَ أُبَيٌّ وَقَالَ لِي: وَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ حُذَيْفَةَ، فَأَتَيْتُ حُذَيْفَةَ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ مِثْلَ مَا قَالَا، وَقَالَ: ائْتِ زَيْدَ بْنَ ثابتٍ، فَاسْأَلْهُ، فَأَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثابتٍ، فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ

يَقُولُ: «لوْ أَنَّ اللهَّ عذَّبَ أهْلَ سَمَاوَاتِهِ وأهْلَ أرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، أوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللهَّ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إِنْ مُتَّ عَلَى غيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ»[(١)].

بيان هل يجوز لله عز وجل أن يعذب بغير ذنب؟

ذهب أهل البدع من الجبرية وغيرهم، إلى أن الله عز وجل يجوز له أن يعذب بغير ذنب، واستدلوا على ما ذهبوا إليه بمثل الحديث المذكور .

حتى قال السفاريني رحمه الله تعالى:

وجاز للمولى يعذب الورى ... من غير ما ذنب ولا جرم جرى

فكل ما منه تعالى يجمل ... لأنه عن فعله لا يسأل

فإن يثب فإنه من فضله ... وإن يعذب فبمحض عدله

والحديث وما كان في بابه، معناه لو أن الله آخذ العباد، وجعل أعمالهم مقابلة لنعمه، ومقاصة لها؛ لكانت نعم الله عز وجل أكثر .

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٧٧)، وأخرجه أبو داود في سننه (٤٦٩)، ولكن بلفظ أخصر منه. وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٣٥٠).

ولكن الله عز وجل يكرم عباده، ويعفو، ويتجاوز عنهم؛ بكرمه، وجوده، وإحسانه، وفضله العظيم.

قوله: «وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا».

أي في جميع الأديان، والملل.

فهو مما اتفقت على تحريمه الشرائع .

ففي المعجم الأوسط للإمام الطبراني رحمه الله تعالى:

من حديث جَابِرٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: «لَمَّا قَدِمَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنه- مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، تَلَقَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نَظَرَ جَعْفَرٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَجَلَ إِعْظَامًا مِنْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: «يَا حَبِيبِي، أَنْتَ أَشْبَهُ النَّاسِ بِخَلْقِي وَخُلُقِي، وَخُلِقْتَ مِنَ الطِّينَةِ الَّتِي خُلِقْتُ مِنْهَا، يَا حَبِيبِي، حَدِّثْنِي عَنْ بَعْضِ عَجَائِبِ أَرْضِ الْحَبَشَةِ» قَالَ: نَعَمْ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ فِي بَعْضِ طُرُقِهَا، إِذَا أَنَا بِعَجُوزٍ عَلَى رَأْسِهَا مِكْتَلٌ، وَأَقْبَلَ شَابٌّ يَرْكُضُ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَزَحَمَهَا، وَأَلْقَى الْمِكْتَلَ عَنْ رَأْسِهَا، فَاسْتَوَتْ قَائِمَةً، وَأَتْبَعَتْهُ الْبَصَرَ، وَهِيَ تَقُولُ: الْوَيْلُ لَكَ غَدًا إِذَا جَلَسَ الْمَلِكُ عَلَى كُرْسِيِّهِ، فَاقْتَصَّ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ. قَالَ جَابِرٌ -رضي الله عنه-: فَنَظَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّ

دُمُوعَهُ لَتَنْحَدِرُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِثْلَ الْجُمَارِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا قَدَّسَ اللهُّ أُمَّةً لَا يَأْخُذُ الْمَظْلُومُ حَقَّهُ مِنَ الظَّالِمِ، غَيْرَ مُتَعْتَعٍ»[1].

ثم قال رحمه الله تعالى: "لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ إِلَّا مَكِّيُّ بْنُ عَبْدِ اللهَّ الرُّعَيْنِيُّ ".

بيان أن دعوة المظلوم مستجابة:

دعوة المظلوم مستجابة، فليس بينها وبين الله عز وجل حجاب.

لما جاء في الصحيحين:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهَّ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَّ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهَّ حِجَابٌ»[2].

---

(1) أخرجه الإمام الطبراني في معجمه الأوسط (٦٥٥٩)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٨١٦)، وقال فيه: صحيح لغيره، ولكن بدون ذكر القصة.

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٤٩٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٩).




وفي السنن: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»[1].

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللهُ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[2].

وفي المعجم الكبير للإمام الطبراني رحمه الله تعالى: من حديث خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا

---

[2] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٣٦)، والإمام الترمذي في سننه (١٩٠٥)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[1] أخرجه الإمام ابن ماجه (١٧٥٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٣٥٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح. وأخرجه الإمام الترمذي (٣٥٩٨). وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف السنن: ضعيف لكن صح منه الشطر الأول بلفظ المسافر مكان الإمام العادل، وفي رواية الوالد.

دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[(١)].

قوله: «فَلَا تَظَّالَمُوا».

وهذا نهي من الله عز وجل، والنهي يقتضي التحريم، وهذا لفظ عام سواء كانت المظالم في الأموال أو الدماء أو غيرها.

والمظالم إن لم تؤدَ إلى أصحابها في الدنيا؛ فإنها ستؤدى إليه في الآخرة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ

[(٢)] أخرجه الإمام الطبراني في المعجم الكبير (٣٧١٨/٨٤/٤)، وهو في صحيح الترغيب والترهيب للإمام الألباني رحمه الله تعالى وقال فيه: حسن لغيره. وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٨٧٠)، وقال فيه: بالجملة فالإسناد مظلم مجهول. لكن الحديث حسن على أقل الدرجات، فقد أخرج ابن حبان (٢٤٠٩) طرفه الأول من حديث أبي هريرة مرفوعا: " اتقوا دعوة المظلوم". وسنده صحيح. وورد من حديث أنس أيضا بزيادة فيه، وقد سبق تخريجه برقم (٧٦٧) . وأخرج ابن حبان أيضا (٢٤٠٨) والترمذي (٢ / ٢٨٠) وابن ماجه (١٧٥٢) وأحمد (٢ / ٣٠٥، ٤٤٥) من طريق أبي مدلة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. " ثلاثة لا ترد دعوتهم ... ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء ويقول الرب: وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين ".

هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» [(١)].

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَنْ لاَ يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ» [(٢)].

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: " قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: إِنَّمَا سُمِّيَ المَقْبُرِيَّ لِأَنَّهُ كَانَ نَزَلَ نَاحِيَةَ المَقَابِرِ ".

بيان أن الشرك بالله عز وجل هو أعظم الظلم:

وأعظم الظلم الشرك بالله عز وجل.

يقول الله عز وجل : {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.

[(١)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨١).

[(٢)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤٩).

لأنه هضم للربوبية، وفيه تنقص في الألوهية، وهو تسوية الخالق القوي العزيز الكامل في كل الصفات؛ بالمخلوق الضعيف العاجز من كل الصفات.

ولهذا حرم الله عز وجل على نفسه أن يغفره لأحد جاء به يوم القيامة.

يقول الله عز وجل : {إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}.

ثم يكون بعد السحر، والقتل، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وغيرها من الكبائر .

وحديث الباب له تتمة وفيه عدة وصايا :

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ




تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» [1].

قَالَ سَعِيدٌ: "كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ".

وهذا من أشرف الأحاديث التي رواها أهل الشام.

****

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

[بيان تحريم الغيبة]

١٥٠٩ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟».

قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ».

قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟

قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اِغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتَّهُ» [(١)]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان تحريم الغيبة.

وحديث الباب يدل على تحريم الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكره .

يقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.

فجعل الله عز وجل المغتاب كالأكل من لحم الرجل الميت، وهذا مما يدل على حرمتها، والتحذير الشديد منها، وبشاعتها.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٩).

وقد سبق معنا في حديث المفلس كيف تؤخذ حسنات من يغتاب المسلمين يوم القيامة، ثم يطرح عليه من سيئاتهم والعياذ بالله عز وجل.

وهي تعتبر من ظلم الأعراض.

وهي من الكبائر؛ للوعيد الذي جاء فيها؛ فإنها من أسباب عذاب القبر.

وجاء في سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ »[(١)].

وفي سنن أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللهِّ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-فَخَرَجَ إِلَيْنَا فَجَلَسَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِّ، فَقَدْ ضَادَّ اللهَّ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٧٨)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود: صحيح. وهو في الصحيحة (٥٣٣). وقال في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٨٣٩): بأنه صحيح لغيره. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١١٢).

سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللَّهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» [(١)].

بيان أن الغيب محرمة بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

أما من الكتاب: فقول الله عز وجل: {وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.

وأما من السنة: فالأحاديث السابقة، وحديث الباب الذي في سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: عن عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»[(٢)].

وأما الإجماع: فقد انعقد الإجماع على تحريم الغيبة إذا كانت لغير مصلحة شرعية.

---

(٢) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٥٩٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود رحمه الله تعالى، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧٥٥)، وقال فيه: هذا حديث صحيح، ورجاله رجال الصحيح، إلا يحي بن راشد، وقد وثقه أبو زرعه، كما في "تهذيب التهذيب"، وزهير هو ابن معاوية.

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٧٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٥٩٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

فينبغي للإنسان أن يتحرز من هذه البلية العظيمة التي قل ما يسلم منها المؤمن.

قوله: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟».

أي الغيبة المحرمة الممنوعة التي تحاسبون عليها عند الله عز وجل يوم القيامة.

قوله: «قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم في حال حياة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يردون العلم إلى الله عز وجل، وإلى رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ لأنه هو المبلغ عن الله عز وجل، ولكن في الأمور الشرعية فقط.

أما في الأمور الغيبية، فلا يقال إلا الله عز وجل أعلم .

أما بعد موت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيقال الله أعلم، وهذا هو المعروف عن السلف الصالح رضوان الله عليهم، سواء كان ذلك في الأمور الغيبية، أم في الأمور الشرعية.

وبعض أهل العلم يجيز أن يقال الله ورسوله أعلم في الأمور الشرعية حتى بعد موت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.





لكن لم ينقل عن الصحابة رضي الله عنهم أن أحدًا منهم قال ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

قوله: "«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»".

وهذا ضابط الغيبة المحرمة .

كأن يقال فيه: بخيل، أو قصير، أو يمشى كمشيته إذا كان أعرج وهو يكره ذلك، أو يوصف بشيء هو يكرهه، أو غير ذلك مما يكون فيه ذم للمسلم.

قوله: «قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟».

أي إذا قيل في المسلم ما هو فيه، كأن يقال فيه: هو قصير، أو فلانة قصيرة، وهما فيهما القصر فعلًا، أو يقال فلانة غير جميلة، أو يقال فيه عور، أو فيها عيب في الخلقة، وهكذا.

قوله: "قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اِغْتَبْتَهُ»".

فبين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم للصحابة رضي الله عنهم أنه إن كان فيه ما يقال فيه، وهو حق، وصدق، ولكنه يكره أن يقال فيه ذلك، أو يوصف بذلك، فهذه هي الغيبة.

قوله: «وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَقَدْ بَهَتَّهُ».

وبين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن الغيبة إذا لم تكن بحق، وصدق، وكان فيها الكذب، والمبالغة، وغير الحق، فهي من البهت .

لأنه جمع بين الغيبة والكذب .

فمن تكلم في أخيه بغير حق، يكون قد جمع بين كبيرتين كبيرة الغيبة، وكبيرة الكذب والبهتان .

يقول الله عز وجل : {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}.

بيان حكم النميمة:

والنميمة محرمة في الشرع، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، وعظيمة من عظائم الآثام وهي أخت الغيبة.

ولكن النميمة: هي القالة بين الناس.

أي نقل الكلام من شخص إلى آخر من أجل الإفساد بينهم، أو من أجل زرع الخلاف والشقاق بينهم، أومن أجل التفريق بينهم، ولا سيما إذا كانوا جيران، أو أصدقاء، أو أخوة، أو غير ذلك.

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم :[1] من طريق هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: الْقَوْمُ هَذَا مِمَّنْ

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٥).



يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ حُذَيْفَةُ -رضي الله عنه-: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ».

والقتات: هو النمام.

وقد جاء مصرحًا به في رواية الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه:

من حديث حُذَيْفَةَ -رضي الله عنهما-، أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا يَنِمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ».

فهذا الوعيد يدل على أن النميمة من كبائر الذنوب، ومن عظائم الآثام.

فصاحب النميمة متوعداً بعدم دخول الجنة، إما دخولًا أوليًا، أو يحمل على الوعيد والزجر عن مثل هذا الفعل الخبيث الذي يفسد بين الناس، وربما يؤدي إلى القتال، وسفك الدماء، وغير ذلك من المفاسد.

والنميمة من أسباب عذاب القبر:

ففي الصحيحين: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-، قَالَ: "مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الآخَرُ



يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا» أَوْ: «إِلَى أَنْ يَيْبَسَا»[1].

وقد ذكرها الإمام المجدد في كتاب التوحيد في باب السحر دليل على أن النمام قد يفعل ما لا يفعله الساحر من الفساد والإفساد.

****

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢١٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٩٢).

[بيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابر]

١٥١٠ – (وَعَنْهُ –أي أبي هريرة رضي الله عنه–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، – وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ، – بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[(١)]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم الحسد والنجش والتباغض والتدابروما في بابه .

قوله: «لَا تَحَاسَدُوا».

فيه: تحريم الحسد وأنه أيضًا من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام.

وقد تقدم بيان حكم الحسد، وأضراره.

والحسد: هو تمني زوال النعمة عن الغير.

وهو من أسباب تولد الحقد بين المسلم وأخيه، ومن أسباب الكراهة، والبغضاء بين المسلمين.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٤).

قوله: «وَلَا تَنَاجَشُوا».

والنجش: هو الزيادة في ثمن السلعة دون قصد الشراء، وإنما لقصد الإضرار بالغير.

فهو نوع من أنواع البيوع المحرمة؛ لأنه يدخل على الناس في أسعارهم الزيادة في الثمن دون قصد الشراء منه .

فيشتريها المشتري بثمن زائد على سعرها، وهذا فيه حيلة، وأذية للمسلمين.

بيان حكم النجش:

والنجش لا يجوز، بل هو محرم لنهي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنه كما في هذا الحديث، وفي غيره من الأدلة.

وكل شيء فيه أذية وضرر على المسلمين؛ فهو محرم.

ورواية أخرى في الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا...» [1].

بيان الفرق بين التحسس والتجسس:

قيل: بأن التجسس: يكون في السر.

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥١٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٣).

والتحسس: يكون في الأمور العلنية.

يقول الله عز وجل : {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}.

بيان حكم التجسس والتحسس:

وكلاهما لا يجوز، بل هما من الأمور العظيمة الذي نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ لما فيهما من كشف عورات المسلمين، وفضحهم.

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حث ورغب في الستر على المسلمين، وبين أن من ستر مسلمًا في الدنيا ستره الله عز وجل في الدنيا وفي الآخرة.

بيان حكم التجسس على المسلمين للكفار وللمشركين:

والتجسس على المسلمين لصالح الكفار والمشركين يوجب قتل صاحبه أما ردة وإما حداً .

ففي الصحيحين: من طريق عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ-رضي الله عنهم-، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ:

مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»[(١)].

والشاهد: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لم ينكر على عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرادة قتله.

ولكن بين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن حاطبًا رضي الله عنه من أهل بدر، وأنه من الصحابة رضي الله عنهم، وأن أهل بدر قد شملهم الله

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٠٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٩٤).

عز وجل بمغفرته؛ حتى أن أحدهم لو وقع في ذنب من الذنوب؛ فإنه يوفق للتوبة منه، أو أنهم يوقفون لعدم الوقوع في الذنب أصلًا.

وجاء في رواية أخرى في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: « وَلَا تَنَافَسُوا»(١).

بيان حكم التنافس:

والتنافس في أمور الآخرة، والمسارعة إلى الخيرات، والمسابقة إلى القربات، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، من الأمور المطلوبة من المؤمن، والتي تدل على كمال إيمانه، وعلى عظم يقينه بربه سبحانه وتعالى.

ولهذا يقول الله عز وجل: {خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}.

وأما ما جاء من النهي عن التنافس، فهو التنافس في أمور الدنيا الذي تسبب للمسلمين سفك الدماء، وانتهاك الأعراض، والشحناء، والبغضاء، والكراهية، والغل، والحسد، والحقد، وغيرهما من الأمراض.

فالتنافس في أمور الدنيا، والأمور المحرمة: من جمع الأموال ولو من غير حلها، ومن التباهي بالمساكن، وبالسيارات، وأمور الدنيا .

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٣).

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ-رضي الله عنهما-، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ»[1].

قوله: «وَلَا تَبَاغَضُوا».

التباغض: هو تنافر القلوب الذي يؤدي إلى تدابر الأبدان، وإلى الأعراض فيما بين المسلمين مع بعضهم بعضًا.

قوله: «وَلَا تَدَابَرُوا».

والتدابر: يكون في الأبدان، كما أن التباغض يكون في القلوب، وكلاهما محرم وكبيرة.

قوله: «وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ».

لما يورث من الشحناء والبغضاء، والفرق بين هذا البيع والنجش أن البيع على بيع الأخ يريد الشراء، والنجش لا يريد الشراء، إنما يريد رفع ثمن السلعة، وكلاهما يجر إلى مفاسد دينية ودنيوية .

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٦٢).

فالواجب على المسلم أن يعامل المسلمين بما يحب أن يعامل به، وأن يحب للمسلمين من الخير ما يحب لنفسه، وأن يكره لهم من الشر ما يكرهه لنفسك.

قوله: «وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

وهذا إجمال بعد تفصيل، فالواجب على المسلمين أن يكون عباد الله عز وجل إخوانًا فيما بينهم في جميع شأنهم.

وأن لا يتسببوا بضعف هذه الأخوة الإسلامية بأي عمل من الأعمال التي تتسبب في الشقاق، والمخاصمة، والبغضاء، والغل، والحسد، والحقد، والأمراض القلبية التي تضعف من قوة المسلمين.

قوله: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ».

و يكون الأخ عونًا لأخيه: في أمور دنياه، وأمور دينه، وأمور آخرته.

يقول الله عز وجل : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}.

فهذه أخوة الدين الذي أثبتها الله عز وجل في كتابه، وأثبتها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في سنته والأخ مع أخيه يكون في شأنه كله على أحسن حال.

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي مُوسَى -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»[1]. "وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ".

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[2].

قوله: «لَا يَظْلِمُهُ».

فلا يجوز للمسلم أن يظلم أخيه المسلم في نفسه، ولا في ماله، ولا في عرضه، لقول رسول الله ﷺ: « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ» أخرجه مسلم، وقد تقدم بيان فساد الظلم ومضرته الدنيوية والأخروية .

قوله: «وَلَا يَخْذُلُهُ».

ولا يجوز للمسلم أن يخذل أخيه المسلم في رفع المظلمة عنه من أخيه المسلم الذي اعتدى عليه، وهو قادر على رفع المظلمة عنه.

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤٤٦).الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٥).

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٦).

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[1].

وجاء الحديث في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث جَابِرٍ -رضي الله عنهما-، قَالَ: "اقْتَتَلَ غُلَامَانِ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَنَادَى الْمُهَاجِرُ أَوِ الْمُهَاجِرُونَ، يَا لَلْمُهَاجِرِينَ وَنَادَى الْأَنْصَارِيُّ يَا لَلْأَنْصَارِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ» قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللهِ إِلَّا أَنَّ غُلَامَيْنِ اقْتَتَلَا فَكَسَعَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، قَالَ: «فَلَا بَأْسَ وَلْيَنْصُرِ الرَّجُلُ أَخَاهُ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، إِنْ كَانَ ظَالِمًا فَلْيَنْهَهُ، فَإِنَّهُ لَهُ نَصْرٌ وَإِنْ كَانَ مَظْلُومًا فَلْيَنْصُرْهُ»[2].

قوله: «وَلَا يَحْقِرُهُ».

أَيْ لَا يَحْتَقِرَهُ فَلَا يُنْكِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْتَصْغِرُهُ.

---

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٩٥٢).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٤).

سواء كان المسلم ضعيفًا، أو فقيرًا، أو جاهلًا، أو وضعيًا ليس له أسرة تحميه، أو غير ذلك، فالمسلم قوي بأخيه المسلم، فلا يجوز الاحتقار له بأي وجه من الوجوه.

فالتقوى ميزان التفاضل بين الناس عند الله عز وجل، يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}، والمؤمن خير من ملء الأرض من الكفار، والمشركين، والملحدين، والمنافقين الاعتقاديين، ومن إليهم.

ففي صحيح الإمام البخاري: من حديث سَهْلِ بن سعد الساعدي رضي الله عنه-، قَالَ: "مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ، قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لاَ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لاَ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لاَ يُسْتَمَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»[١].

قوله: «التَّقْوَى هَا هُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مِرَارٍ».

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٩١).

ففي الصحيحين: من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1].

قوله: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ».

أي يكفي الإنسان أن يكون شره احتقار المسلم، فكيف إذا ضربه أو شتمه أو انتهك عرضه .

قوله: «أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ».

فذكر النبي ﷺ الاحتقار؛ حتى ينبه على أن ما فوقه .

قوله: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ ».

فلا يجوز ظلمه في عرضه: بقذفه، وسبه، وشتمه، ولا يجوز ظلمه في ماله: بأخذ ماله، أو بسرقته، ولا يجوز ظلمه في دمه: بقتله، أو جرحه، فالمسلم محرم على أخيه المسلم، فلا يجوز له أن يفعل به شيء يتأذى منه.

وحق الحديث أكثر من هذا، ولكن هذه إشارة تغني عن كثرة العبارة .

والحمد لله رب العالمين

****

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٩٩).

[الاستعاذة من منكرات الأخلاق]

١٥١١ – (وَعَنْ قُطْبَةَ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَهْوَاءِ، وَالْأَدْوَاءِ»[١]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَاللَّفْظِ لَهُ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان منكرات الأخلاق .

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم –».

تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «يَقُولُ».

أي يقول هذا في دعائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قوله: «اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي».

أي باعد بيني وبين هذه الأمور المذكورة .

قوله: «مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ».

أي سيء الأخلاق .

---

(١) الحديث صحيح. رواه الترمذي (٣٥٩١)، والحاكم (١/ ٥٣٢) و «الدواء»: جمع داء، وهي الأسقام. وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وفي المشكاة (٢٤٧١ / التحقيق الثاني)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٠٨٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

وهي كل خلق يخالف ما جاء بالكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وهي صفات ذميمة فيها تعدي حق الخالق، حق المخلوق.

فالمنكر: كل ما أنكره الشرع .

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ- رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ،...»[1].

فكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو الله عز وجل أن يهديه إلى أحسن الأخلاق .

كما يدعوه أن يجنبه منكرات الأخلاق، وهذا تعليم للأمة وللحاجة إلى ذلك فقد قال رسول الله ﷺ: " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" ، فالإنسان بخلقه في الدنيا والآخرة، والأخلاق منها الجبلي والمكتب، كما تقدم، ومنها أعظم أسباب حصول المطلوب الدعاء وأشمله ما دل عليه هذا الحديث .

قوله: «وَالْأَعْمَالِ».

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٧١).

أي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا ربه أن يجنبه منكرات الأعمال: سواء القولية، أو الفعلية، أو الاعتقادية، إذ أن الأعمال تكون بهذه الجوارح فقول أهل السنة في الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح ، فمن أعمال القلوب السيئة سوء الظن، والحسد، والحقد، ونحو ذلك، ومن أعمال اللسان: السب، والشتم، والكذب، ومن أعمال الجوارح: السرقة، والقتل، ونحو ذلك .

فتضمن هذا الدعاء الاستعاذة من كل سيء من الأعمال .

قوله: «وَالْأَهْوَاءِ».

ودعا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه سبحانه وتعالى أن يجنبه أيضًا منكرات الأهواء.

والأهواء: هي التي تهوي بصاحبها إلى البدع، والمحدثات، والخرافات، وربما أوصلته إلى الشركيات والعياذ بالله عز وجل.

يقول الله عز وجل : {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ}.

ويقول الله عز وجل : {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}.

ويقول الله عز وجل: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}.

ويدخل في الاستعاذة من الأهواء الاستعاذة من البدع والشركيات، وما في بابها، فكم أفسدت الأهواء من عقائد الناس ومعايشهم، بل ودنياهم وأخراهم .

وفي حديث معاوية بن أبي سفيان، عند أبي داود (٤٥٩٧) أنه قامَ فينا، فقال: ألا إن رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – قامَ فينا، فقال: "ألا إنَّ مَنْ قبلَكم من أهلِ الكتابِ افترقُوا على ثِنتَين وسبعينَ ملَّةً، وإن هذه الملةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسَبعينَ: ثنتانِ وسبعونَ في النَّار، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعة -زاد ابن يحيى وعمرو في حديثيهما:- وإنّه سيخرج في أمتي أقوام تَجَارَى بهم تلك الأهواءُ كما يَتَجَارَى الكَلَبُ لِصاحبه -وقال عمرو: "الكَلَب بصاحبه- لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مَفصِلٌ إلا دخلَه".

وفي سنن الدارمي (١/ ٢٣١): عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، قَالَ: " إِنَّ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ أَهْلُ الضَّلَالَةِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ، فَجَرِّبْهُمْ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْتَحِلُ قَوْلًا أَوْ قَالَ: حَدِيثًا فَيَتَنَاهَى بِهِ الْأَمْرُ دُونَ السَّيْفِ. وَإِنَّ النِّفَاقَ كَانَ ضُرُوبًا، ثُمَّ تَلَا: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ} [التوبة: ٧٥]، {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} [التوبة: ٥٨]، {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ} [التوبة: ٦١] فَاخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا، فِي الشَّكِّ وَالتَّكْذِيبِ، وإِنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ وَاجْتَمَعُوا فِي السَّيْفِ، وَلَا أَرَى مَصِيرَهُمْ إِلَّا إِلَى النَّارِ "

وأخرج الدارمي (١/ ٣٤٤): عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: " مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ عَلَيَّ أَعْظَمُ: أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ، أَوْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ ".

ومن أعظم وقوع المرء في الهوى مجالسة أهله، وكان طريق السلف ما قال أبو قلابة: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ» أخرجه الدارمي (٤٠٥).

قوله: «وَالْأَدْوَاءِ».

والأدواء: الأمراض والأسقام التي تؤذي الإنسان.

وربما لا يجد لها دواء، أو يكون لها دواء ولا يستطيع أن يتوصل إليه لسبب، أو لغيره.

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى وغيره:

من حديث أَنَسٍ-رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالْجُنُونِ، وَالْجُذَامِ، وَمِنْ سَيِّءِ الْأَسْقَامِ»[1].

فالإنسان عليه أن يلجأ إلى الله عز وجل في دفع الشر قبل أن يقع به، وفي رفعه إذا وقع ونزل به، والله المستعان .

****

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٥٤)، والإمام النسائي في سننه (٥٤٩٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٢٩)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

[بيان النهي عن المراء والجدال]

١٥١٢ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ، وَلَا تُمَازِحْهُ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ»[١]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ فِيهِ ضَعْفٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان النهي عن المراء والجدال.

وفي حديث الباب تحريم إخلاف الوعد بدون عذر شرعي .

مع أن حديث الباب لم يثبت، ويغني عنه أدلة أخرى ما في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[٢].

وفي الصحيحين أيضًا:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ

---

[١] الحديث ضعيف. رواه الترمذي (١٩٩٥) وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف ومختلط. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٩).

مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» [(١)].

بيان حكم المراء بين الأخوة:

وفيه النهي عن المراء والجدال.

والحديث ضعيف، ولكن تغني عن أدلة أخرى فإن كان الماء في القرآن

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ»[(٢)].

المراد به: المراء والجدال في القرآن الذي قد يوصل صاحبه إلى الكفر، حيث أنه قد ينكر بعض ما جاء فيه .

فإذا كان المراء يؤدي إلى رد القرآن، أو رد بعض آياته، أو إلى تحريف معاني القرآن والسنة فهو باطل أما إن كان سيؤدي إلى إظهار الحق؛ فهذا محمود .

ففي سنن أبي داود رحمه الله تعالى أيضًا: من حديث أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ

[(٢)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٨).

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٦٠٣)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى فيه: حسن صحيح.

الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»[(١)].

قوله: «لَا تُمَارِ أَخَاكَ».

على ما سبق أي لا تجادله مجادلة تؤدي بك، أو تؤدي به إلى الوقوع في الباطل، أو رد الحق.

قوله: «وَلَا تُمَازِحْهُ».

أي لا تمازح أخاك بمزاح يؤدي إلى أذيته.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبْلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا»[(٢)].

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٠٠٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٤٥٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح ورجاله ثقات.




وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: من طريق عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَأْخُذْ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ لَاعِبًا أَوْ جَادًّا، فَمَنْ أَخَذَ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدَّهَا إِلَيْهِ»[1].

قوله: «وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِدًا فَتُخْلِفَهُ».

يقول الله عز وجل : {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}، والله المستعان .

****

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٦٠)، وأبو داود (٥٠٠٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وفي الإرواء برقم (١٥١٨). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٢٠٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

[ذم البخل وسوء الخلق]

١٥١٣ – (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ – صلى الله عليه وسلم: «خَصْلَتَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ»[1]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان ذم البخل وسوء الخلق.

والحديث ضعيف في سنته لم يثبت، وعلى فرض ثبوته يكون معناه: المؤمن كامل الإيمان لا يكون بخيلاً، ولا ذا خلق سيء .

إذ أن المؤمن قد يكون عنده نوع بخل، وقد يكون فيه سوء خلق.

قوله: «خَصْلَتَانِ».

أي خلتان.

قوله: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ».

خبر يراد به النهي أي ينبغي أن لا يجتمعان في المؤمن .

---

[1] الحديث ضعيف. رواه الترمذي (١٩٦٢) وقال: «غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى». وهو صدقة بين موسى الدقيقي، فيه ضعيف، وهو سيئ الحفظ. وضعفه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.





قوله: «الْبُخْلُ».

فالبخل صفة ذميمة لا تليق بمؤمن، إذ أنه من صفات المنافقين، واليهود ومن إليهم .

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ -رضي الله عنهما-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ»[1] .

وفي الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث جَابِرٌ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟» قُلْنَا: جُدُّ بْنُ قَيْسٍ، عَلَى أَنَّا نُبَخِّلُهُ، قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ» ، وَكَانَ عَمْرٌو عَلَى أَصْنَامِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يُولِمُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا تَزَوَّجَ"[2] .

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٨).

[1] أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (٢٩٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الأدب المفرد برقم (٢٢٧/٢٩٦)، وقال: صحيح. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٢٢٦).





قوله: «وَسُوءُ الْخُلُقِ».

أي سيء الأخلاق، وقد تقدم ذكر بعضها .

فينبغي للمسلم أن يلازم الأخلاق الحسنة، وأن يكتسبها اكتسابًا إذا لم تكن فيه جبلة.

وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما سبق يدعو الله عز وجل أن يهديه لأحسن الأخلاق، والله أعلم .

****

[بيان النهي عن سب، وعن الاعتداء على المسلمين]

١٥١٤ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ – صلى الله عليه وسلم: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان النهي عن السب.

قوله: «الْمُسْتَبَّانِ».

سواء كانوا من الرجال، أو النساء، أو كانوا من الرجال والنساء فيما بينهم.

وحديث الباب فيه النهي عن السب، وأنه من المحرمات؛ لأنه ظلم، والظلم ظلمات يوم القيامة.

قوله: «مَا قَالَا».

أي من الأقوال التي فهيا السب، والشتم، وفيها التعدي على العرض، أو النفس، أو المال.

قوله: «فَعَلَى الْبَادِئِ».

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٤٨٧).

أي يكون الإثم على من بدأ في السب، والشتم، والاعتداء.

قوله: «مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ».

فإذا حصل من المظلوم التجاوز والاعتداء .

فالاعتداء: قد يكون قولًا، أو فعلًا.

يقول الله عز وجل : {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

ويقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}.

قال النووي شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٤١)

الْمُسْتَبَّانِ مَا قالا فعلى البادئ مالم يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ) مَعْنَاهُ أَنَّ إِثْمَ السِّبَابِ الْوَاقِعِ مِنَ اثْنَيْنِ مُخْتَصٌّ بِالْبَادِئِ مِنْهُمَا كُلُّهُ إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ الثَّانِي قَدْرَ الِانْتِصَارِ فَيَقُولُ لِلْبَادِئِ أَكْثَرَ مِمَّا قَالَ لَهُ وَفِي هَذَا جَوَازُ الِانْتِصَارِ وَلَا خِلَافَ فِي جَوَازِهِ وَقَدْ تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة قال الله تَعَالَى وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عليهم من سبيل وَقَالَ تَعَالَى وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ ينتصرون وَمَعَ هَذَا فَالصَّبْرُ وَالْعَفْوُ أَفْضَلُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عزم الامور وللحديث المذكور بعد هذا مازاد اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَاعْلَمْ أَنَّ سِبَابَ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ حَرَامٌ كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِبَابُ

الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَلَا يَجُوزُ لِلْمَسْبُوبِ أَنْ يَنْتَصِرَ إِلَّا بِمِثْلِ ما سبه مالم يَكُنْ كَذِبًا أَوْ قَذْفًا أَوْ سَبًّا لِأَسْلَافِهِ فَمِنْ صُوَرِ الْمُبَاحِ أَنْ يَنْتَصِرَ بِيَا ظَالِمُ يَا أَحْمَقُ أَوْ جَافِي أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يَنْفَكُّ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ قَالُوا وَإِذَا انْتَصَرَ الْمَسْبُوبُ اسْتَوْفَى ظُلَامَتَهُ وَبَرِئَ الْأَوَّلُ مِنْ حَقِّهِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ إِثْمُ الِابْتِدَاءِ أَوِ الْإِثْمُ الْمُسْتَحَقُّ للهِ تَعَالَى وَقِيلَ يَرْتَفِعُ عَنْهُ جَمِيعُ الْإِثْمِ بِالِانْتِصَارِ مِنْهُ وَيَكُونُ مَعْنَى عَلَى الْبَادِئِ أَيْ عَلَيْهِ اللَّوْمُ وَالذَّمُّ لَا الْإِثْمُ . اهـ

والله أعلم .

****

[بيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين]

١٥١٥ – (وَعَنْ أَبِي صِرْمَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ مُسَلِّمًا شَقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ»[1]. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان تحريم إدخال الضرر والمشقة على المسلمين.

وفي حديث الباب النهي عن مضارة المسلم، والنهي عن إدخال المشقة عليه، وتحريم ذلك.

وقد دعا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على من يفعل ذلك بأن الله عز وجل يجازيه من جنس عمله.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى وغيره: من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ– رضي الله عنهما–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[2].

---

[1] الحديث حسن. أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٦٣٥)، والإمام الترمذي في سننه (١٩٤٠)، وليس عندهما لفظ «مسلما». وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٢٣٤١)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الإرواء برقم (٨٩٦)، وقال فيه: صحيح. روي من حديث عبادة بن الصامت، وعبد الله بن عباس ، وأبي

وهذا الحديث يعتبر قاعدة من قواعد الدين العظيمة التي جاء بها؛ لحماية أعراض الناس، وأموالهم، ودمائهم، وأنفسهم، وعقولهم، ودينهم .

فقد جاء ديننا الإسلامي بحماية الضروريات الخمس: "الدين، والنفس، والمال، والعرض، العقل".

فلا يجوز للمسلم أن يضر بنفسه، ولا يجوز له أن يضر بغيره، وهذا من أحسن ما فسر به هذا الحديث من كلام أهل العلم، وله تفاسير كثيرة.

قوله: «مَنْ ضَارَّ مُسْلِمًا ضَارَّهُ اللهُ».

أي من أدخل الضرر على المسلمين، أو تسبب في ذلك قاصدًا للأذية عليهم، فإن جزاءه سيكون من جنس عمله فالله عز وجل سيشق عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

قوله: «وَمَنْ شَاقَّ مُسْلِمًا شَقَّ اللهُ عَلَيْهِ».

سعيد الخدري، وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وثعلبة بن أبي مالك القرظي، وأبي لبابة رضي الله عنهم، وقال فيه: فهذه طرق كثيرة لهذا الحديث قد جاوزت العشر ، وهي وإن كانت ضعيفة مفرداتها ، فإن كثيرا منها لم يشتد ضعفها ، فإذا ضم بعضها إلى بعض تقوى الحديث بها وارتقى إلى درجة الصحيح إن شاء الله تعالى. وقال المناوي في " فيض القدير ": "والحديث حسنه النووي في" الأربعين". قال: ورواه مالك مرسلا، وله طرق يقوى بعضها بعضا. وقال العلائي: للحديث شواهد، ينتهى مجموعها إلى درجة الصحة أو الحسن المحتج به ".

وهذا فيه أن الجزاء من جنس العمل، ومن تسبب في إدخال المشقة على المسلمين، وتعمد ذلك، وقصد الأذية فإن الله عز وجل سيشق عليه في الدنيا، وفي الآخرة.

فليحذر المسلم على نفسه من أن يتسبب في إضرار المسلمين، وإدخال المشقة على المسلمين.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ، قَالَ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَسْأَلُهَا عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَتْ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقُلْتُ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، فَقَالَتْ: كَيْفَ كَانَ صَاحِبُكُمْ لَكُمْ فِي غَزَاتِكُمْ هَذِهِ؟ فَقَالَ: مَا نَقَمْنَا مِنْهُ شَيْئًا، إِنْ كَانَ لَيَمُوتُ لِلرَّجُلِ مِنَّا الْبَعِيرُ فَيُعْطِيهِ الْبَعِيرَ، وَالْعَبْدُ فَيُعْطِيهِ الْعَبْدَ، وَيَحْتَاجُ إِلَى النَّفَقَةِ، فَيُعْطِيهِ النَّفَقَةَ، فَقَالَتْ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَمْنَعُنِي الَّذِي فَعَلَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ أَخِي أَنْ أُخْبِرَكَ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي بَيْتِي هَذَا: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ»[1].

****

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٢٨).

[بيان تحريم الفحش في الكلام والبذاءة واللعن]

١٥١٦ – (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ – صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَّ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ»[1]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ).

١٥١٧ – (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَفَعَهُ-: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانُ، وَلَا الْفَاحِشَ، وَلَا الْبَذِيءَ»[2]. وَحَسَّنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَرَجَّحَ الدَّارَقُطْنِيُّ وَقْفَهُ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم الفحش والبذاءة في الكلام.

وأحاديث الباب تدل على تحريم ذلك.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَائِشَةَ-رضي الله عنها-، قَالَتْ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قَالَ: «وَعَلَيْكُمْ»

---

(١) الحديث صحيح. رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وله شواهد، وأوله: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن من خلق حسن، فإن الله...» الحديث. وسيأتي برقم (١٥٣٧). وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

(٢) الحديث صحيح. رواه الترمذي (١٩٧٧) والحاكم (١/ ١٢). وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٨٢٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.



قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَالذَّامُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ «لَا تَكُونِي فَاحِشَةً» فَقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ: " أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمِ الَّذِي قَالُوا، قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ "[1].

وأخرجه بلفظ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ» "وَزَادَ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ {وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ".

قوله: «أَبِي الدَّرْدَاءِ - رضي الله عنه -».

وهو عويمر الأنصاري رضي الله عنه.

قوله: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ».

فيه: إثبات صفة البغض لله عز وجل، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى لا تشبه صفات المخلوقين، ولا تماثلها، ولا تكيف، ولا تحرف، ولا تعطل.

يقول الله عز وجل : {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}.

ونثبت لله عز وجل صفة الكراهية، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٦٥).

ويقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

وكذلك نثبت لله عز وجل صفة المقت، وهي صفة تليق به سبحانه وتعالى من غير تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تكييف.

والمقت: أشد الكراهة .

قوله: «الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ».

الفاحش: في فعله.

والبذيء: بلسانه، وقوله.

والفحش: هو كل ما عظم فحشه وقبحه في الشرع، واللغة، والعرف.

وذكر المصنف هذه الأحاديث للتحذير من مساوئ الأخلاق.

ففي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَخْبَرَتْهُ قَالَتْ: "اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، أَوِ ابْنُ العَشِيرَةِ» فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الكَلاَمَ؟ قَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ، اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[1].

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٥٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٩١).





وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى في هذا الباب مع صغره إلى عشرات المساوئ .

والحمد لله رب العالمين.

****





قوله: «وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَفَعَهُ-».

وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه وقد تقدم .

قوله: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ».

فيه: تحريم الطعن في المسلمين .

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيَّ -رضي الله عنه-، حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «"أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ " وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»[1] .

وقد جاء في سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ، لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩٣٤).

عَنْهُ، وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ»[١].

وجاء تفسير ردغة الخبال بأنها عصارة أهل النار.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى: من طريق ابْنِ الدَّيلَمِيِّ، عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رضي الله عنهما-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ وَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، فَشَرِبَ، فَسَكِرَ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَادَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ، أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ رَدَغَةِ الْخَبَالِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا رَدَغَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: «عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ»[٢].

---

[٢] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٥٩٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧٥٥)، وقال فيه: هذا حديث صحيح، ورجاله رجال الصحيح، إلا يحي بن راشد، وقد وثقه أبو زرعه، كما في "تهذيب التهذيب"، وزهير هو ابن معاوية.

[١] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٣٧٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧٨٦)، وقال فيه: هذا حديث صحيح، وابن الديلمي هو عبد الله بن فيروز الديلمي.



قوله: «وَلَا اللَّعَّانُ».

أي كثير اللعن، ويراد به الطرد والإبعاد عن رحمة الله عز وجل.

بيان حكم اللعن بالتعيين:

وحديث الباب فيه النهي عن اللعن بالعين .

وقد ذهب جماهير أهل العلم إلى تحريم اللعن المعين الحي: سواء كان الملعون مسلمًا أو كافرًا؛ لأنه دعاء بالطرد وبالإبعاد عن رحمة الله عز وجل.

وذهب بعض أهل العلم إلى أنه في حق المسلم العاصي يكون دعاء بالطرد المؤقت.

وقد بسطت القول في ترجيح هذه المسألة في كتابي: "فتح الوهاب في شرح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب".

بيان حكم اللعن بالوصف:

وأما اللعن بالوصف، فهو جائز؛ للزجر من الأفعال القبيحة.

فنقول: لعنة الله على الكاذبين، والظالمين والكافرين، والقرآن مليء بمثل هذا.

يقول الله عز وجل: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}.

ويقول الله عز وجل: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}.

ويقول الله عز وجل: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}.

ويقول الله عز وجل : {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}.

ويقول الله عز وجل : {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} إلى غير ذلك .

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد لعن في الخمر عشرة.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الخَمْرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا،

وَالَمحْمُولَةُ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالْمُشْتَرِي لَهَا، وَالْمُشْتَرَاةُ لَهُ»[1].

ولعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والفالجة .

ففي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُوتَشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ، لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ». فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧]؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٢٩٥)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٣٨١)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي: حسن صحيح. وفي صحيح وضعيف ابن ماجه: صحيح. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٦١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.




يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا"[(١)].

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ»[(٢)].

ففي الصحيحين: من حديث أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ -رضي الله عنها-، قَالَتْ: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ»[(٣)].

وجاء في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما لعن الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات

وفي مسلم: من طريق زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنها-بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ، لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٨٨٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٢٥).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٣٣).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٩٣٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٢٢).

الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً»[2].

قوله: «وَلَا الْفَاحِشَ».

ولا يجوز أيضًا الفحش ويكون الفحش في الأفعال.

قوله: «وَلَا الْبَذِيءَ».

وتكون البذاءة باللسان: أي في الأقوال .

والله أعلم .

****

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٩٨). [ش (بأنجاد) جمع نجد وهو متاع البيت الذي يزينه من فرش ونمارق وستور وقال الجوهري بإسكان الجيم قال وجمعه نجود حكاه عن أبي عبيد فهما لغتان (شفعاء) معناه لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار (شهداء) فيه ثلاثة أقوال أصحها وأشهرها لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات والثاني لا يكونون شهداء في الدنيا أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم والثالث لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله].

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٩٩).

[بيان تحريم سب الأموات لغير مقصد شرعي]

١٥١٨ – (وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا» [(١)].

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان تحريم سب وشتم الأموات لغير مقصد شرعي .

وفي لفظ للإمام الترمذي رحمه الله تعالى في سننه:

من حديث الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ -رضي الله عنه-يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ» [(٢)].

وحديث الباب، ومع حديث المغيرة بن شعبة -رضي الله عنه-، فيهما تحريم سب الأموات؛ لنهي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك.

ولما فيه من الأذية على أقربائهم الأحياء، وأذيه المسلم محرمة .

بيان سبب نهي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن سب الأموات:

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٣٩٣).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (١٩٨٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١١٣٤)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.





ونهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن سب الأموات لأمور:

الأول: أنهم قد أفضوا إلى ما قدموا من العمل .

الثاني: أنهم عاجزون عن الرد عما قد يتهموا به من الأقوال، ومن الأفعال.

الثالث: أن في سبهم أذية لأقربائهم من الأحياء، كما جاء في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

بيان حكم السب:

السب من أصله محرم، ولا يجوز؛ لما فيه من أذية على المسلمين .

بل هو من الفسوق، ففي الصحيحين: من حديث عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» [(١)].

ولو تأملنا ما عليه حال أكثر المسلمين اليوم، ولا سيما في وسائل التواصل الاجتماعي: من الفيسبوك، والوتساب، والتلجرام، وغير ذلك.

نجد أنهم يسبون الأموات، والأحياء، ويخالفون مثل هذه الأحاديث، ولا يبالون في ذلك.

[(١)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٤).

ويعيرون الأبناء بما فعله آباؤهم، وهذا من الظلم؛ لأن الإنسان وإن فعل الفعل القبيح، أو المعصية؛ فإن ولده لا دخل له في فعل أبيه؛ إلا إذا كان فعله مثل فعل أبيه.

بيان أن الجرح والتعديل ليس فيه سب، ولا شتم، لا للأموات، ولا للأحياء:

وليس من سب وشتم الأموات والأحياء جرح أهل البدع، والتحذير من بدعهم، ومخالفتهم لدين الله عز وجل.

بل هذا فيه النصح للأمة؛ حتى لا يقعوا في مثل ما وقع به أهل البدع والمحدثات، وأهل الفسق، والمعاصي.

ومن يجرح أهل البدع لا يسبهم، أو يشتمهم، وإنما يبين حالهم في الدين، وما كانوا عليه حتى يحذر من فعلهم، وبدعهم، ومخالفتهم لدين الله عز وجل.

وما يزال أهل العلم يتكلمون فيمن مضى من رواة الحديث، والآثار، وفي أصحاب البدع والأهواء والمحدثات.

ممن كان كذابًا، أو متهمًا بالكذب، أو ممن كان مبتدعًا ويدعو إلى بدعته، أو ممن كان ضعيفًا سيء الحفظ، أو غير ذلك.

قوله: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ».

هذا هو الأصل في تحريم سب الأموات، فلا يجوز.





إلا ما كان من تبيين حال أهل البدع والمحدثات حتى يحذرهم الناس .

قوله: «فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا».

أي حال الأموات أنهم قد وصلوا إلى المجازاة على أعمالهم، فلا حاجة لذكرها .

****

[بيان تحريم النميمة وأنها من الكبائر]

١٥١٩ – (وَعَنْ حُذَيْفَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[(١)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان تحريم النميمة.

حديث الباب يدل على تحريم النميمة، وأنها من كبائر الذنوب وعظائم الآثام؛ للوعيد المذكور في الحديث.

والنميمة خلق سيء، تؤدي إلى قطع أواصر الإخاء، والمحبة، والألفة بين المسلمين.

وقد تؤدي إلى سفك الدماء بين الناس .

ولذلك قرن الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب النميمة بالسحر في كتابه التوحيد.

وقد قيل: يفعل النمام ما لا يستطيع أن يفعله ألف ساحر.

والنمام: هو الذي ينقل الكلام من قوم إلى قوم للإفساد بينهم .

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٥٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٥) والقتات: «النمام» كما وقع ذلك في رواية مسلم.

فيجب على المسلم أن يصون نفسه عن مثل هذه الأخلاق الذميمة السيئة.

التي لا يتصف بها الكرماء من الناس .

بيان أن الغيبة أهون من النميمة:

والغيبة مع أنها من الكبائر؛ إلا أنها أهون من النميمة في الشر؛ لأنها قد تقتصر على إنسان بعينه، فيذكر ما فيه من الشر.

بخلاف النميمة، فإنها قد ينقل الكلام من قوم إلى قوم؛ وهذا الكلام كذب وزور، ولم يقع أصلًا؛ حتى يفسد بينهم، ويزرع بينهم العداوة، والشحناء، والحقد، والغل، وربما تطور بهم الأمر إلى المضاربة، وإلى القتال والعياذ بالله عز وجل.

ومن أضرار النميمة أيضًا أنه قد يقع بسببها الطلاق بين الأزواج، ويقع الشر بين الأب مع أبنائه، والأخوة، والأقرباء، والجيران، والقبائل والعشائر، والمسلمين جميعًا.

و عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» أخرجه مسلم .

****

[بيان فضل كف الغضب]

١٥٢٠ – (وَعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ، كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ»[(١)]. أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»).

١٥٢١ – (وَلَهُ شَاهِدٌ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ –رضي الله عنهما– عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا[(٢)]).

الشرح: *********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضل كف الغضب.

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[(٣)].

---

(١) الحديث ضعيف جدا. أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (١٣٢٠)، بلفظ: «مَنْ دَفَعَ غَضَبَهُ دَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنْ حَفِظَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ»، وأبو يعلى في مسنده (٤٣٣٨)، قال الذهبي في الميزان في ترجمة خالد بن برد مجهول. والحديث قد أنكر عليه. وعبد السلام قال أو حاتم فيه: ليس بالقوي، وقال فيه عمرو بن علي الفلاس: لا قطع على أحد بالكذب إلا عليه. وحديث أنس عند أبي يعلى، والدولابي أيضا. وقد ضعف الحديث العلامة الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة.

(٢) الحديث ضعيف. من طريق هشام بن أبي إبراهيم، وهو مجهول. وهو أحد شواهد الحديث السابق، إلا أن لفظه: «من كف غضبه ستر الله عورته»، وهو عند الطبراني في «الكبير» –أيضا.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١١٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٩).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ- رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا» قَالَ: «فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ؟» قَالَ قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»[(١)].

وجاء في معجم الطبراني الأوسط رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عُمَرَ-رضي الله عنهما-: «أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٍ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دِينًا، أَوْ تُطْرَدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلِأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٨).

وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَثْبَتَهَا لَهُ أَثْبَتَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدَمَهُ عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ»[1].

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من حديث سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ أَبِيهِ معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ»[2].

والحديث فيه مجهول الحال، وهو سهل بن معاذ، ولكن قد حسنه بعض أهل العلم.

---

(1) أخرجه الإمام الطبراني في الأوسط (٦٠٢٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٩٠٦)، وقال فيه: وهذا إسناد ضعيف جدا سكين هذا اتهمه ابن حبان، فقال: " يروي الموضوعات". وقال البخاري: " منكر الحديث ". وعبد الرحمن بن قيس الضبي مثله أو شر منه، قال الحافظ في " التقريب ": " متروك، كذبه أبو زرعة وغيره ".لكن قد جاء بإسناد خير من هذا، فرواه ابن أبي الدنيا في " قضاء الحوائج " (ص٨٠ رقم ٣٦) وأبو إسحاق المزكي في " الفوائد المنتخبة " (١ / ١٤٧ / ٢) - ببعضه - وابن عساكر (١١ / ٤٤٤ / ١). ثم قال: وهذا إسناد حسن، فإن بكر بن خنيس صدوق له أغلاط كما قال الحافظ. وعبد الله بن دينار ثقة من رجال الشيخين فثبت الحديث. والحمد لله تعالى. وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦٢): حسن لغيره.

(1) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٧٧)، والترمذي في سننه (٢٠٢١)، وابن ماجه في سننه (٤١٨٦)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.




فكل هذه الأحاديث فيها فضل كظم الغيظ لمن كان قادر على إنفاذه، وأنه له أجر عظيم عند الله عز وجل، قال الله عز وجل: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران: ١٣٤] .

****

[بيان الزجر الشديد للخب، وللبخل، ولسوء الملكة]

١٥٢٢ – (وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خِبٌّ، وَلَا بَخِيلٌ، وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»[1]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفَرَّقَهُ حَدِيثَيْنِ، وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان الذم الشديد للخب، وللبخل، ولسوء الملكة.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٧٩): «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ (خَبٌّ) بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ مَفْتُوحَةً وَبِالْمُوَحَّدَةِ الْخِدَاعُ ... (وَلَا سَيِّئُ الْمَلَكَةِ) ، وَهُوَ مَنْ يَتْرُكُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّ الْمَمَالِيكِ أَوْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي عُقُوبَتِهِمْ، وَمِثْلُهُ تَرْكُهُ لِتَأْدِيبِهِمْ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ تَعْلِيمِ فَرَائِضِ اللَّهِ وَغَيْرِهَا وَكَذَلِكَ الْبَهَائِمُ سُوءُ الْمَلَكَةِ يَكُونُ بِإِهْمَالِهَا عَنْ الْإِطْعَامِ وَتَحْمِيلِهَا مَا لَا تُطِيقُهُ مِنْ الْأَحْمَالِ، وَالْمَشَقَّةِ عَلَيْهَا بِالسَّيْرِ وَالضَّرْبِ الْعَنِيفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . اهـ

****

[1] الحديث ضعيف. رواه الترمذي (١٩٤٧و ١٩٦٤) وقال في الموطن الأول: «حديث غريب»، وفي الموطن الثاني: «حسن غريب». وفيه فرقد بن يعقوب السبخي، وهو «ضعيف».

[بيان تحريم التجسس على المسلمين]

١٥٢٣ - (وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَسَمَّعَ حَدِيثَ قَوْمٍ، وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الْآنُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي: الرَّصَاصَ»[1]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم التجسس على المسلمين.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٧٩):

لَفْظُ الْبُخَارِيِّ مَنْ اسْتَمَعَ، وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ اسْتِمَاعِ حَدِيثِ مَنْ يُكْرَهُ سَمَاعُ حَدِيثِهِ وَيُعْرَفُ بِالْقَرَائِنِ أَوْ بِالتَّصْرِيحِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ مِنْ رِوَايَةِ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ قَالَ: مَرَرْت عَلَى ابْنِ عُمَرَ وَمَعَهُ رَجُلٌ يَتَحَدَّثُ فَقُمْت إلَيْهِمَا فَلَطَمَ صَدْرِي وَقَالَ: إذَا وَجَدْت اثْنَيْنِ يَتَحَدَّثَانِ فَلَا تَقُمْ مَعَهُمَا حَتَّى تَسْتَأْذِنَهُمَا. قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى الْمُتَنَاجِينَ فِي حَالِ تَنَاجِيهِمَا قَالَ الْمُصَنِّفُ: وَلَا يَنْبَغِي لِلدَّاخِلِ عَلَيْهِمَا الْقُعُودُ عِنْدَ هُمَا وَلَوْ تَبَاعَدَ عَنْهُمَا إلَّا بِإِذْنِهِمَا؛ لِأَنَّ افْتِتَاحَهُمَا الْكَلَامَ سِرًّا،

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٠٤٢).



وَلَيْسَ عِنْدَهُمَا أَحَدٌ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمَا لَا يُرِيدَانِ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ لِبَعْضِ النَّاسِ قُوَّةُ فَهْمٍ إِذَا سَمِعَ بَعْضَ الْكَلَامِ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى بَاقِيهِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرِّضَا، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِي الْإِذْنِ حَيَاءٌ وَفِي الْبَاطِنِ الْكَرَاهَةُ وَيَلْحَقُ بِاسْتِمَاعِ الْحَدِيثِ اسْتِنْشَاقُ الرَّائِحَةِ وَمَسُّ الثَّوْبِ وَاسْتِخْبَارُ صِغَارِ الدَّارِ مَا يَقُولُ الْأَهْلُ، وَالْجِيرَانُ مِنْ كَلَامٍ أَوْ مَا يَعْمَلُونَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَأَمَّا لَوْ أَخْبَرَهُ عَدْلٌ عَنْ مُنْكَرٍ جَازَ لَهُ أَنْ يَهْجُمَ وَيَسْتَمِعَ الْحَدِيثَ لِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ. اهـ

****

[بيان أن الإنسان يجب عليه أن ينشغل بعيوب نفسه عن عيوب غيره]

١٥٢٤ – (وَعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ»[1]. أَخْرَجَهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان أهمية انشغال المرء بعيوبه عن عيوب الناس.

والحديث في مسند البزار بلفظ أطول من هذا:

من طريق مُحَمد بْنُ عَبد الرَّحْمَنِ بْنِ الْمُفَضَّل الحراني، حَدَّثنا الوليد بن المهلب، حَدَّثنا النَّضْرُ بْنُ مُحْرِزٍ الأَزْدِيُّ ، عَنْ مُحَمد بْنِ الْمُنْكَدِرِ، عَن أَنَسٍ –

---

(١) الحديث ضعيف جدا. أخرجه البزار في مسنده برقم (٦٢٣٧)، ولكنها كلها ضعيفة –أيضا– كما قال الحافظ العراقي. وهو في الضعيفة للإمام الألباني رحمه الله تعالى تحت رقم (٣٨٣٥). من طريق الوليد من مهلب الأردني، وقال فيه: أخرجه البزار (٣٢٢٥) ، وابن عدي في "الكامل" (٧/ ٨١–٨٢) في ترجمة الوليد هذا، وقال: "أحاديثه فيها بعض النكارة". وفي "الميزان": "لا يعرف، وله ما ينكر". وأما ابن حبان؛ فذكره في "الثقات" (٩/ ٢٢٦) ! ولعل الأولى إعلال الحديث بالنضر بن محرز؛ فقد أورده ابن حبان في ترجمته من "الضعفاء" (٣/ ٥٠) وقال: "منكر الحديث جداً، وهو الذي روى عن محمد بن المنكدر عن أنس. (فذكر الحديث) ؛ إنما روى هذا أبان عن أنس". وكذلك فعل الذهبي، وقال بعد أن ساقه: "تفرد به الوليد، وهو متكلم فيه، والنضر مجهول".

رضي الله عنه-قَالَ: «خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّم عَلَى نَاقَتِهِ الْعَضْبَاءِ وليست بالجدعاء فقال: «يا أيها النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ وَكَأَنَّمَا نُشَيِّعُ مِنَ الْمَوْتَى سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٌ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ كَأَنَّكُمْ مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ قَدْ نَسِيتُمْ كُلَّ وَاعِظَةٍ وَأَمِنْتُمْ كُلَّ جَائِحَةٍ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ، عَن عُيُوبِ النَّاسِ وَتَوَاضَعَ للهِ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَجَانَبَ أَهْلَ الشَّكِّ وَالْبِدْعَةِ وَصَلَحَتْ عَلانِيَتُهُ وَعَزَلَ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ».

قال الصنعاني: سبل السلام (٢/ ٦٨٠):

طُوبَى مَصْدَرٌ مِنْ الطِّيبِ، أَوْ اسْمُ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا لِمَنْ شَغَلَهُ النَّظَرُ فِي عُيُوبِهِ وَطَلَبِ إزَالَتِهَا أَوْ السَّتْرِ عَلَيْهَا عَنْ الِاشْتِغَالِ بِذِكْرِ عُيُوبِ غَيْرِهِ وَالتَّعَرُّفِ لِمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنْ الْعُيُوبِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُقَدِّمَ النَّظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ إذَا أَرَادَ أَنْ يَعِيبَ غَيْرَهُ، فَإِنَّهُ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَرْدَعُهُ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِهِ. اهـ

قوله: «طُوبَى».

اختلف أهل العلم في معنى هذه الكملة.

فقيل: هي شجرة في الجنة.

وهذا هو قول كثير من أهل العلم، ولكن الحديث الذي جاء في أن طوبى شجرة في الجنة إلى آخره، لا يثبت.

وقيل: هي الجنة نفسها.

والمعنى أعم من ذلك، فكأن المعنى: من اتصف بهذا الوصف، فإن الله عز وجل سيجعله من أهل الجنة، ومن أهل النعيم، ومن أهل الرضوان، ومن المتطيبين في العيش.

يقول الله عز وجل : {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}، فكأن طوبى هي من أسماء الجنة، أو هي وصف لما في الجنة من النعيم ومن التطييب في العيش، والخلو من المكدرات، والله أعلم.

قوله: «لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبَهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ».

أي انشغل بإصلاح عيوب نفسه عن عيوب الناس، بحيث أنه لا يغتاب أحدًا من المسلمين، ولا ينم على أحد، ولا يسب، ولا يشتم، ولا يسخر، ولا يستهزأ، ولا يفعل شيئًا من المحرمات.

ومع ذلك يجب على المسلم أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويبذل النصيحة لكل مسلم بقدر ما يستطيع: إما بيده، أو بلسانه، أو بقلبه وهذا هو أضعف مراتب الإنكار للمنكر.

****



[بيان تحريم التعاظم، والاختيال]

١٥٢٥ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» [1]. أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان النهي عن التعاظم في النفس، والاختيال في المشيء واللباس ونحوه، وعن الكبر، وبيان أن كل ما ذكر من كبائر الذنوب؛ للوعيد المذكور في الحديث.

قوله: «مَنْ تَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ».

أي رأى نفسه عظيمًا عن قبول الحق، وعظيمًا على غيره .

مع أن الرفعة بالتقوى، قال الله عز وجل: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ } [الحجرات: ١٣]

وقد أمر المؤمن بالتواضع.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

---

[1] الحديث صحيح. رواه الحاكم (١/ ٦٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٩). وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الأدب المفرد (٤٢٧/٥٤٩). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧١٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح.

من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ، -رضي الله عنه- قَالَ: "قَامَ فِينَا رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» [(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ» أخرجه مسلم .

قوله: «وَاخْتَالَ فِي مِشْيَتِهِ».

أي تبختر وافتخر وتكبر على الناس.

يقول الله عز وجل : {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا}.

ويقول الله عز وجل مخبرًا عن وصية لقمان الحكيم لولده: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}.

كما قال الله عز وجل : {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٦٥).

قوله: «لَقِيَ اللهَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ».

وهذا يدل على أن التعاظم في النفس، والاختيال في المشي من كبائر الذنوب، وعظائم الآثام.

وفيه: إثبات صفة الغضب لله عز وجل، وهي من الصفات الفعلية.

على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل .

وفيه: إثبات الرؤية لله عز وجل؛ لأن اللقي يتضمن الرؤية لله عز وجل.

وفي ذم ذلك ما في الصحيحين: من حديث أَبَي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللهُّ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» [١].

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٨٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٠٨٨). =

= (رجل) من الأمم السابقة. (حلة) ثوبان من نوع واحد. (تعجبه نفسه) ينظر إليها بعين الكمال وينسى نعمة الله تعالى عليه محتقرا لما سواه من الناس.
(مرجل جمته) مسرح رأسه والجمة هي الشعر الذي يتدلى إلى الكتفين أو هو مجمع شعر الرأس.
(خسف) غارت به الأرض وغيبه الله فيها.
(يتجلجل) يتحرك وينزل مضطربا وفي رواية (يتجلل) تغطيه الأرض.]

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي جُرَيٍّ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: "وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ » [(١)].

فكل هذه الأدلة تدل على أهمية التواضع في النفس، وفي المشي، وفي اللبس، والهيئة، ونحو ذلك .

يقول الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}.

فالتقوى هي ميزان التفاضل بين الناس عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا، والآخرة فكل ما كان العبد أتقى .

كان أفضل في الدنيا، والآخرة.

****

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه برقم (٤٠٨٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٩٦).

[بيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان]

١٥٢٦ – (وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم: «الْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ» [1]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن العجلة في الأمور الدنيوية من الشيطان.

الحديث له تتمة:

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: من حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيُّ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأَنَاةُ مِنَ اللَّهِ وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ».

ثم قال رحمه الله تعالى: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

---

[1] الحديث ضعيف. رواه الترمذي (٢٠١٢) من طريق عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه، عن جده، به. وزاد في أوله: «الأناة من الله .... ». وكذا نقل الحافظ هنا التحسين عن الترمذي، ونقل عنه صاحب «التحفة» (٤/ ١٢٩): «حسن غريب». والذي في المطبوع قوله: هذا حديث غريب، وقد تكلَّم بعض أهل الحديث في عبد المهيمن بن عباس بن سهل، وضعفه من قبل حفظه. بل هو شديد الضعف، وقد ترك.وضعفه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي عَبْدِ الْمُهَيْمِنِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ سَهْلٍ وَضَعَّفَهُ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

وَالْأَشَجُّ اسْمُهُ الْمُنْذِرُ بْنُ عَائِذٍ.

وجاء في مسند الإمام أبي يعلى رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «التَّأَنِّي مِنَ اللهِّ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا شَيْءٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللهِّ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللهِّ مِنَ الْحَمْدِ»[1].

وحديث الباب يشهد له وحديث أنس رضي الله عنه .

وعلى كل فالمعنى صحيح، فالعجلة في أمور الدنيا من الشيطان .

ويقول الله عز وجل : {خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ}.

---

[1] أخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده (٤٢٥٦)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٧٩٥)، وقال فيه: وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير سعد بن سنان وهو حسن الحديث كما تقدم غير مرة. وأما قول المنذري (٢ / ٢٥١) : " رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح "، وكذا قال الهيثمي (٨ / ١٩). فهو من أوهامهما لأن سعد بن سنان ليس من رجال " الصحيح ". وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٧٧).

وليست كل عجلة مذمومة، فالمذموم منها ما كان في أمور الدنيا؛ لأن العجلة والطيش في الأمور الدنيوية يكون حليفا الفشل، والخطأ، وربما تقع المصائب على المستعجل أكثر من المتأني في أموره.

وأما في الأمور الأخروية، فإن العجلة والمسارعة والمسابقة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة مطلوبة من العبد المؤمن.

لأن الموت يأتي فجأة، فلهذا يجب عليه أن يستعد لذلك بالأعمال الصالحة التي ترضي الله عز وجل عنه، وتكون سببًا في نجاته من عذاب الله عز وجل، وسببًا في دخوله إلى جنة الله عز وجل.

يقول الله عز وجل مخبرًا عن قصة موسى عليه السلام مع قومه: {وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}.

ويقول الله عز وجل: {فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ويقول الله عز وجل: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»[1].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أيضًا:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ»[2].

وقد أخرج الحاكم رحمه الله تعالى في مستدركه:

من طريق قَبِيصَةَ بْنِ جَابِرٍ الْأَسَدِيِّ قَالَ: "كُنْتُ مُحْرِمًا فَرَأَيْتُ ظَبْيًا فَرَمَيْتُهُ فَأَصَبْتُهُ، فَمَاتَ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه- أَسْأَلُهُ، فَوَجَدْتُ إِلَى جَنْبِهِ رَجُلًا أَبْيَضَ رَقِيقَ الْوَجْهِ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -رضي الله عنه- فَسَأَلْتُ عُمَرَ فَالْتَفَتَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ -رضي الله عنهما-، فَقَالَ: تَرَى شَاةً تَكْفِيهِ، قَالَ: «نَعَمْ» ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَذْبَحَ شَاةً، فَلَمَّا قُمْنَا مِنْ عِنْدِهِ، قَالَ: صَاحِبٌ لِي: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يُفْتِيَكَ حَتَّى سَأَلَ الرَّجُلَ، فَسَمِعَ عُمَرُ بَعْضَ كَلَامِهِ، فَعَلَاهُ عُمَرُ بِالدِّرَّةِ

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١١٨).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٩٤٧).

ضَرْبًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ لِيَضْرِبَنِي فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنِّي لَمْ أَقُلْ شَيْئًا، إِنَّمَا هُوَ قَالَهُ، قَالَ: فَتَرَكَنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَرَدْتَ أَنْ تَقْتُلَ الْحَرَامَ، وَتَتَعَدَّ بِالْفُتْيَا» ، ثُمَّ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَشْرَةَ أَخْلَاقٍ، تِسْعَةٌ حَسَنَةٌ، وَوَاحِدٌ سَيِّئٌ، وَيُفْسِدُهَا ذَلِكَ السَّيِّئُ» ، ثُمَّ قَالَ: «إِيَّاكَ وَعَثْرَةَ الشَّبَابِ»[1] .

والله المستعان .

****

---

[1] أخرجه الإمام عبد الرزاق في مصنفه (٨٢٣٩)، من طريق مَعْمَرٍ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي قَبِيصَةُ بْنُ جَابِرٍ الْأَسَدِيُّ قَالَ: وذكره. والحاكم في مستدركه (٥٣٥٥)، والإمام البيهقي في الكبرى (٩٨٦٢).

[بيان أن من أعظم أسباب الشؤم هو سوء الخلق]

١٥٢٧ – (وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «الشُّؤْمُ: سُوءُ الْخُلُقِ»[1]. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَفِي إِسْنَادِهِ ضَعْفٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان أن الشؤم سوء الخلق.

والحديث لم يثبت ففي سنده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف ولكن معناه صحيح .

فسوء الخلق من الشؤم.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: من حديث عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، إِنَّمَا الشُّؤْمُ فِي ثَلاَثٍ: فِي الفَرَسِ، وَالمَرْأَةِ، وَالدَّارِ»[2].

فشؤم المرأة: في خلقها السيء.

---

[1] الحديث ضعيف. رواه أحمد (٦/ ٨٥) وفي إسناده أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف، أو أشد، وفيه انقطاع بين حبيب بن عبيد الحمصي وعائشة؛ فإن روايته عنها مرسلة. كما في التهذيب. أفاده المحقق. وقد روي الحديث من طرق أخرى لكنها ضعيفة كلها؛ ولهذا قال العراقي: «حديث لا يصح».

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧٧٢).

وشؤم الفرس: في نفورها، وعدم سهولتها في الركوب عليها .

وشؤم الدار: في ضيقها على أهلها.

بيان الشؤم الحقيقي:

وليس التشاؤم بالنظر إلى وجه سيء الخلق، فهذا قد يكون من الطيرة المحرمة، والتي كان يفعلها أهل الجاهلية.

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:من حديث عبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ- رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا». "وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ"[(١)].

وإنما الشؤم في سوء تصرفه، وسوء فعله على من يخالطه، فإنه سيؤذيهم بكلامه، وسوء تصرفه، وسوء خلقه، وغير ذلك من الأذية، والله أعلم .

****

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٣٩١٠)، وابن ماجه في سننه (٣٥٣٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٨٥٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

الحديث أخرجه الترمذي وقال: قال أبو عيسى: سمعت محمد بن إسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث: "وما منا ولكن الله يذهبه بالتوكل". قال سليمان هذا عندي قول عبد الله بن مسعود. ثم قال: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل..

[بيان النهي عن كثرة اللعن]

١٥٢٨ – (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان النهي عن كثرة اللعن.

حديث الباب فيه النهي عن كثرة اللعن، ولا سيما إذا كان لغير حاجة، وإذا كان بنية الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى.

قوله: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ».

على صيغة المبالغة من كثرة اللعن.

قوله: «لَا يَكُونُونَ شُفَعَاءَ».

أي لأهل الكبائر من المسلمين .

قوله: «وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أي على غيرهم يوم القيامة كما هو حال المؤمنين أمة محمد ﷺ.

يقول الله عز وجل : {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا

---

[1] أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٩) (٨٦).



لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

وفي مثل هذا الزمان، كثير من الناس يلعن حتى نفسه، ويلعن زوجته، وسيارته، وأبناءه، وأقاربه، وجيرانه، وغير ذلك .

وربما لعن أصحابه الذي يجلسون معه من باب المزاح معهم، وهم لا يتضجرون من ذلك لجهلهم .

المهم على المؤمن أن يتخلق بالأخلاق النبيلة، ويكتسب تلك الأخلاق اكتسابًا إذا لم تكن فيه متأصلة.

ويكون بالعلم ومجالسة العلماء، وطلبة العلم، والصالحين.

فيعود نفسه على أن لا يتلفظ إلا بالألفاظ الشرعية في غضبه، ورضاه .

وأن يتخلق بالأخلاق الحميدة التي بعث بها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

****

[بيان النهي عن تعيير العاصي بذنبه]

١٥٢٩ – (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ»[1]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَسَنَدُهُ مُنْقَطِعٌ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان النهي عن تعيير العاصي بذنبه الذي يعمله.

حديث الباب موضوع، ويغني عنه ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: من حديث ابْنِ عُمَرَ –رضي الله عنهما– قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ».

---

[1] الحديث موضوع. رواه الترمذي (٢٥٠٥) من طريق خالد بن معدان عن معاذ. وقال: «حديث حسن غريب، وليس إسناده بمتصل، وخالد بن معدان لم يدرك معاذ بن جبل». وفي إسناده محمد بن الحسن الهمداني وهو «كذاب». كذبه ابن معين وأبو داود. وحكم عليه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في الضعيفة بأنه موضوع.

قَالَ: "وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ -رضي الله عنهما- يَوْمًا إِلَى البَيْتِ أَوْ إِلَى الكَعْبَةِ فَقَالَ: «مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكِ»[(١)].

فالمسلم لا يعير غيره من أهل الذنوب والمعاصي، ولا سيما بعد التوبة منها، فالتعيير يكون أشد إثمًا.

بيان ما يقال عند رؤية المبتلى؟

في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث عُمَرَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ، فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، إِلَّا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ البَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ »[(٢)].

ويقول ذلك في نفسه؛ حتى لا يحزن صاحب البلاء .

وإن كان صاحب البلاء من أهل البدع والمعاصي فيقولها في نفسه؛ حتى لا ينفره عن السنة .

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٠٣٢)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي: حسن صحيح.

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٣١)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

إلا إذا كان من أجل الزجر عن المعصية، أو عن البدعة، ورأى المصلحة في قولها له بصوت يسمعه حتى ينكف، فلا بأس بذلك.

فالمؤمن يسأل الله عز وجل العافية من مثل هذه الابتلاءات، والذنوب والمعاصي لا يسلم منها أحد، إلا من رحم الله عز وجل.

وإلا فالذنوب قد تطرأ على الإنسان بسبب شبهة، أو شهوة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»[1].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ -رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ، قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا اللهُ لَكُمْ، لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ، يَغْفِرُهَا لَهُمْ»[2].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أيضًا: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٨).

بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[1].

قوله: «لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ».

أي أنه بسبب معصية تعيير المسلم بالذنب، قد يبتليه الله عز وجل بنفسه هذا الذنب فيفعله قبل موته .

فلهذا ينبغي لنا أن نبتعد عن مثل هذا التعيير، وإنما نكون بين الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبذل النصيحة برفق وبلين، وهذا هو الأصل.

ونسأل الله عز وجل العافية وقد ألف ابن رجب رسالة في الفرق بين النصيحة والتعيير .

****

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٤٩).

[بيان النهي عن الكذب في المزاح]

١٥٣٠ – (وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ، فَيَكْذِبُ؛ لِيَضْحَكَ بِهِ الْقَوْمُ، وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ»[1]. أَخْرَجَهُ الثَّلَاثَةُ، وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان النهي المزاحة بالكذب.

لأن الكذب صفة ذميمة، وقد تقدم أنها تهدي إلى النار.

كما في الصحيحين: من حديث عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا»[2].

بيان بعض ما جاء عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مزاحه وهو حق.

وقد أخرج الإمام البيهقي رحمه الله تعالى:

---

[1] الحديث حسن. رواه أبو داود (٤٩٩٠) والنسائي في» التفسير» (١٤٦ و ٦٧٥) والترمذي (٢٣١٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف السنن. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٩٤٤)، وفي صحيح السنن.

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٧).



من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَائِشَةَ، وَعِنْدَهَا عَجُوزٌ فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: إِحْدَى خَالَاتِي. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْعُجَّزُ، فَدَخَلَ الْعَجُوزُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً خَلْقًا آخَرَ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ» . ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّا [ص:٢١٧] أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً} [الواقعة: ٣٥]»[١].

وفي الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: من حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا مُكَحَّلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً»[٢].

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا،

---

[٢] أخرجه الإمام البيهقي في البعث والنشور (٣٤٣). من طريق عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدَانَ، أَنْبَأَ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، ثنا الْأَسْفَاطِيُّ يَعْنِي الْعَبَّاسَ بْنَ الْفَضْلِ، ثنا نَحْوَهُ الْحِمَّانِيُّ، ثنا ابْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ عن عائشة رضي الله عنها به.

[١] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٤٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٦٩٨)، وقال: صحيح لغيره.

مُرْدًا، بِيضًا، جِعَادًا، مُكَحَّلِينَ، أَبْنَاءَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أَذْرُعٍ» [١].

وقد ذكر الإمام أبي داود رحمه الله تعالى في سننه شيئًا من مزح النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ففي حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَجُـــــلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنِي، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدِ نَاقَةٍ» قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ» [٢].

ومن حديث عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّ وَقَالَ: «ادْخُلْ» فَقُلْتُ: أَكُلِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «كُلُّكَ» فَدَخَلْتُ" [٣].

ومن حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ» [١].

---

[٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧٩٣٣)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٧٠٠): حسن لغيره.

[١] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٩٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود.

[٢] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٠٠٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود.

فيجوز من المزاح ما كان حقًا .

وعلى المؤمن أن يتقي الله عز وجل في نفسه، فلا يكذب في مزاح، ولافي جده .

فالكذب محرم، وكبيرة من كبائر الذنوب .

قوله: «وَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ».

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٨٣):

الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى تَحْرِيمِ الْكَذِبِ لِإِضْحَاكِ الْقَوْمِ، وَهَذَا تَحْرِيمٌ خَاصٌّ. وَيُحَرَّمُ عَلَى السَّامِعِينَ سَمَاعُهُ إذَا عَلِمُوهُ كَذِبًا؛ لِأَنَّهُ إقْرَارٌ عَلَى الْمُنْكَرِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِمْ النَّكِيرُ أَوْ الْقِيَامُ مِنْ الْمَوْقِفِ، وَقَدْ عُدَّ الْكَذِبُ مِنْ الْكَبَائِرِ قَالَ الرُّويَانِيُّ مِنْ الشَّافِعِيَّةِ أَنَّهُ كَبِيرَةٌ، وَمَنْ كَذِبَ قَصْدًا رُدَّتْ شَهَادَتُهُ، وَإِنْ لَمْ يَضُرَّ بِالْغَيْرِ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ حَرَامٌ بِكُلِّ حَالٍ وَقَالَ الْمَهْدِيُّ: إنَّهُ لَيْسَ بِكَبِيرَةٍ وَلَا يَتِمُّ لَهُ نَفْيُ كِبْرِهِ عَلَى الْعُمُومِ، فَإِنَّ الْكَذِبَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَوْ لِإِضْرَارٍ بِمُسْلِمٍ أَوْ مُعَاهَدٍ كَبِيرَةٌ وَقَسَّمَ الْغَزَالِيُّ الْكَذِبَ فِي الْإِحْيَاءِ إلَى وَاجِبٍ وَمُبَاحٍ وَمُحَرَّمٍ وَقَالَ: إنَّ كُلَّ مَقْصِدٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ إلَيْهِ بِالصِّدْقِ، وَالْكَذِبِ جَمِيعًا، فَالْكَذِبُ فِيهِ حَرَامٌ، وَإِنْ أَمْكَنَ التَّوَصُّلُ إلَيْهِ بِالْكَذِبِ وَحْدَهُ

---

(٣) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٠٠٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود.

فَمُبَاحٌ إنْ أُنْتِجَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ الْمَقْصُودِ، وَوَاجِبٌ إنْ وَجَبَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ، وَهُوَ إذَا كَانَ فِيهِ عِصْمَةُ مَنْ يَجِبُ إنْقَاذُهُ، وَكَذَا إذَا خَشَى عَلَى الْوَدِيعَةِ مِنْ ظَالِمٍ وَجَبَ الْإِنْكَارُ، وَالْحَلِفُ وَكَذَا إذَا كَانَ لَا يَتِمُّ مَقْصُودُ حَرْبٍ أَوْ إصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَوْ اسْتِمَالَةُ قَلْبِ الْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ إلَّا بِالْكَذِبِ فَهُوَ مُبَاحٌ، وَكَذَا إذَا وَقَعَتْ مِنْهُ فَاحِشَةٌ كَالزِّنَى وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَسَأَلَهُ السُّلْطَانُ فَلَهُ أَنْ يَكْذِبَ وَيَقُولَ مَا فَعَلْت، ثُمَّ قَالَ: وَيَنْبَغِي أَنْ تُقَابِلَ مَفْسَدَةُ الْكَذِبِ بِالْمَفْسَدَةِ الْمُتَرَتِّبَةِ عَلَى الصِّدْقِ

فَإِنْ كَانَتْ مَفْسَدَةُ الصِّدْقِ أَشَدَّ فَلَهُ الْكَذِبُ، وَإِنْ كَانَتْ بِالْعَكْسِ أَوْ شَكَّ فِيهَا حُرِّمَ الْكَذِبُ، وَإِنْ تَعَلَّقَ بِنَفْسِهِ اسْتَحَبَّ أَنْ لَا يَكْذِبَ، وَإِنْ تَعَلَّقَ بِغَيْرِهِ لَمْ تَحْسُنْ الْمُسَامَحَةُ بِحَقِّ الْغَيْرِ، وَالْحَزْمُ تَرْكُهُ حَيْثُ أُبِيحَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَجُوزُ الْكَذِبُ اتِّفَاقًا فِي ثَلَاثِ صُوَرٍ كَمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٍ فِي الصَّحِيحِ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: لَمْ أَسْمَعْ بِرُخَصٍ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجِهَا قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: لَا خِلَافَ فِي جَوَازِ الْكَذِبِ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ الصُّوَرِ. أَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ مَرْفُوعًا: «الْكَذِبُ يُكْتَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إلَّا فِي ثَلَاثٍ: الرَّجُلُ يَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ لِيُصْلَحَ بَيْنَهُمَا، وَالرَّجُلُ يُحَدِّثُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا بِذَلِكَ، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ»

(قُلْت) : أُنْظُرْ فِي حِكْمَةِ اللهِ وَمَحَبَّتِهِ لِاجْتِمَاعِ الْقُلُوبِ كَيْفَ حَرَّمَ النَّمِيمَةَ وَهِيَ صِدْقٌ لِمَا فِيهَا مِنْ إفْسَادِ الْقُلُوبِ وَتَوْلِيدِ الْعَدَاوَةِ، وَالْوَحْشَةِ وَأَبَاحَ الْكَذِبَ، وَإِنْ كَانَ حَرَامًا إذَا كَانَ لِجَمْعِ الْقُلُوبِ وَجَلْبِ الْمَوَدَّةِ وَإِذْهَابِ الْعَدَاوَةِ . اهـ

****



[بيان كفارة الغيبة]

١٥٣١ – (وَعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – عَنْ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «كَفَّارَةُ مَنْ اغْتَبْتَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ»[1]. رَوَاهُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان كفارة الغيبة.

حديث الباب لم يثبت، وعليه جماهير أهل العلم.

مع اختلاف أهل العلم إلى أقوال:

الأول: فقال بعضهم: إن كان من اغتبته قد وصلت إليه الغيبة، فتطلب منه المسامحة، وتحلل منه.

الثاني: إن كانت لم تصل إليه الغيبة فلا تخبره بها، ولا تذهب.

فتجمع له بين الغيبة، وبين ما يضيق صدره .

لكن له أن يستغفر له، ويذكر بالجميل .

الثالث: قال بعضهم: تستسمح منه مطلقا .

---

[1] الحديث موضوع. ففي سند عنبسة بن عبد الرحمن القرشي، وهو متروك، كما في الميزان. وكان يضع الحديث.

لكن القول الثاني هو المقدم، وعليه شيخنا مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى، وابن كثير رحمه الله تعالى.

وقد نقلناه في كتابنا: "شروط التوبة إلى الله"، عن بعض أهل العلم.

فهذا ليس تحللًا، وإنما هو سوء صنيع، وسوء فقه.

فالإنسان واجب عليه أن يستر نفسه، وغيره من المسلمين.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [(١)].

****

[(١)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

[بيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين]

١٥٣٢ – (وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ» [1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح:************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان تحريم الخصومة الشديدة بين المسلمين.

حديث الباب يدل على تحريم الخصومة الشديدة والمبالغة فيها بين المسلمين.

وأن الله عز وجل يبغض من هذا حاله .

وفيه: إثبات صفة البغض لله عز وجل، وهي من الصفات الفعلية على ما يليق بالله عز وجل، {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} .

قوله: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ ».

خرج مخرج الغالب، وإلا فإن الحكم واحد في حق الرجال، وفي حق النساء.

قوله: « الْأَلَدُّ الْخَصِمُ».

---

[1] أخرجه الإمام مسلم (٢٦٦٨)، وزاد في أوله «إن». والحديث رواه البخاري (٧١٨٨) فكان الأولى بالحافظ رحمه الله أن يقول: متفق عليه.

الألد الخصم: أي شديد الخصومة، والمبالغ فيها، فيما بينه وبين المسلمين.

والفجور في الخصومة من صفات المنافقين، كما تقدم .

فلا يجوز للمسلم أن يفجر في خصومته، بل يلازم الحق في الغضب والرضا .

وينبغي للمسلم أن يكون لينًا، متواضعًا، سهلًا، مع أخوته المسلمين.

وإن كان له حق يأخذ حقه بالطرق الشرعية بغير فجور ونحوه .

وعليه أن ينصف غيره من نفسه، وينصف نفسه من غيره، هذا هو خلق المؤمن الذي يتخلق بأخلاق الشرع.

ففي مسند البزار رحمه الله تعالى: من حديث عَمَّارٍ -رضي الله عنه-: "ثَلَاثٌ مِنَ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ" [(١)].

وقد روي الحديث موقوفا ومرفوعا، والصحيح الوقف .

والحمد لله رب العالمين.

****

---

(١) أخرجه الإمام البزار في مسنده (١٣٩٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في تحقيق الإيمان لابن تيمية موقوفًا على عمار بن ياسر رضي الله عنهما.

[باب الترغيب في مكارم الأخلاق]

[بَابُ التَرْغيبِ فِي مَكَارِمِ الأَخْلاقِ]

الشرح: ******************************

الترغيب: هو الحث والتحريض على الشيء.

ومكارم الأخلاق: أي الأخلاق الحميدة الممدوحة في الكتاب والسنة.

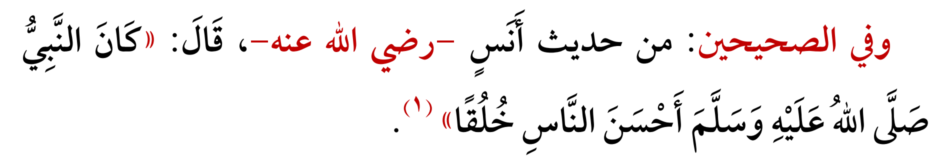
وأحسنها: أن تتخلق بالقرآن، وأن تتأسى بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلا أكمل من ذلك أبدًا.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من طريق حكيم وهشام بن عامر أنها دخلا على عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، فَاسْتَأْذَنَّا عَلَيْهَا، فَأَذِنَتْ لَنَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: «أَحَكِيمٌ؟» فَعَرَفَتْهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: «مَنْ مَعَكَ؟» قَالَ: سَعْدُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَتْ: «مَنْ هِشَامٌ؟» قَالَ: ابْنُ عَامِرٍ، فَتَرَحَّمَتْ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ خَيْرًا - قَالَ قَتَادَةُ: وَكَانَ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ - فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ» [1].

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٤٦).





وفي الصحيحين: من حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا» [١].

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحسن إلى القريب، والبعيد وكان لا يغضب لنفسه.

وكان ديدنه الرفق بالناس، بل قد أحسن صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى المنافقين مع شدة ما إيذائهم له .

فكم أكرمهم ومع ذلك تمالؤا عليه .

****

[٢] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٠٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢١٥٠).

[الأمر بلزوم الصدق]

١٥٣٣ – (عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»[(١)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان الدعوة إلى التحلي بالصدق ظاهراً وباطنًا.

المراد بالصدق صدق الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ}.

ويقول الله عز وجل: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٠٧).

وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}.

ويقول الله عز وجل: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

بيان أعظم الصدق:

والصدق له ثلاث مراتب:

الأولى: الصدق مع الله عز وجل بتوحيده، وإفراده بما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وهكذا لزوم طاعته وتقواه.

المرتبة الثانية: الصدق في متابعة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، في جميع: "أقواله، وأفعاله، ومعتقداته".

المرتبة الثالثة: الصدق مع الناس في الأقوال، والأفعال، وفي جميع أنواع المعاملات.

قوله: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ».

أي إلزموا الصدق في جميع شأنكم: في الأقوال، والأفعال، والمعتقدات.

وهذه الوصية خطب بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما تولى الخلافة.

قوله: «فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ».

البر: اسم جامع لكل خير.

فالصدق يهدي إلى كل خير، وإلى كل طاعة، وإلى كل ما يحب الله عز وجل ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة، والباطنة.

وإلى كل ما يصلح القلوب، والأقوال، والأفعال.

وإلى صلاح الظاهر، والباطن بإذن الله عز وجل.

وقد قال الله عز وجل في بيان البر: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}.

فالبر يشمل الخير كله، والدين كله، والطاعة كلها .

قوله: «وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ».

فسبيل الجنة هو طاعة الله عز وجل في فعل ما أمر به، وفي ترك ما نهى عنه سبحانه وتعالى.

وكما قيل:

تدري أخي أين طريق الجنة ... طريقها القرآن ثم السنة



وفيه: دليل على أن الجنة لا تُنال إلا بالعمل الصالح، وهو سبب من الأسباب في دخول الجنة.

يقول الله عز وجل: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

ويقول الله عز وجل: {وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

ويقول الله عز وجل: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ}.

قوله: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ».

وذكر الرجل خرج مخرج الغالب، وإلا فإن المرأة يشملها هذا الحكم.

وفيه: أن الصدق يكون بالتعود .

وفيه: تحري الصدق؛ فإن الإنسان قد يزل كلامه، ويخرج فيه عن الصدق.

قوله: «حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا».

والصديق: من صيغ المبالغة، أي كثير الصدق: في كل قول، وفعل، ومعتقد.

يقول الله عز وجل : {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا}.



قوله: «وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ».

أي احذروا الكذب، واجتنبوه.

قوله: «فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ».

الفجور: اسم جامع لكل شر.

فالكذب يهدي إلى الفجور، ويقود إليه .

ويكون الفجور في مخالفة الكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، قولًا، وفعلًا، واعتقادًا.

وفي دعوة نوح عليه السلام: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا}.

قوله: «وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ».

فالفجور طريق وسبيل إلى النار وبئس القرار، والعياذ بالله عز وجل.

وقد يكون الفجور بالشرك بالله عز وجل، وهذا أعظم الفجور على الإطلاق .

وقد يكون بالبدع والمحدثات، وقد يكون بالكبائر والعظائم، وقد يكون بالمعاصي والخطايا والذنوب وهكذا .

قوله: «وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ ».

وكذلك المرأة، فيشملها الحكم أيضًا.

قوله: «، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا».

وهذه أعظم فضيحة؛ أن المرء يكتب عند الله عز وجل كذابًا فيعيش عليها، ويموت عليها، ويبعث عليها .

وإذا كتب العبد كذابًا كان من المبعدين المقصيين، ولا سيما إذا كان كذبه في الطاعات، والقربات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل.

كما قال الله عز وجل مخبرًا: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}.

****

[بيان أن سوء الظن أكذب الحديث]

١٥٣٤ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن من حسن الخلق ترك الظن السيء.

وقد تقدم الكلام على هذا الحديث، بما يغني عن الإعادة، والله المستعان .

****

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥١٤٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٣) (٢٨).

[بيان حق الطريق]

١٥٣٥ - (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا.

قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ».

قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟

قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ»[١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان حق الطريق .

قوله: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ».

أي احذروا واتركوا الجلوس في الطرقات؛ لما يؤدي الجلوس فيها من الأذية للمارين في الطريق، ولا سيما من النساء .

قوله: «قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا؛ نَتَحَدَّثُ فِيهَا».

أي أن الطريق هي من الأماكن العامة التي يلتقي فيها الناس، ويجتمعون فيها؛ من غير كلفة، ومشقة فيما بينهم؛ حتى يتحدثون فيها.

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٢٢٩)، والإمام مسلم (٢١٦١).

وليس في هذا اعتراض على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإنما أرادوا أن يبينوا للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بسبب جلوسهم .

قوله: "قَالَ: «فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ»".

أي إذا لم تتركوا الجلوس في الطرقات .

قوله: «فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ».

أي الزموا شرع الله عز وجل في المكان الذي جلستم فيه .

قوله: «قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟».

وفيه: السؤال فيما يجهل من أمر الدين .

قوله: "قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ»".

وبدأ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالأمر بغض البصر؛ لأن إطلاقه فيما حرم الله عز وجل سبب الفتنة بالنساء وما في بابها .

ويقول الله عز وجل : {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ

أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

من حديث عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ-رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»[(١)].

وقد قال الشاعر:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر

قوله: «وَكَفُّ الْأَذَى».

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٢٧٥٧)، وهو في الصحيحة برقم (١٤٧٠)، وقال فيه الإمام الألباني رحمه الله تعالى: وهذا سند حسن لولا الانقطاع بين المطلب وعبادة ولذلك لما صححه الحاكم تعقبه المنذري في " الترغيب " (٣ / ٦٤) بقوله: " بل المطلب لم يسمع من عبادة". ثم قال: وله شاهد مرسل ". وجملة القول: أن الحديث بمجموع الطريقين حسن. والله أعلم. وله شاهد آخر متصل...أخرجه الخرائطي في " مكارم الأخلاق " (ص ٣٠) والحاكم (٤ / ٣٥٩) شاهدا لما قبله، وسنده حسن عندي، رجاله كلهم ثقات غير سعد بن سنان وهو صدوق له أفراد. فالحديث صحيح به.





أي يكف الأذى عن المار في الطريق.

سواء كان الأذى القولي: كالسب والشتم، أو السخرية، وغير ذلك .

أو الأذى الفعلي: كالرمي، أو وضع الشوك في الطريق، أو غير ذلك من أنواع الأذى.

قوله: «وَرَدُّ السَّلَامِ».

أي يرد السلام على من سلم، وقد تقدم بيان ذلك .

قوله: «وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ والنهي عن المنكر».

أي ومن حق الطريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يكون على حسب الاستطاعة، باليد واللسان والقلب، لحديث : أبي سعيد الخدري ﷺ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» أخرجه مسلم .

وهذا الحق لا يستطيع له إلا من كان قويًا في دينه، ولهذا ينصح المؤمن بعدم الجلوس في الطريق؛ لأنه ربما أخل بهذا الباب، وبما بعده من النهي عن المنكر؛ فيأثم.

فالسلامة لا يعدلها شيء .





لأن عصاة المسلمين ولا سيما في زماننا هذا كثير، فهذا يمر مسبل في ملابسه .

وذاك يمر وهو يسمع الأغاني .

والمرأة تمر غير محتجبة بالحجاب الشرعي .

وهذا يمشي وهو يسب وشتم، وهذا يمشي وهو يؤذي غيره من المسلمين، والله أعلم .

****

[بيان فضيلة العلم ومنزلة الرفيعة]

١٥٣٦ – (وَعَنْ مُعَاوِيَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللهُّ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضيلة العلم، ومنزلته الرفيعة.

قوله: «وَعَنْ مُعَاوِيَةَ – رضي الله عنه –».

هو معاوية بن أبي سفيان بن صخر رضي الله عنهما، هو وأبوه من الصحابة رضي الله عنهم.

وأخته أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقد كان من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وهو ملك المسلمين وخليفتهم بعد أن تنازل له الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأرضاهما بالخلافة.

قال شيخ الإسلام في المجموع (٤/ ٤٧٨):

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَفْضَلُ مُلُوكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَإِنَّ الْأَرْبَعَةَ قَبْلَهُ كَانُوا خُلَفَاءَ نُبُوَّةٍ وَهُوَ أَوَّلُ الْمُلُوكِ؛ كَانَ مُلْكُهُ مُلْكًا وَرَحْمَةً كَمَا جَاءَ فِي

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧١)، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٣٧).

الْحَدِيثِ: " {يَكُونُ الْمُلْكُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ ثُمَّ يَكُونُ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبْرِيَّةٌ ثُمَّ مُلْكٌ عَضُوضٌ} " وَكَانَ فِي مُلْكِهِ مِنْ الرَّحْمَةِ وَالْحُلْمِ وَنَفْعِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ خَيْرًا مِنْ مُلْكِ غَيْرِهِ. اهـ

والرافضة يبغضونه ويتنقصونه بسبب ما حصل بينه وبين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه من حروب.

قوله: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا».

إرادة كونية كما أنها شرعية .

فمن وفقه الله عز وجل للتفقه في دين الله عز وجل، وطلب العلم الشرعي، فقد أراد الله عز وجل به خيرًا عظيمًا، إذ أنه سبيل الرفعة والعزة والنصر والتمكين، وهو ميراث الأنبياء والمرسلين، وسبيل إلى جنة النعيم، فمن أراد خيري الدنيا والآخرة لزم غرزة، وعلم وعمل به، ثم دعا إليه، فمن فعل ذلك فقد كملت له طريق المكارم، ولي في ذلك وكن بالعلم محتفياً علو في الحياة وفي المعاد .

ومفهوم الحديث أن من لم يتفقه في دين الله عز وجل ويوفق لذلك لم يرد الله عز وجل به خيرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قوله: «يُفَقِّهْهُ».

أي يعلمه ويفهمه علم الكتاب والسنة؛ فيعبد الله عز وجل ويدعو إليه على بصيرة من أمره، كما قال تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨] .

قوله: «فِي الدِّينِ».

إذ أن العلم الممدوح: هو علم الدين، علم الكتاب والسنة النبوية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

يقول الله عز وجل آمراً نبيه للتزود منه : {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}.

ويقول الله عز وجل : {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨].

ويقول الله عز وجل : {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.

ويقول الله عز وجل : {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}.

ويقول الله عز وجل : {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}.

ويقول الله عز وجل : {نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}.

ويقول الله عز وجل : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.

والمعنى الإجمالي للحديث: أن العلم مفتاح كل خير، كما أن الجهل مفتاح لكل شر وضير، والله المستعان، وقد تكلم ابن القيم عن فضل العلم من أوجه كثيرة في كتابه مفتاح دار السعادة لمن أراد مزيداً من ذلك .

والحمد لله رب العالمين .

****

[بيان فضل حسن الخلق]

١٥٣٧ – (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ – صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[(١)]. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ).

الشرح: **

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضل حسن الخلق وأثره في الدنيا والآخرة.

وقد تقدم بعض الأحاديث في ذلك.

قوله: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ».

وهو الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة له كفتان، وميزان حقيقي، قال الله عز وجل: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: ٤٧]، وقال في حق الكفار: {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: ١٠٥].

قوله: «أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».

---

(١) الحديث صحيح. رواه أبو داود (٤٧٩٩)، وهو طرف من الحديث السابق (١٥٠٢). وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود.

أي أن الخلق الحسن من أفضل ما يكون من الأعمال التي تثقل بها الموازين يوم القيامة .

وقد تقدم أن حسن الخلق يكون مع الله عز وجل بتوحيده، وحسن عبادته، وطاعته.

بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

ويكون حسن الخُلُق مع الخلْق: بكف الأذى، وبذل الندى، وطلاقة الوجه.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ» [(١)].

وفي الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا"، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا» [(٢)].

[(١)] أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في سننه (٢٠٠٤)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي: حسن الإسناد.

[(٢)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٥٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٢١).




وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: من حديث جَابِرٍ بن عبد الله – رضي الله عنهما–، أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهَّ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ» [(١)].

وَالثَّرْثَارُ: هُوَ الكَثِيرُ الكَلَامِ، وَالمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الكَلَامِ وَيَبْذُو عَلَيْهِمْ.

ولو لم يكن من فضيلة حسن الخلق إلا أنه من سجية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وفيه: دليل على وزن الأعمال يوم القيامة.

بيان الموزون يوم القيامة:

والذي يوزن يوم القيامة ثلاثة أمور:

الأول: العمل.

ودليله حديث الباب، وغيره من الأحاديث.

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٠١٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

الثاني: العامل.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مِمَّ تَضْحَكُونَ؟ " قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ» [(١)].

الثالث: الصحف التي فيها الأعمال.

ففي السنن: من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ -رضي الله عنهما-، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ

[(٢)] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٩٩١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٢٧٥٠)، وقال فيه: وهذا إسناد حسن، وهو صحيح بطرقه الكثيرة عند الطبراني (٨٤٥٣، ٨٤٥٤، ٨٥١٧)، وابن سعد، وبشواهده. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٨٣٧)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»[1].

ولا يلزم أن توزن الثلاثة لكل شخص؛ وإنما قد توزن في شخص بعضها، ويوزن لشخص آخر بعضها .

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا: {فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْنًا} [الكهف: ١٠٥]»[2].

ومعنى الآية: أن الكفار يوزنون؛ ولا يقام لهم وزن، لفساد أعمالهم، وسوء صنيعهم، وذهب بعض أهل العلم إلى أنهم لا يوزنون لكن ما تقدم هو الصحيح .

بيان أن الميزان يوم القيامة هو واحد فقط:

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٦٣٩)، والإمام ابن ماجه في سننه (٤٣٠٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧٨٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٢٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٨٥).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الميزان يوم القيامة حقيقي، وهو ميزان واحد عظيم وله كفتان.

والدليل على ذلك: ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما السابق وفيه: «أن السجلات توضع في كفة، وأن البطاقة توضع في كفة».

وذهب بعضهم إلى أنها موازين كثيرة، واستدلوا بقول الله عز وجل: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}.

والصحيح القول الأول، وإنما جاءت الآية بلفظ الجمع؛ لكثرة ما يوزن به يوم القيامة.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ»"[1].

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤٣٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي، وهو في الصحيحة برقم (٢٦٣٠)، وقال فيه: ورجاله ثقات رجال مسلم، فإنه

فالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أثبت في هذا الحديث أنه ميزان فقط، ولم يذكر أنها موازين، كما أن الحوض واحد، والصراط واحد، والله أعلم .

بيان من أنكر الميزان:

وأنكر الميزان الخوارج، والمعتزلة، والرافضة، وزعموا: بأن الميزان إنما يحتاج إليه الثوام، والبقال، تعال الله عز وجل عن قولهم علوًا كبيرًا.

والحق: أن الله عز وجل وضع الميزان لإظهار عدله وفضله، والله المستعان.

****

أخرج لحرب هذا حديثا آخر في " الأطعمة " (٦ / ١٢١) وسائر رجاله من رجال الشيخين. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٣١)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

[بيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان]

١٥٣٨ – (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: **

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضيلة الحياء، وأنه من الإيمان.

بيان معنى الحياء:

والحياء: خلق يحمل صاحبه على ترك كل قبيح وهو خلق قلبي عظيم.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[2].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من طريق أَبِي السَّوَّارِ، يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ –رضي الله عنه–، يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ»، فَقَالَ بُشَيْرُ بْنُ كَعْبٍ: إِنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي الْحِكْمَةِ: أَنَّ مِنْهُ وَقَارًا، وَمِنْهُ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٦).

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٥)، واللفظ له.

سَكِينَةً، فَقَالَ عِمْرَانُ: "أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتُحَدِّثُنِي عَنْ صُحُفِكَ".

وفي لفظ لمسلم أيضا: : «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» قَالَ: أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»[1].

وفي مستدرك الحاكم رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْحَيَاءُ وَالْإِيمَانُ قُرِنَا جَمِيعًا، فَإِذَا رُفِعَ أَحَدُهُمَا رُفِعَ الْآخَرُ»[2].

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/ ٦٨٩):

الْحَيَاءُ فِي اللُّغَةِ: تَغَيُّرٌ يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنْ خَوْفِ مَا يُعَابُ بِهِ.

وَفِي الشَّرْعِ: خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْقَبِيحِ وَيَمْنَعُ مِنْ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٧).

[1] أخرجه الإمام الحاكم في المستدرك (٥٨)، ورواه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في الأدب المفرد موقوفًا على ابن عمر رضي الله عنهما برقم (١٣١٣)، وصح الموقوف والمرفوع، كما قال ذلك الإمام الألباني رحمه الله تعالى في هامش صحيح الأدب المفرد (٩٩١). وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧٥٢)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرطهما، فقد احتجا برواته، ولم يخرجاه بهذا اللفظ. اهـ وقال المناوي في "فيض القدير" قال الحافظ العراقي: هذا حديث صحيح غريب، إلا أنه قد اختلف على جرير بن حازم في رفعه ووقفه..

وَالْحَيَاءُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً فَهُوَ فِي اسْتِعْمَالِهِ عَلَى وَفْقِ الشَّرْعِ يَحْتَاجُ إِلَى اكْتِسَابٍ وَعِلْمٍ وَنِيَّةٍ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ الْإِيمَانِ.

وَقَدْ يَكُونُ كَسْبِيًّا.

وَمَعْنَى كَوْنِهِ مِنْ الْإِيمَانِ: أَنَّ الْمُسْتَحِي يَنْقَطِعُ بِحَيَائِهِ عَنْ الْمَعَاصِي فَيَصِيرُ كَالْإِيمَانِ الْقَاطِعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعَاصِي.

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَيَاءَ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي كَمَا يَمْنَعُ الْإِيمَانَ؛ فَسُمِّيَ إِيمَانًا كَمَا يُسَمَّى الشَّيْءُ بِاسْمِ مَا قَامَ مَقَامَهُ.

وَالْحَيَاءُ مُرَكَّبٌ: مِنْ جُبْنٍ وَعِفَّةٍ.

وَفِي الْحَدِيثِ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ وَلَا يَأْتِي إلَّا بِخَيْرٍ».

فَإِنْ قُلْت قَدْ يَمْنَعُ الْحَيَاءُ صَاحِبَهُ عَنْ إنْكَارِ الْمُنْكَرِ؟

وَهُوَ إخْلَالٌ بِبَعْضِ مَا يَجِبُ فَلَا يَتِمُّ عُمُومُ " إنَّهُ لَا يَأْتِي إلَّا بِخَيْرٍ ".

(قُلْت) قَدْ أُجِيبَ عَنْهُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ الْحَيَاءِ فِي الْأَحَادِيثِ الْحَيَاءُ الشَّرْعِيُّ، وَالْحَيَاءُ الَّذِي يَنْشَأُ عَنْهُ تَرْكُ بَعْضِ مَا يَجِبُ لَيْسَ حَيَاءً شَرْعِيًّا؛ بَلْ هُوَ عَجْزٌ وَمَهَانَةٌ.

وَإِنَّمَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْحَيَاءُ لِمُشَابَهَتِهِ الْحَيَاءَ الشَّرْعِيَّ.

وَبِجَوَابٍ آخَرَ: وَهُوَ أَنَّ مَنْ كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ خُلُقِهِ فَالْخَيْرُ عَلَيْهِ أَغْلَبُ.

أَوْ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْحَيَاءُ مِنْ خُلُقِهِ كَانَ الْخَيْرُ فِيهِ بِالذَّاتِ فَلَا يُنَافِيهِ حُصُولُ التَّقْصِيرِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ شَرْحِ مُسْلِمٍ: وَكَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ جُمِعَ لَهُ النَّوْعَانِ مِنْ الْحَيَاءِ الْمُكْتَسَبِ وَالْغَرِيزِيِّ.

وَكَانَ فِي الْغَرِيزِيِّ أَشَدَّ حَيَاءً مِنْ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، وَكَانَ فِي الْمُكْتَسَبِ فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -. اهـ

****

[بيان سوء قلة الحياء]

١٥٣٩ – (وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» [(١)]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان سوء قلة الحياء .

قوله: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ».

أي مما أدركه الناس ممن كان قبلهم، وتناقلوه فيما بينهم، وعاشوا عليه.

قوله: «مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى».

أي من كلام الأنبياء والرسل السابقين لمبعث النبي ﷺ، ولعله من كلام عيسى عليه السلام .

قوله: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ ».

أي أن الإنسان إذا لم يكن عنده حياء فعل ما شاء، لأنه ليس عنده حياء يمنعه من فعل القبيح.

[(١)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦١٢٠) وأما قول الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في «السبل» بأن لفظ «الأولى» ليس في البخاري، فهو من أوهامه.





وليس هذا على سبيل الإقرار، وإنما على سبيل الإخبار بحال من قل حياؤه .

وفي المثل اليمني عند عامة الناس: "إذا لم تستحِ فاصنع ما تشتهِ" ومعناه موافق لمعنى الحديث لأن الحياء خلق جليل يمنع صاحبه من فعل القبيح، فالإنسان إذا لم يكن عنده حياء؛ فعل القبيح، والشر، والحرام، ولا يبالي بذلك.

وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها؛ وذلك لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان مراقبًا لله عز وجل في كل سكناته، وحركاته.

وعاملًا بما يرضي الله عز وجل عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والله المستعان.

والحمد لله رب العالمين

****

[بيان قوي الإيمان من ضعيفه]

١٥٤٠ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ – صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِّ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِّ، وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُّ وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان قوي الإيمان من ضعيفه، وذلك أن الناس يتفاوتون في الإيمان على قدر أعمالهم .

بيان أن الإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعصية:

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

وهذا أمر ثابت: بالكتاب وبالسنة وبالإجماع:

أما من الكتاب: فقول الله عز وجل : {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُّ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٦٤).

ويقول الله عز وجل : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا}.

ويقول الله عز وجل : {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}.

ويقول الله عز وجل : { وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}.

ويقول الله عز وجل : {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}.

ويقول الله عز وجل : {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}.

وأما من السنة:

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

عن أبي سَعِيدٍ الخدري -رضي الله عنه-: أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا

فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(١)].

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا»[(٢)].

وأما الإجماع: فقد أجمع أهل السنة على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

بيان أن الإيمان أركان وحدود وسنن:

والإيمان أركان وحدود وسنن.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٩).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٠٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٩، ٨٠).

" وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ»".

قوله: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ».

والمراد بالقوي هنا: أي القوي في إيمانه، ولا القوة البدنة .

إلا إذا جمع الله عز وجل للشخص بين القوة الإيمانية والبدنية كما كان حال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد جمع الله عز وجل له القوتين: قوة الإيمان، وقوة البدن .

فالقوة البدينة إن لم تكن مقارنة للقوة الإيمانية لا مصلحة فيها؛ لأن الإنسان ربما ظلم، وقتل، وضرب، وتعدى على المسلمين، وأفسد في الأرض بسبب قوته وضعف إيمانه، كحال الكافرين وكثير من عصاة المسلمين.

بيان إن اجتماع القوة البدنية مع القوة الإيمانية من أعلى المراتب:

فللقوة البدنية مع القوة الإيمانية مراتب ثلاث:

الأولى: وهي أعلى المراتب أن يجمع الله عز وجل القوة البدنية، مع القوة الإيمانية، والعلمية، والعملية .

الثانية: أن يكون المؤمن قويًا في إيمانه، ضعيفا في بدنه .

الثالثة: وهي المرتبة الدنيا.

أن يكون قوياً في بدنه وضعيفاً في إيمانه .

الرابعة: أن يكون ضعيفا في إيمانه وبدنه.

قوله: «خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ».

أي أنه يكون خير من المؤمن الضعيف في إيمانه.

وستكون أعماله التي يتقرب بها إلى الله عز وجل أكثر من أعمال غيره من المؤمنين، ولا سيما ممن كان قل إيمانه .

فالمؤمن القوي أحب إلى الله عز وجل من المؤمن الذي إيمانه أقل منه.

أعماله الصالحة الكثيرة التي يفعلها وتزيد في إيمانه .

قوله: «مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ».

أي ضعيف الإيمان؛ لأن أعماله الصالحة التي يتقرب بها إلى الله عز وجل أقل من أعمال غيره .

فالإيمان تضعفه المعاصي والذنوب والسيئات باختلاف أنواعها ودرجاتها.

فإن العبد كلما تقرب إلى الله عز وجل بالطاعات، وأكثر من فعل الخيرات والقربات زاد إيمانه.

وكلما أكثر من المعاصي والذنوب نقص إيمانه بقدر ذلك.

بيان طريقة معرفة زيادة الإيمان:

الأول: ما يجد في قلبه من الخشوع، ومن الرقة، والتذلل، والخضوع، والتواضع والاستكانة لله عز وجل، ، وغير ذلك.

الثاني: الزيادة والمبادرة إلى الأعمال الصالحة.

الثالثة: التأثر في القلب والبدن؛ فإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب.

الرابع: ما يجد المؤمن في قلبه من الطمأنينة، والراحة، ولذة العبادات، والطاعات، وغير ذلك .

قوله: «وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ».

أي أن المؤمن حاله كله خير، سواء كان قويًا في إيمانه وهو هو الأفضل. أو كان ضعيفا في إيمانه .

فهو في الدنيا: خير من غيره من أهل الكفر، والشرك، والنفاق، والإلحاد، وغيرهم.

وفي الآخرة: خير من هؤلاء حيث أن مآله إلى الجنة .

قوله: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ».

أي أنه على كل مؤمن أن يكون حريصًا على ما ينفعه في أمر دينه، ودنياه، وآخرته.

وأن يحرص على ما يقربه من الله عز وجل .

قوله: «وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ».

الاستعانة: هي طلب العون .

فيجب على المؤمن أن يستعين بالله عز وجل في كل شيء يريده: من أمور دينه، وآخرته، ودنياه.

إذ أن الاستعانة بالله عز وجل من أهم الأسباب في حصول المطلوب له: "وهو رضوان الله عز وجل، والنظر إلى وجهه الكريم، ودخول جنته".

وفي النجاة من المهروب منه: "وهو عذاب الله عز وجل، وسخطه، وناره".

يقول الله عز وجل : {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}.

فهذه الآية إليها يرجع الدين كله، كما ذكر ذلك الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى .

فإننا ما خلقنا في إلا لعبادة الله عز وجل وتوحيده؛ ولكن نعبد الله عز وجل كما يُحب؛ لا بد أن نستعين به .

إذا لم يكن من الله عون للفتى** فأول ما يجني عليه اجتهاده

فإن العبد وإن كان قد آتاه الله عز وجل العلم؛ فهو ضعيف وعاجز ويحتاج إلى توفيق من الله عز وجل، وعونه .

قوله: «وَلَا تَعْجَزْ».

أي تعجز عن العمل، ويسيب الفتور .

ففي الصحيحين: من حديث أَنَس بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[(١)].

قوله: «وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ».

أي من الأقدار التي تنوب الإنسان: من أمراض، وأسقام، ومصائب، ومحن، وفتن، ومحزنات، وسائر الابتلاءات .

قوله: «فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ».

أي معترضاً على القدر فإن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، إلا أنه ينبغي أن تعلم أن العبد مخير في الأمور الشرعية، ومسير في الأمور الكونية.

هذا هو الصحيح في جواب قولهم هل العبد مخير أم مسير؟

يقول الله عز وجل : {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٢٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٦).

يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}.

ويقول الله عز وجل: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا}.

قوله: «وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ».

يقول الله عز وجل: {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}.

ويقول الله عز وجل: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}.

ويقول الله عز وجل: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

قوله: «فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

والإنسان المؤمن مأمور بإغلاق مداخل الشيطان، عليه ولا يسلم إلا من سلك ما أمر الله عز وجل ورسوله ﷺ به .

ويجوز قول (لو) في تمني الخير، وقد بوب البخاري في صحيحه باب قول لو، وفي كتاب التوحيد: باب ما جاء في لو أي من النهي والجواز .

ففي الصحيحين: من حديث جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ، وَلَوْلاَ أَنَّ مَعِي الهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ» [1].

****

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٧٨٥)، والإمام مسلم في صحيحه (١٢١٦).



[بيان الحث على التواضع]

١٥٤١ – (وَعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان الحث على التواضع .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ –رضي الله عنه–، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ،

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٦٥) (٦٤).

وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا، وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ، وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ" [(١)] وآخره ما ساقه المصنف: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» أخرجه مسلم .

قوله: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ ».

وقد يكون وحي الله عز وجل، كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ } [الشورى: ٥١] .

قوله: « أَنْ تَوَاضَعُوا».

أي أن التواضع مما أوحاه الله إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وذلك لبيان لفضله.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٦٥).

يقول الله عز وجل : {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}.

بيان أنواع التواضع:

فالتواضع يكون على أنواع:

الأول: تواضع مع الله عز وجل، وذلك بقبول شرعه .

الثاني: تواضع مع خلق الله عز وجل؛ حتى لا يبغي المؤمن على غيره .

وما أحسن قول الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر ... على صفحات المـــاء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفســه ... إلى طبقـــات الجو وهو وضيع

والتواضع سبب لرفعة العبد في الدنيا وفي الآخرة:

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»[١].

بيان أن الجزاء من جنس العمل:

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٨٨).

ولما كان المتواضع يضع نفسه لله عز وجل، ويتعامل معهم بما يوافق شرع الله عز وجل.

كان جزاؤه أن الله عز وجل رفعه في الدنيا والآخرة .

ولما كان المتكبر يرفع نفسه بما يسخط الله عز وجل .

وضعه الله عز وجل في الدنيا والآخرة .

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى: من حديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَيُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى بُولَسَ تَعْلُوهُمْ نَارُ الأَنْيَارِ يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الخَبَالِ»[1].

والأمر بالتواضع عام للرجال والنساء، الإنس والجن، أي لكل مكلف.

فالمؤمن لا يفتخر بعلمه، ولا عمله، ولا جماله، ولا ماله، ولا منصبه، ولا جاهه، ولا قبيلته، ولا عشيرته، ولا بشيء من شؤون الدنيا .

فالأمر لله عز وجل وحده، إذ لو شاء سلب هذه النعم .

بيان معنى التواضع:

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤٩٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم ()، وقال فيه: حسن.

التواضع: عدم الكبر، والكبر: هو بطر الحق، وغمط الناس.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ-رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[1].

فالكبر: هو عدم قبول الحق، وتنقص الناس، والاستهزاء بهم، واحتقارهم، وغير ذلك.

والتواضع: قبول الحق، وهضم النفس، ولين الجانب، والتعامل مع المؤمنين بالرفق واللين، وعدم احتقارهم وغمطهم.

قال الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى في السبل (٢/ ٦٩١):

التَّوَاضُعُ عَدَمُ الْكِبْرِ وَتَقَدَّمَ تَفْسِيرُ الْكِبْرِ.

وَعَدَمُ التَّوَاضُعِ يُؤَدِّي إلَى الْبَغْيِ؛ لِأَنَّهُ يَرَى لِنَفْسِهِ مَزِيَّةً عَلَى الْغَيْرِ فَيَبْغِي عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ أَوْ فِعْلِهِ وَيَفْخَرُ عَلَيْهِ وَيَزْدَرِيهِ.

وَالْبَغْيُ وَالْفَخْرُ مَذْمُومَانِ، وَوَرَدَتْ أَحَادِيثُ فِي سُرْعَةِ عُقُوبَةِ الْبَغْي مِنْهَا عَنْ أَبِي بَكْرَةَ -رضي الله عنه-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٩١).

«مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَوْ أَحَقُّ مِنْ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَاهُ، وَأَخْرَجُهُ ابْنُ مَاجَهْ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ: «لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا عُصِيَ اللهُ بِهِ هُوَ أَسْرَعُ عُقُوبَةً مِنْ الْبَغْيِ». اهـ

قوله: «حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».

أي أن التواضع من أعظم أسباب السلامة من البغي والكبر هو السبب البغي، والتعدي، والظلم .

يقول الله عز وجل : {فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

قوله: «وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ».

تحريم الفخر والخيلاء والاستطالة على الخلق .

وجاء في الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من طريق عُتَيِّ بْنِ ضَمْرَةَ قَالَ: "رَأَيْتُ عِنْدَ أُبَيٍّ بن كعب -رضي الله عنه- رَجُلًا تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعَضَّهُ أُبَيٌّ ولم يكْنِه، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ قَالَ: كَأَنَّكُمْ أَنْكَرْتُمُوهُ؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَهَابُ فِي هَذَا أَحَدًا أَبَدًا إِنِّي سَمِعْتُ

النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فأعضُّوه وَلَا تكنوه».

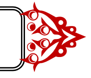
وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[(١)].

وفي الصحيحين، واللفظ للإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: من طريق الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: "مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: "يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٦٤).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٥٠)، والإمام مسلم في صحيحه (١٦٦١).

و عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله عزَّ وجلَّ قد أذهبَ عنكم عِبِّيَّةَ الجاهِليَّةِ وفَخْرَها بالآباء، مُؤمِنٌ تقيٌّ، وفَاجِرٌ شقيٌّ، أنتم بنو آدَمَ، وآدمُ مِن تُرابِ، لَيَدَعَنَّ رجالٌ فخرَهم بأقوامِ، إنما هم فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جهنمَ، أو ليكونُنَّ أهونَ على الله من الجِعْلانِ، التي تدفَعُ بأنْفِهَا النتْنَ" أخرجه أبو داود .

****

[بيان الرد عن عرض المسلم]

١٥٤٢ – (وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه – عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْغَيْبِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ).

١٥٤٣ – (وَلِأَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ -رضي الله عنها- نَحْوُهُ[2]).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان منزلة الرد على عرض المسلم في ظهر الغيب.

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٦٩٢):

فِي الْحَدِيثَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى فَضِيلَةِ الرَّدِّ عَلَى مَنْ اغْتَابَ أَخَاهُ عِنْدَهُ وَهُوَ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الْإِنْكَارِ لِلْمُنْكَرِ وَلِذَا وَرَدَ الْوَعِيدُ عَلَى تَرْكِهِ كَمَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ مِنْ عِرْضِهِ إلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ» وَأَخْرَجَ أَبُو

---

[1] الحديث حسن. رواه الترمذي (١٩٣١)، وقال: «هذا حديث حسن». قلت: ويشهد له ما بعده. وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

[2] الحديث حسن. رواه أحمد (٦/ ٤٦١) – بسند ضعيف، فيه عبيد الله بن أبي زياد ضعيف، وشهر بن حوشب ضعيف أيضًا، لكنه حسن بما قبله– ولفظه: «مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغِيبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ».

الشَّيْخِ «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْهُ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَلَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧] » وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُد وَأَبُو الشَّيْخِ أَيْضًا «مَنْ حَمَى عِرْضَ أَخِيهِ فِي الدُّنْيَا بَعَثَ اللهُ لَهُ مَلَكًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِيهِ مِنْ النَّارِ» وَأَخْرَجَ الْأَصْبَهَانِيُّ «مِنْ اُغْتِيبَ عِنْدَهُ أَخُوهُ فَاسْتَطَاعَ نُصْرَتَهُ فَنَصَرَهُ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ لَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» بَلْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ الْمُسْتَمِعَ لِلْغِيبَةِ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ فَمَنْ حَضَرَهُ الْغِيبَةُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَحَدُ أُمُورٍ الرَّدُّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ وَلَوْ بِإِخْرَاجِ مَنْ اغْتَابَ إلَى حَدِيثٍ آخَرَ أَوْ الْقِيَامُ عَنْ مَوْقِفِ الْغِيبَةِ أَوْ الْإِنْكَارُ بِالْقَلْبِ أَوْ الْكَرَاهَةُ لِلْقَوْلِ وَقَدْ عَدَّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ السُّكُوتَ كَبِيرَةً لِوُرُودِ هَذَا الْوَعِيدِ وَلِدُخُولِهِ فِي وَعِيدِ مَنْ لَمْ يُغَيِّرْ الْمُنْكَرَ؛ وَلِأَنَّهُ أَحَدُ الْمُغْتَابِينَ حُكْمًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَابًا لُغَةً وَشَرْعًا. اهـ

قوله: «وَلِأَحْمَدَ، مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ نَحْوُهُ».

من طريق عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف .

تنبيه: ليس من الكلام الممنوع الجرح والتعديل، فهو من النصيحة لدين الله عز وجل وللمسلمين، فإن الجرح والتعديل سبيل عظيم للذب عنالدين وبيان حال المبطلين .

****

[بيان أن المال لا ينقص من الصدقة]

١٥٤٤ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أمور:

الأول: أن المال لا ينقص على صاحبه من الصدقة.

الثاني: أن العفو يزيد صاحبه عزًا في الدنيا وفي الآخرة.

الثالث: أن التواضع سبب للرفعة في الدنيا، والآخرة.

وحديث الباب يدل على أن المال لا ينقص على صاحبه بالصدقة؛ لأن الصدقة سبب للنماء والبركة .

بيان أن البركة تنقسم إلى قسمين:

والبركة تنقسم إلى قسمين:

الأول: حسية بحيث أن الله عز وجل يخلف على صاحبه المال الذي تصدق بمال أفضل، وأعظم منه؛ فينمو ماله ويزيد.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم (٢٥٨٨) وزاد: «لله».

يقول الله عز وجل : {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}.

الثانية: معنوية، بحيث أن الله عز وجل يبارك في المال فيحفظه من السرقة، والضياع، والفساد، ويحفظ صاحبه: من الأمراض، والمصائب، والفتن .

قوله: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ».

لما تقدم من الخلف والبركة فيه .

والصدقة: اسم عام لواجبة: من زكاة الأموال، والأنعام، والحبوب والثمار أو مستحبة.

فالبركة: هي زيادة الخير الإلهي، ونماؤه، وكثرته.

بيان أن العفو يزيد صاحبه عند الله عز وجل عزًا:

قوله: «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا».

وحديث الباب فيه أن العفو يزيد صاحبه عند الله عز وجل، وعند الناس عزًا، في الدنيا، والآخرة.

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان حريصاً على العفو .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: «مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُفِعَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فِيهِ قِصَاصٌ، إِلَّا أَمَرَ فِيهِ بِالْعَفْوِ»[1].

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ-رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»[2].

قوله: «وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ».

والتواضع سبب لرفعة الله عز وجل لعبده في الدنيا، والآخرة، وكما أن المتكبر يضعه الله عز وجل ويذله في الدنيا، والآخرة.

= وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٢٩)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٤٩٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح =

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٥٤١)، والإمام البخاري في الأدب المفرد (٣٨٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الأدب المفرد (٢٩٣/٣٨٠).





ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنهما- قَالَا: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ»[1].

****

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٠).

[بيان فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام]

١٥٤٥ – (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَّامٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»[(١)]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان فضل إفشاء السلام، وصلة الأرحام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام.

والحديث له قصة ففي سنن الإمام الترمذي: من في الحديث قصة عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ–رضي الله عنه–، قَالَ: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:

---

(١) الحديث إسناده صحيح. رواه الترمذي (٢٤٨٥)، وقال: «هذا حديث صحيح»، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

قوله: «وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَّامٍ - رضي الله عنه».

في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: " فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ، وَيْلَكُمْ، اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ، فَأَسْلِمُوا»، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَهَا ثَلاَثَ مِرَارٍ، قَالَ: «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ؟» قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى للهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قَالُوا: حَاشَى للهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟»، قَالُوا: حَاشَى للهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: «يَا ابْنَ سَلاَمٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ»، فَخَرَجَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ اليَهُودِ اتَّقُوا اللهَ، فَوَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا





هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"»[(١)].

وفي الصحيحين: من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلاَمٍ -رضي الله عنه-" قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ} [الأحقاف: ١٠] الآيَةَ، قَالَ: «لاَ أَدْرِي قَالَ مَالِكٌ الآيَةَ أَوْ فِي الحَدِيثِ»[(٢)].

وفي الصحيحين: من طريق قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ، قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا فِي مَسْجِدِ المَدِينَةِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الخُشُوعِ، فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا، ثُمَّ خَرَجَ، وَتَبِعْتُهُ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ المَسْجِدَ قَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، قَالَ: وَاللهِ مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لاَ يَعْلَمُ، وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ: رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي فِي رَوْضَةٍ - ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا - وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ، أَسْفَلُهُ فِي الأَرْضِ، وَأَعْلاَهُ فِي السَّمَاءِ، فِي أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ، فَقِيلَ لِي: ارْقَ، قُلْتُ: لاَ أَسْتَطِيعُ، فَأَتَانِي مِنْصَفٌ، فَرَفَعَ ثِيَابِي مِنْ

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٩١١).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٨٣).

خَلْفِي، فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَعْلاَهَا، فَأَخَذْتُ بِالعُرْوَةِ، فَقِيلَ لَهُ: اسْتَمْسِكْ فَاسْتَيْقَظْتُ، وَإِنَّهَا لَفِي يَدِي، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلاَمُ، وَذَلِكَ العَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ، وَتِلْكَ العُرْوَةُ عُرْوَةُ الوُثْقَى، فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ» وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلاَمٍ"[1].

قوله: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ!».

عام يراد به الخصوص، أي من آمن منهم.

كما قال الله عز وجل : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

والناس: لفظ عام يشمل الجن والإنس .

وقد يرد به الإنس إذا قترن بالجن، كما في قول الله عز وجل: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} .

قوله: «أَفْشُوا السَّلَام».

وهذا أمر وفيه فضيلة رد السلام لما فيها من المصالح الدينية والدنيوية .

قوله: «وَصِلُوا الْأَرْحَامَ».

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨١٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٤٨٤).

تقدم بيان أن صلة الأرحام من الأمور الواجبة، وأن قطع الأرحام من الكبائر والعظائم، للوعيد الذي جاء في حق القاطع، وأنه لا يدخل الجنة.

وصلة الأرحام: تكون بالكلام، والزيارة، والإحسان إليهم، وتكون بالمواساة بالمال ونحوه، وغير ذلك من أوجه الصلة .

قوله: «وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ».

ويدخل في ذلك جميع أنواع الإطعام، سواء كان ذلك على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين، وعلى الأيتام، والأرامل، وغيرهم.

وسواء كان الطعام صدقة، أو من باب الضيافة، أو النفقة الواجبة: على الأولاد والزوجة والأهل، أو النفقة المستحبة في وجوه الخير.

وفي فضل ذلك ما في الصحيحين: من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[١] .

قوله: «وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ».

أي قيام الليل، فيه: الحث والترغيب على قيام الليل، وقد تقدم الكلام في بيان فضله في بابه .

قوله: «تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٩).

أي أن ما ذكر في الحديث من أسباب دخول الجنة، وهذا يدل على فضل هذه الأعمال المذكورة في الحديث.

****

[بيان أن الدين النصيحة]

١٥٤٦ – (وَعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ – صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ثَلَاثًا. قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن الدين النصيحة.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ –رضي الله عنه– أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»[2].

وجاء عند الإمام أبي داود رحمه الله تعالى بلفظ:

من حديث تَمِيمٍ الدَّارِيِّ –رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ»

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٥). وليس عنده لفظ: «ثلاثا» ولا كررت جملة: «الدين النصيحة»، وإن جاء ذلك عند غيره إما إشارة أو تكرارا، كما وقع ذلك –أيضا– في غير حديث تميم. ولفظ: "ثلاث مرار"، عند الترمذي (١٩٢٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٥) (٩٥).

قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «للهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، وَأَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَامَّتِهِمْ، أَوْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»[1].

قوله: «تَمِيمٍ الدَّارِيِّ - رضي الله عنه -».

هو أبو رقية رضي الله عنه، وكان نصرانيًا ثم أسلم.

وقد روى عنه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حديث الجساسة، وهذا يعتبر من رواية الأكابر عن الأصاغر.

قوله: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» "ثَلَاثًا".

وهذا يعتبر حصرًا للدين في النصيحة.

لأن النصيحة كلمة عامة: تفيد الخلوص بالعمل لله عز وجل.

ومعنى ذلك: أن جميع الدين: من أوامر، ونواهي، وقصص، وأخبار من النصيحة.

قال النووي في شرحه على مسلم (٢/ ٣٧): قَالَ الْإِمَامُ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحَظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ قَالَ وَيُقَالُ هُوَ مِنْ وَجِيزِ الْأَسْمَاءِ وَمُخْتَصَرِ الْكَلَامِ وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ يُسْتَوْفَى بِهَا العبارة عن المعنى هَذِهِ الْكَلِمَةِ كَمَا قَالُوا فِي الْفَلَاحِ لَيْسَ فِي

---

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٩٤٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود.

كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةٌ أَجْمَعَ لِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْهُ قَالَ وَقِيلَ النَّصِيحَةُ مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ إِذَا خَاطَهُ فَشَبَّهُوا فِعْلَ النَّاصِحِ فِيمَا يَتَحَرَّاهُ مِنْ صَلَاحِ الْمَنْصُوحِ لَهُ بِمَا يَسُدُّهُ مِنْ خَلَلِ الثَّوْبِ قَالَ وَقِيلَ إِنَّهَا مَأْخُوذَةٌ مِنْ نَصَحْتَ الْعَسَلَ إِذَا صَفَّيْتَهُ مِنَ الشَّمْعِ شَبَّهُوا تَخْلِيصَ الْقَوْلِ مِنَ الْغِشِّ بِتَخْلِيصِ الْعَسَلِ مِنَ الْخَلْطِ قَالَ وَمَعْنَى الْحَدِيثِ عماد الدين وقوامه النصحية كَقَوْلِهِ الْحَجُّ عَرَفَةٌ أَيْ عِمَادُهُ وَمُعْظَمُهُ عَرَفَةٌ وَأَمَّا تَفْسِيرُ النَّصِيحَةِ) . اهـ

بيان أن النصيحة لها عام، وخاص:

فالمفهوم العام: ما ذكر في حديث الناس، فالدين كله بما جاء فيه من أوامر، ونواهي، وأخبار، وقصص، كله من النصيحة.

والمفهوم الخاص: ما يبذله المسلم لأخيه المسلم من النصح، والإرشاد إلى الخير، والتحذير من الشر، وأهله .

حتى أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يبايع أصحابه على النصيحة .

كما جاء ذلك في الصحيحين: من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنه-، قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[1] .

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٦).

فلو أن الناس سلكوا هذا السبيل لكثر خيرهم، وقل شرهم بإذن الله عز وجل.

ولفظ: ثلاثًا، جاءت في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى وهو صحيح، وقد عرف عن النبي ﷺ إعادة الكلام ثلاثاً .

قوله: «قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟».

فيه: السؤال عما يشكل، وهكذا ينبغي لكل مسلم أن يسأل عما يشكل عليه في أمر دينه.

قوله: "قَالَ: «للهِ»".

قال النووي شرحه على مسلم (٢/ ٣٨):

قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْإِضَافَةِ رَاجِعَةٌ إِلَى الْعَبْدِ فِي نُصْحِهِ نَفْسَهُ فَاللهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ نُصْحِ النَّاصِحِ وأما النصيحة لكتابه سبحانه وتعالى فالإيمان بأن كَلَامُ اللهِ تَعَالَى وَتَنْزِيلُهُ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْخَلْقِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ ثُمَّ تَعْظِيمُهُ وَتِلَاوَتُهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ وَتَحْسِينُهَا وَالْخُشُوعُ عِنْدَهَا وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التِّلَاوَةِ وَالذَّبُّ عَنْهُ لِتَأْوِيلِ الْمُحَرِّفِينَ وَتَعَرُّضِ الطَّاعِنِينَ وَالتَّصْدِيقُ بِمَا فِيهِ وَالْوُقُوفُ مَعَ أَحْكَامِهِ وَتَفَهُّمُ عُلُومِهِ وَأَمْثَالِهِ وَالِاعْتِبَارُ بِمَوَاعِظِهِ وَالتَّفَكُّرُ فِي عَجَائِبِهِ وَالْعَمَلُ بِمُحْكَمِهِ وَالتَّسْلِيمُ لِمُتَشَابِهِهِ وَالْبَحْثُ عَنْ عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ وَنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ وَنَشْرُ عُلُومِهِ وَالدُّعَاءُ

إِلَيْهِ والى ما ذكرناه مِنْ نَصِيحَتِهِ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِرَسُولِ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَصْدِيقُهُ عَلَى الرِّسَالَةِ وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ وَطَاعَتُهُ فِي أَمْرِهِ ونهيه ونصرته حيا وميتا ومعاداة عن عَادَاهُ وَمُوَالَاةُ مَنْ وَالَاهُ وَإِعْظَامُ حَقِّهِ وَتَوْقِيرُهُ وَإِحْيَاءُ طَرِيقَتِهِ وَسُنَّتِهِ وَبَثُّ دَعْوَتِهِ وَنَشْرُ شَرِيعَتِهِ وَنَفْيُ التُّهْمَةِ عَنْهَا وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِهَا وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا وَالدُّعَاءُ إِلَيْهَا وَالتَّلَطُّفُ فِي تَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا وَإِعْظَامُهَا وَإِجْلَالُهَا وَالتَّأَدُّبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الكلام فيها بغير علم واجلال أهلها لانتسابها إِلَيْهَا وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلَاقِهِ وَالتَّأَدُّبُ بِآدَابِهِ وَمَحَبَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمُجَانَبَةُ مَنِ ابْتَدَعَ فِي سُنَّتِهِ أوتعرض لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَنَحْوُ ذَلِكَ وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَمُعَاوَنَتُهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ وأمرهم به وتنبيهم وَتَذْكِيرُهُمْ بِرِفْقٍ وَلُطْفٍ وَإِعْلَامُهُمْ بِمَا غَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُمْ مِنْ حُقُوقِ الْمُسْلِمِينَ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ وَتَأَلُّفُ قُلُوبِ النَّاسِ لِطَاعَتِهِمْ قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ اللهُّ وَمِنَ النَّصِيحَةِ لَهُمُ الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ وَالْجِهَادُ مَعَهُمْ وَأَدَاءُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ وَتَرْكُ الْخُرُوجِ بِالسَّيْفِ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْفٌ أَوْ سُوءُ عِشْرَةٍ وَأَنْ لَا يُغَرُّوا بِالثَّنَاءِ الْكَاذِبِ عَلَيْهِمْ وَأَنْ يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلَاحِ وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ الْخُلَفَاءُ وَغَيْرُهُمْ ممن يقوم بأمور المسلمين مِنْ أَصْحَابِ الْوِلَايَاتِ . اهـ

قوله: «وَلِكِتَابِهِ».

والنصيحة لكتابه: تكون بتعلمه، والعمل به، وتعلميه، والدعوة إليه، وامتثال أوامره بفعلها، واجتناب نواهيه بتركها، وبتصديق قصصه وأخباره، وبالاستشفاء به من أمراض القلوب، والشبهات، والشهوات، وبالتحاكم إليه عند الاختلاف، وبتلاوته: وتدبره، بخشوع، وبخضوع، وبحضور قلب.

يقول الله عز وجل : {المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}.

قوله: «وَلِرَسُولِهِ».

والنصيحة لرسوله: تكون بطاعته في أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله عز وجل إلا بما شرع، وبتصديق أخباره.

قوله: «وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ».

وهم حكام المسلمين، وخلفاؤهم، وملوكهم، ورؤسائهم، وأولياء أمورهم .

والنصيحة لهم: بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، وعدم الخروج عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن الخروج عليهم يؤدي إلى مفاسد أعظم من ظلمهم وبغيهم، ويؤدي إلى سفك الدماء فيما بين المسلمين، ويؤدي إلى انتهاك

الأعراض، وضياع الأموال، وانتشار الفوضى بين المسلمين، والخوف والرعب وعدم الأمن، وإلى مفاسد لا يعلم بها إلا الله عز وجل.

منها النصح لهم: من أهل العلم والفضل، والإرشاد والدعاء لهم.

وفي رواية في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قَالَ لِلْآخَرِينَ قَوْلًا حَسَنًا، وَقَالَ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الله، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»[1].

قوله: «وَعَامَّتِهِمْ».

والنصيحة لعامة المسلمين: تكون بالنصح، والتوجيه، والإرشاد إلى كل خير، وبالتحذير من كل شر، وأهله .

ومن النصح للعامة: عدم الغش لهم: سواء كان في أمور دينهم، أو في أمور دنياهم.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[2].

---

[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٨٤٠).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي»[(١)].

وغش عامة المسلمين من علماء أهل الضلال والبدع في أمر دينهم أعظم إثمًا من غش الرعية فيما بينهم في أمر البيع والشراء وغير ذلك من أمور الدنيا.

وقد تكلم النووي رحمه الله تعالى بكلام نفيس على هذا الحديث في شرح مسلم.

****

[(٢)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠٢).

[فضل التقوى وحسن الخلق]

١٥٤٧ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ تَقْوى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[(١)]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضل التقوى وحسن الخلق .

قوله: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ».

أي من الأعمال الصالحة.

قوله: «تَقْوى اللَّهِ».

وهو من أعظم الأعمال التي تدخل الجنة بعد توحيد الله عز وجل.

---

(١) الحديث حسن الإسناد. رواه الترمذي (٢٠٠٤) وابن ماجه (٤٢٤٦)، والحاكم (٤/ ٣٢٤) وعندهم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- سئل عن أكثر ما يدخل الجنة؟ فقال: «تقوى الله...» الحديث. وزادوا: «وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال الفم والفرج»، وقال الترمذي: «هذا حديث صحيح غريب»، وقال الحاكم «صحيح الإسناد»، والحديث فيه يزيد بن عبد الرحمن الأودي لم يوثقه إلا العجلي وابن حبان وروى عنه ثلاثة؛ ولذلك قال الذهبي في «الكاشف»: «وثق». وقال الحافظ في التقريب: مقبول. أي أنه لين إن لم يتابع، فالذي يظهر أنه مجهول حال. وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي: حسن الإسناد.

لأن التقوى هي العمل بالدين كله، بحيث يجعل العبد بينه وبين عذاب الله عز وجل وسخطه وناره وقاية، وتكون بفعل الأوامر، واجتناب النواهي والمحظور .

والأدلة من الكتاب ومن السنة على ذلك كثيرة .

فمنها قول الله عز وجل: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}.

ويقول الله عز وجل : {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا}.

قوله: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

وهو من أثقل الأعمال الصالحة في الميزان، كما سبق .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:




من حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[1].

وحسن الخلق كما سبق قسمين:

الأول: حسن الخلق مع الله عز وجل، وهذا يرادف معنى الإحسان .

ويكون بتوحيده، وبتجريد التوحيد من الشرك والتنديد .

الثاني: حسن الخلق مع الناس، وهذا يرادف في المعنى الإحسان إلى الخلق.

ويكون بكف الأذى، وبذل الندى وطلاقة الوجه.

****

(1) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٧٩٩)، والإمام الترمذي في سننه (٢٠٠٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٠٣٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

[بيان فضل حسن الخلق وبسط الوجه للناس]

١٥٤٨ – (وَعَنْهُ -أي أبو هريرة رضي الله عنه-قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»[١]. أَخْرَجَهُ أَبُو يَعْلَى، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان فضيلة حسن الخلق وبسط الوجه للناس.

قوله: «إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ».

لأن الإنسان مهما كان عنده من الأموال إلا أنه سيعجز عن أن يكفي غيره من الناس في كل شيء يحتاجون إليه.

قوله: «وَلَكِنْ لِيَسَعْهُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ».

فبسط الوجه: من المعروف الذي أرشد إليه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو سهل على صاحبه، ويستطيع أن يبسط وجهه مع جميع المسلمين، ويسعهم بذلك.

---

[١] الحديث ضعيف جدا. رواه الحاكم (١/ ١٢٤) وفي سنده عبد الله بن سعيد المقبري، وهو «متروك».

إلا أهل البدع والمحدثات، والزنادقة، وأهل النفاق، والكفر، والشرك، فهؤلاء لا يبسط إليهم الوجه؛ إلا إذا كان من باب النصيحة لهم، والرفق فيهم تأليفًا لهم إلى الإسلام .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[(١)] .

قوله: «وَحُسْنُ الْخُلُقِ».

وقد تقدم الكلام عليه .

****

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٢٦).

[(طلق) روي طلق على ثلاثة أوجه: إسكان اللام وكسرها وطليق، ومعناه: سهل منبسط].

[بيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن]

١٥٤٩ – (وَعَنْهُ – أي أبو هريرة رضي الله عنه–قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ»[1]. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

الشرح: ***************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن.

من حيث أنه إذا رأى عليه، أو ظهر له منه بعض الأخطاء، أو الزلات؛ فإنه ينصحه برفق ويوجهه إلى الخير، ويستر عيبه، ولا فضحه، ويرشده إلى ما يقربه إلى الله عز وجل.

والحديث رواه الإمام أبو داود رحمه الله تعالى:

من أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه–، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَـالَ:

---

[1] رواه أبو داود (٤٩١٨) وزاد: «والمؤمن أخو المؤمن: يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه». وفيه كثير بن زيد الأسلمي، وله شاهد من حديث أنس، وفي إسناده محمد بن عمارة المؤذن، أورده ابن عدي في ترجمته، وقد نص الذهبي في الميزان أن هذا الحديث من مناكيره. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيحة برقم (٩٢٦)، وقال فيه: وهذا إسناد حسن كما قال الحافظ العراقي في " تخريج الإحياء " (٢ / ١٦٠) وأقره المناوي، وإنما لم يصححه للخلاف في ابن زيد هذا، وقد قال الحافظ في "التقريب ": "صدوق، يخطئ ".


[بيان أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن]


المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ، وَالمُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ».

****

[بيان فضل خلطة الناس والصبر عليهم]

١٥٥٠ – (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»[1]. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُسَمِّ الصَّحَابِيَّ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضل مخالطة الناس والصبر على آذاهم .

---

[1] الحديث صحيح. وإن كان على صنيع الحافظ هنا -رحمه الله- مؤاخذات، فالحديث بهذا اللفظ رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨) بسند صحيح. وأما ابن ماجه (٤٠٣٢) فسنده ضعيف -وليس حسنا كما قال الحافظ- إذ فيه عبد الواحد بن صالح، وهو» مجهول» باعتراف الحافظ نفسه في «التقريب» وعنده لفظ: «أعظم أجرا» بدل لفظ «خير»، والباقي مثله، وأما الترمذي (٢٥٠٧) فقال: عن شيخ من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «المسلم إذا كان مخالطا للناس ... المسلم ... »، ثم قال أبو موسى محمد بن المثنى: قال ابن أبي عدي: كان شعبة يرى أنه ابن عمر. والحديث يصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وفي صحيح الأدب المفرد برقم (٣٨٨/٣٠٠)، وقال فيه: صحيح. وهو في «الصحيحة» (٩٣٩) أيضًا.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُّ عَنْهُ»[1].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من طريق رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ -رضي الله عنهما-، فَقَالَ حُذَيْفَةُ -رضي الله عنه-: «رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ، فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ رَجُلًا ذَا مَالٍ، فَكُنْتُ أُطَالِبُ بِهِ النَّاسَ فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمَعْسُورِ، فَقَالَ: تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي»، قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-: هَكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ»[2].

وقد ألف الخطابي رسالة في العزلة، وبين أن العزلة لا تكون إلا إذا فسد الزمان.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: من طريق عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ، وَتَتَّخِذُهَا، فَأَصْلِحْهَا وَأَصْلِحْ رُعَامَهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠٧٨)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٦٢).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٥٦٠).

وَسَلَّمَ يَقُولُ «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، تَكُونُ الغَنَمُ فِيهِ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، أَوْ سَعَفَ الجِبَالِ فِي مَوَاقِعِ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»[(١)].

قوله: «المُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ».

فالأذى ما سيسلم منه أحد من خلق الله عز وجل، حتى الرسل والأنبياء وهم خير خلق الله عز وجل ومع هذا لم يسلموا من الأذى.

بل لم يسلم الله عز وجل من الأذى وهو الخالق القوي العزيز، يقول الله عز وجل : {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا}.

حتى قيل في ذلك:

ما سلم الله من بريتـــه ... ولا نبي الهدى فكيف أنا

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»[(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٦٠٠).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٨٢٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٤٦).

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» [(١)].

ولا مسبة أعظم من هذه المسبة، أن ينسب لله عز وجل الولد، ويشرك به، ومع ذلك يرزقهم ويعافيهم.

يقول الله عز وجل: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}.

ويقول الله عز وجل: {قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}، والله المستعان.

****

[(٢)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩٩)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨٠٤).

[الدعاء بحسن الخلُق]

١٥٥١ – (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي»[١]. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان الدعاء بحسن الخلق .

قوله: «اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي».

أي صورته التي خلقه الله عليها .

وفي الصحيحين: من حديث البَرَاءَ –رضي الله عنه–، يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ البَائِنِ، وَلاَ بِالقَصِيرِ»[٢].

---

[١] الحديث صحيح. رواه أحمد (١/ ٤٠٣)، وابن حبان (٩٥٩)، وفي إسناده عوسجه بن الرماح تفرد بالرواية عنه عاصم الأحول، ووثقه ابن حبان وابن معين، وقال الدارقطني شبه مجهول، لا يروي عنه غير عاصم. لا يحتج به، لكنه يعتبر به. وله شاهد رواه أحمد (٦/ ٦٨ و ١٥٥) عن عائشة –رضي الله عنها– بسند صحيح. تنبيه: هذا دعاء مطلق يدعو به المسلم في أي وقت شاء، وأما ما ورد في بعض طرق هذا الحديث من تخصيص هذا الدعاء عند النظر في المرآة، فهذا مما لم يصح، وانظر الإرواء رقم (٧٤) لشيخنا علامة العصر –رحمه الله تعالى، وأعلى درجته، وكبت مبغضيه.

[٢] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٧٦٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٣٠٩).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث الْبَرَاءَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مَرْبُوعًا بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ عَظِيمَ الْجُمَّةِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ عَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[1].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أيضًا:

من حديث عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ -رضي الله عنه-، قَالَ: «لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ،... فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَشَرَ فَضَحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا... »[2].

وفي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من طريق أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ: سُئِلَ البَرَاءُ -رضي الله عنه- أَكَانَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: لاَ بَلْ مِثْلَ القَمَرِ»[3].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

---

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٣٧).

[3] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٤٧٩).

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٥٥٢).

من حديث جَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ شَمِطَ مُقَدَّمُ رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَكَانَ إِذَا ادَّهَنَ لَمْ يَتَبَيَّنْ، وَإِذَا شَعِثَ رَأْسُهُ تَبَيَّنَ، وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَجْهُهُ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيرًا وَرَأَيْتُ الْخَاتَمَ عِنْدَ كَتِفِهِ مِثْلَ بَيْضَةِ الْحَمَامَةِ يُشْبِهُ جَسَدَهُ»[(١)].

وكما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أحسن خلقه، فقد كان أيضًا أحسن الناس.

كما قال الله عز وجل : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ}.

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عائشة رضي الله عنها، أنها لما سُئلت عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ»[(٢)].

فجمع الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين حسن الخلقة، وبين حسن الخلق، وهذه أعلى مراتب الإنسان.

بيان مراتب خلقة الإنسان وخلقه:

المرتبة الأولى: من جمع الله عز وجل له بين حسن الخلقة، وحسن الخلق.

[(٢)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٧٤٦).

[(١)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٣٤٤).

وعلى رأس هذه المرتبة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ونبي الله يوسف عليه السلام، و آدم أبو البشر عليه السلام .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى في حديث المعراج:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، في قصة المعراج، قال: «فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ...»[1].

وقد قال أهل العلم: إذا كان يوسف عليه السلام قد أوتي شطر الحسن، فإن نبي الله آدم عليه السلام قد أوتي الجمال كله؛ لأن الله خلقه بيده.

يقول الله عز وجل : {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}.

المرتبة الثانية: من أعطاه الله عز وجل حسن الخلق، ولم يعطه حسن الخلقة.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٦٢).

وهذه مرتبة أيضًا عظيمة، ولكنها دون المرتبة الأولى.

المرتبة الثالثة: من أعطاه الله عز وجل حسن الخِلقة، ولم يعطه حسن الخلق.

المرتبة الرابعة: من كان فيه سوء الخلق، وسوء الخلقة.

وهذه أدنى المراتب.

ولا يتعارض هذا مع قول الله عز وجل: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}.

فالإنسان مكرم على سائر المخلوقات بعقله، ووجهه، وصفاته، يعتبر من أكمل وأجمل أنواع المخلوقات .

وحال الناس في الآخرة على حسب العمل، يقول الله عز وجل : {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

فوجوه المؤمنين؛ أهل السنة والجماعة، يوم القيامة بيضاء مشرقة منورة سعيدة مطمئنة فرحة مستبشرة.

ووجوه الكفار والمشركين والمنافقين والملحدين والمبتدعة، مسودة تعلوها قترة غبرة، كما قال تعالى: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ } [عبس: ٤٠-٤٢].

قوله: «فَحَسِّنْ خُلُقِي».

الشاهد من الحديث: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تميز بأعلى درجات ومراتب الجمال الحسي والمعنوي، جمال الخلقة، وجمال الخلق، والله أعلم .

****

[باب الذكر والدعاء]

[بَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ]

الشرح: ******************************

والكلام على باب الذكر والدعاء من المهمات.

إذ أن ما من عبادة شرعها الله عز وجل إلا ويكون فيها من الأذكار والأدعية ما يكون سببًا لسعادة الدارين.

بيان الفرق بين الذكر والدعاء:

والذكر من دعاء العبادة.

ودعاء العبادة: يشمل جميع العبادات من صلاة، وصيام، وزكاة، وحج، وجهاد، وقراءة للقرآن، وتسبيح، وتحميد، وغير ذلك من العبادات وهي كثيرة، قال الله عز وجل: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: ١٢٤] قال سعيد بن جبير: الذكر طاعة الله .

ومن عجب شأن الذكر أنه ما من عبادة إلا وفيها من الأذكار والأدعية الخير الكثير .

ودعاء المسألة: يراد به دعاء الطلب، وبيانه أن يسأله العبد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا، من خيرين الدنيا، والآخرة.

وقد صنف العلماء في باب الأدعية والأذكار المطولات، والمختصرات.

ومن أشهر ذلك: "كتاب الأذكار للنووي رحمه الله تعالى".

وقد استفاد من كتابَي: "عمل اليوم والليلة"، للإمام النسائي وابن السني رحمهما الله تعالى.

وفي الصحيحين جملة من أبواب الذكر والدعاء، لا يستغنى عنها.

بيان أقسام الذكر:

والذكر والدعاء ينقسم إلى قسمين:

الأول: الذكر والدعاء المطلق.

فمن المطلقات الحث على ذكر الله عز وجل ودعائه في كل وقت، وفي كل حين.

يقول الله عز وجل: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.

وهذا دعاء عام، فلم يُحدد الله عز وجل الدعاء في أي وقت، ولا في أي كيفية، ولا في أي مكان، وإنما هو عام في كل وقت، وفي كل مكان، وفي أي كيفية يريدها العبد، ويحتاج إليها.

والأفضل أن يدعو العبد بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإنه قد أوتي جوامع الكلم.

ويقول الله عز وجل: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»[1].

الثاني: الذكر والدعاء المقيد.

مثل أذكار الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضة، وقبل النوم، والاستيقاظ من النوم، والخروج من المنزل، ودخول الحمام، والجماع، وغيرها مما قيد في وقت وكيفية.

والدعاء المقيد: ما جاء مقيدًا في وقت.

مثل: الدعاء في السجود.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»[2].

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٧٣).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٦).

والدعاء عقب التشهد الأخير:

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[(١)].

وغيرها من الأدعية التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى: من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أنها قالت: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[(٢)].

والذكر والدعاء من أعظم أبواب تحصيل الحسنات، وتكفير السيئات.

بيان أوقات الاستجابة:

الأول: الدعاء بين الأذان والإقامة.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى وغيره:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»[(١)].

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٨٨).

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٧).

الثاني: الدعاء دبر الصلاة، أي بعد التشهد قبل السلام بعد أن ذكر التشهد قال في الصحيحين:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود -رضي الله عنه-، قَالَ: "ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ، فَيَدْعُو »[٢].

الثالث: الدعاء في السجود.

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما-، قَالَ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[٣].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[٤].

---

[٢] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٢١)، والترمذي في سننه (٢١٢)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٤٠٢).

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٧٩).

[٢] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٢).

الرابع: في آخر ساعة من يوم الجمعة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ، قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» وَقَالَ بِيَدِهِ: "يُقَلِّلُهَا يُزَهِّدُهَا"[1].

وهي آخر ساعة من اليوم .

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنهما-، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ - يُرِيدُ - سَاعَةً، لَا يُوجَدُ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا، إِلَّا أَتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»[2].

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قُلْتُ وَرَسُولُ اللَّهِ

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٨٥٢).

[2] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٠٤٨)، والإمام النسائي في سننه (١٣٨٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٢٣٨).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ: إِنَّا لَنَجِدُ فِي كِتَابِ اللهِ: «فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا قَضَى لَهُ حَاجَتَهُ» . قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَأَشَارَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ» ، فَقُلْتُ: صَدَقْتَ، أَوْ بَعْضُ سَاعَةٍ. قُلْتُ: أَيُّ سَاعَةٍ هِيَ؟ قَالَ: «هِيَ آخِرُ سَاعَاتِ النَّهَارِ» . قُلْتُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ سَاعَةَ صَلَاةٍ، قَالَ: «بَلَى. إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا صَلَّى ثُمَّ جَلَسَ، لَا يَحْبِسُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، فَهُوَ فِي الصَّلَاةِ»[(١)].

الخامس: في الثلث الأخير من الليل.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[(٢)].

السادس: الدعاء في الطواف حول البيت.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ السَّائِبِ -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (١١٣٩)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى فيه: حسن صحيح. وكذلك في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠٢)، وقال فيه: حسن صحيح.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٤٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٨٥).

بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» [(١)].

السابع: الدعاء بين الصفا والمروة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الطويل في حجة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفيه قال: «ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: {إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ} [البقرة: ١٥٨] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ» فَبَدَأَ بِالصَّفَا، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللهَ وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، قَالَ: مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ، فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ...» [(٢)].

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٨٩٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٢١٨).

الثامن: الدعاء يوم عرفة.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَائِشَةُ -رضي الله عنها-: إِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» [1].

التاسع: الدعاء عند الجمرات .

ففي صحيح مسلم عن جابر

العاشر: الدعاء في السفر .

ففي سنن أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»[2].

الحادي عشر: دعاء الصائم.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

---

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣٤٨).

[3] أخرجه الإمام أبي دود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود.



من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ، الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ، حَتَّى يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللهُّ دُونَ الْغَمَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ: بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ »[(١)].

الثاني عشر: دعوة المظلوم.

ففي سنن أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»[(٢)].

بل وفي الصحيح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» أخرجه مسلم .

الثالث عشر: دعاء الوالد لولده، أو على ولده.

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (١٧٥٢)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماحه: ضعيف وصح منه شطره الأول لكن بلفظ المسافر وفي رواية الوالد مكان الإمام، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم ().

(٢) أخرجه الإمام أبي دود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود.

ففي صحيح مسلم عن عبادة بن صامت ﷺ قال قال النبي ﷺ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ» .

ففي سنن أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»[١].

الرابع عشر: الدعاء في الاضطرار.

يقول الله عز وجل: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}.

وقد صنف أهل العلم في أوقات الاجابة.

فمعرفة هذا الباب من أهم المهمات؛ إذ أنه لا غنى لمكلف عن دعاء الله عز وجل وذكره.

ولهذا كان من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ووصيته: "اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك"، أخرجه أحمد عن ابن مسعود

---

[١] أخرجه الإمام أبي دود في سننه (١٥٣٦)، حسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود.

ت، وجاءت له ألفاظ منها ما أخرجه أبي داود رحمه الله تعالى وغيره: من طريق عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: " أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ"»، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ -رضي الله عنه- الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ" [(١)].

وعند أحمد عن أبي هريرة ﷺ إذا أحب أحدكم أن يجتهد في الدعاء فليقل اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ

بيان حكم رفع اليدين عند الدعاء:

ويستحب رفع اليدين عند الدعاء في جميع المواطن، إلا المواطن التي دعا فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولم يرفع يديه فيها .

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٢٢)، والإمام النسائي في سننه (١٣٠٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١١٠٧)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

ففي الترمذي: من حديث سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»[1].

ثم قال رحمه الله تعالى: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ وَلَمْ يَرْفَعْهُ".

ولما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[2].

وأخرج البخاري (٣٥٦٥) ومسلم برقم (٨٩٥) :

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٥٦)، والإمام أبو داود في سننه (١٤٨٨)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٦٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١٥).

عن أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنْ دُعَائِهِ إِلَّا فِي الاِسْتِسْقَاءِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ».

وَقَالَ أَبُو مُوسَى: «دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ».

أي أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رفع يديه في الاستسقاء رفعًا مبالغًا فيه؛ حتى ظن الراوي أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل بطن كفيه إلى الأرض، وظهور كفيه إلى السماء؛ وليس كذلك.

بيان بعض موانع استجابة الدعاء:

الأول: الاعتداء في الدعاء لقول رسول الله ﷺ " يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، فَيَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ فَلَا - أَوْ فَلَمْ - يُسْتَجَبْ لِي "أخرجه مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

يقول الله عز وجل : {ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}.

الثاني: التعجل في الاستجابة .

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[1].

الثالث: أن يدعو بإثم، أو بقطيعه رحم.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»[2].

الرابع: تعاطي الحرام لبساً وشرباً وأكلاً.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ،

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٤٠)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٥).

[2] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٥).

يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[١].

الخامس: الدعاء من قلب غافلٍ لاه ساهٍ.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»[٢].

ثم قال رحمه الله تعالى: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

سَمِعْت عَبَّاسًا العَنْبَرِيَّ يَقُولُ: اكْتُبُوا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الجُمَحِيِّ فَإِنَّهُ ثِقَةٌ.

تنبيه: لا يلزم من استجابة الدعاء حصول المطلوب بل إن له ثلاث حالات:

الأول: حصول المطلوب .

الثاني: دفع مثله من المرهوب .

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١٥).

[٢] أخرجه الإمام الترمذي (٣٤٧٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف الترمذي.

الثالث: إدخار الأجر إلى يوم القيامة فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: "ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، واما أن يصرف عنه من السوء مثلها» أخرجه الترمذي .

****

[بيان تعين النطق بالذكر]

١٥٥٢ – (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «يَقُولُ اللَّهُ -تَعَالَى: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي، وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ». أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا) [(١)].

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن النطق شرط في الذكر .

ويغني عن هذا الحديث ما في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» [(٢)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٧٩٢)، وابن حبان (٨١٥) موصولا بسند صحيح، وعلّقه البخاري (١٣/ ٤٩٩ / فتح) بصيغة الجزم وفي إسناده كريمة بنت الحساس وهي مجهولة، ووقع عند ابن ماجه بدل كريمة أم الدرداء، ورجح الحافظ الرواية الأولى، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح. وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه.

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٧٥).

قوله: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى».

أي في الحديث القدسي.

وفيه: إثبات أن الله عز وجل يتكلم بحرف وبصوت.

قوله: «أَنَا مَعَ عَبْدِي».

المراد به: المؤمن، والعبودية هنا: عبودية تشريف.

قوله: «مَا ذَكَرَنِي».

سواء كان ذكره في نفسه أو في العامة يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفجار، كما تقدم .

فإن كان الذاكر لله عز وجل في نفسه؛ فإن الله عز وجل يذكره في نفسه المقدسة .

وإن كان الذاكر لله عز وجل في ملإٍ؛ فإن الله عز وجل يذكر عبده ويثني عليه عند الملائكة.

قوله: «وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ».

فيه: أن الذكر لا يكون إلا بالنطق بالشفتين واللسان.

وأما الذاكر بقلبه؛ فإنه لا يثاب على ذلك، كما يثاب من ذكر الله عز وجل بلسانه .

وبعض أهل العلم: يشترط أن يسمع الذاكر نفسه .

ومعية الله عز وجل لعبده المؤمن معية خاصة به، يوفقه إلى الخير، ويحفظه، وينصره، ويكلؤه، ويرعاه، ويؤيده.

بيان أقسام معية الله عز وجل لعباده:

وتنقسم المعية إلى قسمين:

الأول: معية خاصة.

وهي معية الله عز وجل مع عباده المؤمنين، كما سبق بيانه.

يقول الله عز وجل: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}.

الثاني: معية عامة.

وهي معية الله عز وجل مع جميع خلقه .

وهي معية العلم، والإحاطة، والاطلاع والقهر وغير ذلك من خصائص الربوبية .

يقول الله عز وجل: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}.

****

[بيان أن ذكر الله مما ينجي من عذاب الله عز وجل]

١٥٥٣ - (وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» (١). أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان أن ذكر الله عز وجل مما ينجي صاحبه يوم القيامة من عذاب الله عز وجل.

قوله: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ عَمَلًا».

أي من الأعمال: القلبية، والبدنية، والقولية، وهذا بعد التوحيد والفرائض الواجبات .

قوله: «أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ».

---

(١) الحديث ضعيف منقطع. رواه ابن أبي شيبة في» المصنف» (١٠/ ٣٠٠)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٦٦ / ١٦٧) حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يحيي بن سعيد، عن أبي الزبير، عن طاووس، عن معاذ، به. وزاد: «قالوا ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله. إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع». قلت: وأبو الزبير مدلس، وقد عنعنه، وطاووس لم يسمع من معاذ كما في «المراسيل» لابن أبي حاتم، وإنما حسَّن الحافظ إسناده من أجل سليمان بن حيان أبي خالد الأحمر، فقد قال عنه في «التقريب»: «صدوق يخطئ» وإنما علة الحديث ما سبق من الانقطاع، ولا ينفي ذلك أن يكون قد أخطأ فيه أبو خالد الأحمر، فقد رواه الطبراني في «الصغير» (٢٠٩) من طريقه، عن يحيي بن سعيد الأنصاري، عن جابر، به!.





أي من أسباب السلامة من عذاب الله عز وجل .

قوله: «مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ».

أي أن ذكر الله عز وجل هو أكثر الأعمال التي تنجي صاحبها من عذاب الله عز وجل يوم القيامة .

والمعنى: أن الذكر من أسباب النجاة .

ومن أرجى الأعمال التي تنجي صاحبها يوم القيامة من عذاب الله عز وجل.

لأنه مشتمل على توحيد الله عز وجل من قوله: (لا إله إلا الله) ونحوها .

ومشتمل على تنزيه الله عز وجل عن كل نقص وعيب وعن كل ما لا يليق به، من قوله: (سبحان الله) ونحوها .

ومشتمل على تعظيم الله عز وجل وتكبيره وتمجيده والثناء عليه، وذلك من قوله: (الله أكبر)، (والحمد لله رب العالمين)، ونحو ذلك.

ومشتمل على طلب المغفرة وطلب ستر الذنوب، وذلك من قوله: (استغفر الله)، وقوله: (اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت الغفور الرحيم)، ونحو ذلك .

ومشتمل على طلب الإعانة من الله عز وجل على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وذلك من قوله: (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)، ونحو ذلك .

فإن الله عز وجل إذا ذكر عبده سلمه وعافاه واصطفاه واجتباه، وأعطاه ما يريده من أمور الدنيا، والآخرة.

وقد كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرفع الناس منزلة، وأعظمهم قدرًا عند الله عز وجل؛ لكثرة ذكره لله عز وجل فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» متفق عليه.

وربنا عز وجل يقول: {وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ} [العنكبوت: ٤٥]، ويقول: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، ويقول: {وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٣٥] .

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» [(١)] .

[(١)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩١. ٢٦٩٢).





والإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(١).

****

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٢).

[بيان فضل ذكر الله عز وجل]

١٥٥٤ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا، يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» [1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان فضل الذكر.

والحديث بطوله في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ،

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٠)، عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، بلفظ: «لا يقعد قوم يذكرون الله – عز وجل–، إلا حفتهم...». والباقي مثله.

وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» [(١)].

وجاء عنده: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنهما- أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

قوله: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ».

وبشرط البعد عن مجالس المبتدعة، وطريقتهم، وإنما على طريقة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وطريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم: من الصحابة، والتابعين، وأتباع التابعين، أصحاب القرون الثلاثة المفضلة، إذ أن الصوفية والرافضة قد أحدثوا في دين الله عز وجل في هذا الباب، وفي غيره من الأبواب ما لم يأذن به الله عز وجل .

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ -رضي الله عنهما- عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: "مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ:

[(٢)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٩).

أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «آللهَّ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟» قَالُوا: وَالله مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي، أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ» [1].

قوله: «مَجْلِسًا ».

وهذا عام في المساجد وغيرها .

قوله: «يَذْكُرُونَ اللهَّ».

أي بلسان الحال والمقال وذكر الله عز وجل لفظ عام: فيدخل في ذلك من سبح، وحمد، وكبر، وهلل، وقرأ القرآن، وطلب العلم، واستمع للموعظة، وخطب، وحاضر، وفعل أي فعل فيه ذكر الله عز وجل بل من أعظم ذكر الله عز وجل: معرفة الحلال، والحرام، والتفقه في دين الله عز وجل.

فليس الذكر مخصوصًا: بالتسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير .

ولذلك كانت مجالس أهل الحديث مجالس ذكر كما هو تفسير غير واحد من السلف .

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠١).

قوله: «إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ».

أي أحاطت بهم.

كما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

عن صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ الْمُرَادِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ» .

في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ

فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ »[1].

وفي الصحيحين أيضًا: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[2].

قوله: «وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ».

أي رحمة الله عز وجل تتنزل عليهم وتغشاهم، فيرجى لهم مغفرة الذنوب، وستر العيوب.

بيان الفرق بين الرحمة والمغفرة:

إذا اجتمعتا افترقتا في المعنى، وإذا افترقا اجتمعا .

فالمغفرة إذا اجتمعت مع الرحمة كان معنى المغفرة: التجاوز عما مضى من الذنوب .

ومعنى الرحمة: التوفيق فيما يأتي على الإنسان .

---

(1) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٩).

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٥٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٣٢).

وإذا افترقتا كانت المغفرة بمعنى الرحمة، وكانت الرحمة بمعنى المغفرة.

قوله: «وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

وهذا شيء عظيم أن يذكر الله عز وجل عباده الذاكرين له في الملإ، عند ملإ خير منهم، وهم الملائكة، ويثني عليهم، ولو لم يكن من فضيلة الذكر إلا هذه الخصلة لكفى بها شرفاً ومنزلة .

****

[ذم مجالس الغفلة]

١٥٥٥ – (وَعَنْهُ -أي أبو هريرة رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ - صلى الله عليه وسلم: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَّ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [1]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «حَسَنٌ»).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان ذم الغفلة عن ذكر الله، وذلك أن المجالس التي لا يذكر فيها الله عز وجل، ولا يصلى فيها على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنها تكون يوم القيامة حسرة على أهلها.

ولفظه في الترمذي أيضا: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَّ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ».

---

[1] الحديث صحيح. رواه الترمذي (٣٣٨٠)، لكن بلفظ: «ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم، إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وإسناده ضعيف؛ لضعف صالح مولى التوأمة فإنه كان قد اختلط، والحديث صحيح بلفظه الأول. واللفظ الذي ذكره الحافظ هنا هو لأحمد في «المسند» (٢/ ٤٦٣) حرفا حرفا، وزاد: «وإن دخلوا الجنة للثواب». وإسناده صحيح. وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

ثم قال رحمه الله تعالى: " هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: "تِرَةً": "يَعْنِي حَسْرَةً وَنَدَامَةً".

وقَالَ بَعْضُ أَهْلِ المَعْرِفَةِ بِالعَرَبِيَّةِ: "التِّرَةُ هُوَ الثَّأْرُ".

قوله: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ».

عام في الرجال، والنساء، ويشترط أن يكون الذكر بعيداً عن الطرق المبتدعة، التي اخترعها الصوفية ومن إليهم.

مثل الذكر الجماعي، وضرب الدفوف على ذلك، وهز الرؤوس، وربما حصل الاختلاط بين الرجال والنساء في المولد، ونحوه.

بل وصل الحد ببعضهم أنه يعتقد أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخرج من قبره، ويحضر معهم الذكر، والمولد.

ولهذا تجد أن بعضهم يفرشون الفراش الأبيض، ويزعمون للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا هو الكفر بعينه.

ويقولون:

هذا النبي مع الأحباب قد حضرا ... وسامح الكل في ما مضى وجرى

ويقول بعضهم:

مرحباً يا نور عيني مرحباً ** مرحباً جد الحسين مرحباً

قوله: «مَقْعَدًا».

أي مجلسًا من المجالس، سواء كان ذلك في الليل، أو النهار، واللفظ عام في كل ما كان من ذكر الله عز وجل، وذكر القعود لأنه أكثر حالات الذكر.

قوله: «لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ».

أي في مجلسهم سواء بلسان الحال أو المآل، وإنما أضاعوه في الكلام الذي لا ينفعهم.

بل ربما فيها يضرهم: من الغيبة، والنميمة، والكذب، والزور، والسب، والشتم، واللعن، ونحو ذلك من الكبائر والعظائم والعياذ بالله عز وجل من ذلك.

وتعاطي المحرمات: من الدخان، والخمر، والمسكرات، ولا حول ولا قوة إلا بالله عز وجل.

وربما في مشاهدة المحرمات: من الأفلام، والمسلسلات، وسماع المعازف، والأغاني، ورؤية النساء الكاسيات العاريات إلى غير ذلك من بلاء المجالس.

قوله: «وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم -».

فيه: فضيلة الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلموقد جاء في ذم تاركها في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[1].

والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سبب لصلاة الله عز وجل على العبد عشرة مرات.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضي الله عنهما-، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[2].

بيان معنى صلاة الله عز وجل على عبده:

وأصح ما جاء في تفسير ذلك ما أخرجه الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه (٦/ ١٢٠):

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٤٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في المشكاة (٩٣٣).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٨٤).

يقول الله عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٥٦].

قَالَ أَبُو العَالِيَةِ: "صَلاَةُ اللَّهِ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ المَلاَئِكَةِ".

وَصَلاَةُ المَلاَئِكَةِ: "الدُّعَاءُ".

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-: {يُصَلُّونَ}: يُبَرِّكُونَ. اهـ

قوله: «إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

ولعل هذا التحسر يكون والله اعلم قبل أن يدخلوا الجنة؛ لأن من دخلها فلا يحزن، ولا يتحسر، ولا ييأس، ولا يحصل له ما يكدر صفوه أبدًا.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ» (١).

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، -رضي الله عنهما-عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «"يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا،

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٣٦).




وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا "، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٤٣] »[١].

ويقول الله عز وجل : {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}.

فالله عز وجل ينزع من قلوبهم كل غل، وحسرة، وندامة، وما يكدر صفوهم، ويجعلهم لا يتنعمون فيما أعد لهم في الجنة.

قوله : «يقوم القيامة»:

هو يوم الجزاء على العمل، قال الله عز وجل: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٨١] .

وكم من الأوقات التي نضيعها في غير ما ينفعنا من ذكر الله عز وجل ونحوه .

وكم هي المجالس التي نجلسها ولا نصلي فيها على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

---

[٢] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٣٧).

وما نزل البلاء بالناس؛ إلا بسبب البعد عن ذكر الله عز وجل، وعن الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبسبب الذنوب، والمعاصي.

فإذا ذكرك الله عز وجل وصلك، وكنت محفوظاً بإذن الله عز وجل.

****

[بيان فضل التهليل]

١٥٥٦ – (وَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ... ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضل من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير عشر مرات.

والحديث في مسلم: من طريق عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: "مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ". وقَالَ سُلَيْمَانُ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي السَّفَرِ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ رَبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، بِمِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ: فَقُلْتُ لِلرَّبِيعِ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ فَأَتَيْتُ عَمْرَو بْنَ مَيْمُونٍ فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ مِنِ ابْنِ

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٣). وفي قول الحافظ: «متفق عليه» نظر، فهذا اللفظ لمسلم، وعنده زيادة: «له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»، وأما البخاري فقد ساقه مختصرا تحت باب فضل التهليل. بلفظ: «من قال عشرا كما كان أعتق رقبة من ولد إسماعيل».




أَبِي لَيْلَى، قَالَ فَأَتَيْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى فَقُلْتُ: مِمَّنْ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: مِنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ -رضي الله عنه- يُحَدِّثُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: «مَنْ قَالَ».

أي من الرجال، أو النساء، من المسلمين.

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

كلمة التوحيد، والإخلاص، وكلمة التقوى والعروة الوثقى .

ومعناها: لا معبود بحقٍّ إلا الله عز وجل .

والدليل: قول الله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}.

قوله: «وَحْدَهُ».

تأكيد للتوحيد، وتأكيد لكلمة الإخلاص .

قوله: «لَا شَرِيكَ لَهُ».

تأكيد للنفي.

قوله: «له الملك».

أي الملك المطلق العام الشامل لكل المخلوقات في الدنيا، والآخرة، يقول الله عز وجل: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ} [آل عمران: ٢٦] .

ويقول الله عز وجل: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

قوله: «وله الحمد».

المستغرق لكل أنواع المحامد.

فالله عز وجل يحمد على جماله، وكماله، وإحسانه، وفضله سبحانه وتعالى.

والحمد: هو ذكر محاسن المحمود مع المحبة والتعظيم.

وقيل بأن الحمد: الثناء على الله عز وجل على الجميل الاختياري.

بيان أن حمد الله عز وجل يكون على أمرين:

الأول: يحمد لأنه أهل للحمد لعظيم جلاله وحسن فعاله.

الثاني: يُحمد الله عز وجل على ما ينعم به على عباده من نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، قال الله عز وجل: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا} [إبراهيم: ٣٤].

قوله: «وهو على كل شيء قدير».

وهذا لفظ عام لا يخرج عنه شيء، فلا يعجزه شيء؛ لكمال علمه، وقدرته، وقوته، ولكماله في جميع أسمائه، وصفاته.

يقول الله عز وجل: {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}.

قوله: «عَشْرَ مَرَّاتٍ».

وهذا الذكر مطلق يقول العبد في أي وقت شاء .

وما جاء بتقيدها بعد صلاة الصبح، والمغرب، فلا يثبت في ذلك شيء، وقد تكلم العلماء عن تلك الأحاديث .

قوله: «كأنما أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»:

فالمحروم من حرم مثل هذه الأجور، وهي يسيره العمل، وعظيمة الأجر، تعتبر غنيمة عظيمة يحرص عليها المؤمن أشد الحرص.

مع أن الذي يعتق رقبة له أجر عظيم عند الله عز وجل، فكيف بمن يعتق أربعة أنفس؛ بلا شك سيكون أجره أعظم.

ففي الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً، أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنَ النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ» [(١)].

[(١)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٧١٥)، والإمام مسلم في صحيحه (١٥٠٩).

وذكر في الحديث ولد إسماعيل لفضلهم على غيرهم؛ لأمور:

الأول: أنهم من نسل إبراهيم عليه السلام وهو أبو الأنبياء، وخليل الرحمن، وهو أفضل الأنبياء والمرسلين بعد نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الثاني: أن إسماعيل عليه السلام كان من الأنبياء والرسل، وهو من أجداد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

الثالث: أن إسماعيل عليه السلام هو أول من تكلم العربية الفصحى من الأنبياء والرسل؛ لأنه عاش في مكة مع أمه هاجر رحمه الله تعالى عندما تركهم أبراهيم عليه السلام بأمر الله عز وجل.

قال الحافظ في الفتح (١١/ ٢٠٥):

وَيُسْتَفَادُ مِنْهُ جَوَازُ اسْتِرْقَاقِ الْعَرَبِ خِلَافًا لِمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ قَالَ عِيَاضٌ ذِكْرُ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْمِائَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا غَايَةٌ لِلثَّوَابِ الْمَذْكُورِ. اهـ

****




[بيان فضل التسبيح]

١٥٥٧ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضل ذكر الله عز وجل بالتسبيح ومنه بقولنا: "سبحان الله وبحمده".

وما ساقه المصنف هو اللفظ المتفق عليه .

وجاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»[2].

ويقال هذا الذكر مطلقًا: في أي وقت، وله الأجر المترتب عليه بفضل الله عز وجل.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٦٤٠٥). وهو قطعة من حديث عند مسلم (٢٦٩١)، وعندهما تقييد ذلك بقوله -صلى الله عليه وسلم: «في يوم».

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٢).

ويقال مقيدًا: في أذكار الصباح، والمساء.

بيان بعض الأذكار المطلقة:

الأول: التسبيح مائة مرة، أو أكثر من ذلك.

فمن قال: سبحان الله، كتب له من الأجر: عشر حسنات، ومن قال: سبحان الله مائة مرة، كتب له من الأجر: ألف حسنه، وهكذا كلما زاد في الذكر، زاد الله عز وجل له بفضله وبكرمه وبإحسانه الأجر.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث سَعْد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، قَالَ: "كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ، كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ» [(١)].

وهكنا في رواية الإمام مسلم جاء الحديث بالتخيير: يكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة.

وفي الترمذي بلفظ: «يُسَبِّحُ أَحَدُكُمْ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ تُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، وَتُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ» [(٢)].

[(١)] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٨).

[(١)] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٦٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

قوله: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ».

(سبحان الله): أي تنزيه الله عز وجل عن كل نقص وعيب، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى.

(الحمد لله): أي إثبات جميع المحامد لله عز وجل .

فيجمع بين تنزيه الله عز وجل وإثبات جميع محامده .

قوله: «مِائَةَ مَرَّةٍ».

أي يقول ذلك: ويكررها مائة مرة؛ حتى يتحصل على الأجر المذكور في الحديث.

قوله: «حُطَّتْ خَطَايَاهُ».

أي أن فضل هذا الذكر أن الخطايا تحط عن قائله، ويغفرها له .

قوله: «وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ».

(زبد البحر): أي ما يقذفه البحر .

قال الحافظ في الفتح (١١/ ٢٠٦): وَيَأْتِي فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ مِنْ أَنَّ الْأَفْضَلَ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ مُتَوَالِيًا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَفِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ الْكِنَايَةُ عَنِ الْمُبَالَغَةِ فِي الْكَثْرَةِ قَالَ عِيَاضٌ قَوْلُهُ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ مَعَ قَوْلِهِ فِي التَّهْلِيلِ مُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ قَدْ يُشْعِرُ بِأَفْضَلِيَّةِ التَّسْبِيحِ عَلَى التَّهْلِيلِ يَعْنِي لِأَنَّ عَدَدَ زَبَدِ الْبَحْرِ أَضْعَافُ

أَضْعَافِ الْمِائَةِ لَكِنْ تَقَدَّمَ فِي التَّهْلِيلِ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَهُمَا بِأَنْ يَكُونَ التَّهْلِيلُ أَفْضَلَ وَأَنَّهُ بِمَا زِيدَ مِنْ رَفْعِ الدَّرَجَاتِ وَكَتْبِ الْحَسَنَاتِ ثُمَّ مَا جُعِلَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ عِتْقِ الرِّقَابِ قَدْ يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ التَّسْبِيحِ وَتَكْفِيرِهِ جَمِيعَ الْخَطَايَا لِأَنَّهُ قَدْ جَاءَ مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ فَحَصَلَ بِهَذَا الْعِتْقِ تَكْفِيرُ جَمِيعِ الْخَطَايَا عُمُومًا بَعْدَ حَصْرِ مَا عَدَّدَ مِنْهَا خُصُوصًا مَعَ زِيَادَةِ مِائَةِ دَرَجَةٍ وَمَا زَادَهُ عِتْقُ الرِّقَابِ الزِّيَادَةُ عَلَى الْوَاحِدَةِ وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الْآخَرُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ التَّهْلِيلُ وَأَنَّهُ أَفْضَلُ مَا قَالَهُ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِهِ وَهُوَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ وَقَدْ مَضَى شَرْحُ التَّسْبِيحِ وَأَنَّهُ التَّنْزِيهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِاللهِ تَعَالَى وَجَمِيعُ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي ضِمْنِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ انْتَهَى مُلَخَّصًا قُلْتُ وَحَدِيثُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أخرجه التِّرْمِذِيّ وَالنَّسَائِيّ وَصَححهُ بن حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ وَيُعَارِضُهُ فِي الظَّاهِرِ حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ قَالَ إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ قَالَ مَا اصْطَفَاهُ اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ وَقَالَ الطِّيبِيُّ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ فِيهِ تَلْمِيحٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ونقدس لَك

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مُخْتَصَرًا مِنَ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ لِأَنَّ سُبْحَانَ اللهِ تَنْزِيهٌ لَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَتَقْدِيسٌ لِصِفَاتِهِ مِنَ النَّقَائِصِ فَيَنْدَرِجُ فِيهِ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَوْلُهُ وَبِحَمْدِهِ صَرِيحٌ فِي مَعْنَى وَالْحَمْدُ للهِ لِأَنَّ الْإِضَافَةَ فِيهِ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْحَمْدِ وَيَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ مَعْنَى اللهُ أَكْبَرُ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كُلُّ الْفَضْلِ وَالْأَفْضَالِ للهِ وَمِنَ اللهِ وَلَيْسَ مِنْ غَيْرِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَكْبَرَ مِنْهُ وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ فَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ التَّسْبِيحُ أَفْضَلَ مِنَ التَّهْلِيلِ لِأَنَّ التَّهْلِيلَ صَرِيحٌ فِي التَّوْحِيدِ وَالتَّسْبِيحِ مُتَضَمِّنٌ لَهُ وَلِأَنَّ نَفْيَ الْآلِهَةِ فِي قَوْلِ لَا إِلَهَ نَفْيٌ لِمُضَمَنِهَا مِنْ فِعْلِ الْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَالْإِثَابَةِ وَالْعُقُوبَةِ وَقَوْلُ إِلَّا اللهُ إِثْبَاتٌ لِذَلِكَ وَيَلْزَمُ مِنْهُ نَفْيُ مَا يَضَادُّهُ وَيُخَالِفُهُ مِنَ النَّقَائِصِ فَمَنْطُوقُ سُبْحَانَ اللهِ تَنْزِيهٌ وَمَفْهُومُهُ تَوْحِيدٌ وَمَنْطُوقُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تَوْحِيدٌ وَمَفْهُومُهُ تَنْزِيهٌ يَعْنِي فَيَكُونُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَفْضَلَ لِأَنَّ التَّوْحِيدَ أَصْلٌ وَالتَّنْزِيهُ يَنْشَأُ عَنْهُ وَاللهُ أَعْلَمُ وَقَدْ جَمَعَ الْقُرْطُبِيُّ بِمَا حَاصِلُهُ إِنَّ هَذِهِ الْأَذْكَارَ إِذَا أُطْلِقَ عَلَى بَعْضِهَا أَنَّهُ أَفْضَلُ الْكَلَامِ أَوْ أَحَبُّهُ إِلَى اللهِ فَالْمُرَادُ إِذَا انْضَمَّتْ إِلَى أَخَوَاتِهَا بِدَلِيلِ حَدِيثِ سَمُرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكْتَفِيَ فِي ذَلِكَ بِالْمَعْنَى فَيَكُونُ مَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بَعْضِهَا كَفَى لِأَنَّ حَاصِلَهَا التَّعْظِيمُ وَالتَّنْزِيهُ وَمَنْ نَزَّهَهُ فَقَدْ عَظَّمَهُ وَمَنْ




عَظَّمَهُ فَقَدْ نَزَّهَهُ انْتَهى وَقَالَ النَّوَوِيُّ هَذَا الْإِطْلَاقُ فِي الْأَفْضَلِيَّةِ مَحْمُولٌ عَلَى كَلَامِ الْآدَمِيِّ وَإِلَّا فَالْقُرْآنُ أَفْضَلُ الذِّكْرِ وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْكَلَامِ كَلَامُ الْبشر فان للثلاث الْأُوَلَ وَإِنْ وُجِدَتْ فِي الْقُرْآنِ لَكِنَّ الرَّابِعَةَ لَمْ تُوجَدْ فِيهِ وَلَا يَفْضُلُ مَا لَيْسَ فِيهِ عَلَى مَا هُوَ فِيهِ قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُجْمَعَ بِأَنْ تَكُونَ مِنْ مُضْمَرَةً فِي قَوْلِهِ أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَوْلِهِ أَحَبُّ الْكَلَامِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ لَفْظَ أَفْضَلَ وَأَحَبَّ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْمَعْنَى لَكِنْ يَظْهَرُ مَعَ ذَلِكَ تَفْضِيلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لِأَنَّهَا ذُكِرَتْ بِالتَّنْصِيصِ عَلَيْهَا بِالْأَفْضَلِيَّةِ الصَّرِيحَةِ وَذُكِرَتْ مَعَ أَخَوَاتِهَا بِالْأَحَبِّيَّةِ فَحَصَلَ لَهَا التَّفْضِيلُ تَنْصِيصًا وَانْضِمَامًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَابَاهْ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ الَّتِي لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا حَتَّى يَقُولَهَا وَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَهِيَ كَلِمَةُ الشُّكْرِ الَّتِي لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَبْدٌ حَتَّى يَقُولَهَا وَمن طَرِيق الْأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد عَن بن عَبَّاسٍ قَالَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَلْيَقُلْ عَلَى أَثَرِهَا الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . اهـ

****

[بيان فضل ذكر الله عز وجل المضاعف]

١٥٥٨ - (وَعَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ -رضي الله عنه- قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» [(١)]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان فضل ذكر الله عز وجل المضاعف.

والحديث في مسلم:

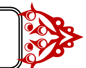
عن حديث جُوَيْرِيَةَ -رضي الله عنه-: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»".

قوله: «جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ».

هي أم المؤمنين رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢٦).





كانت من سبي غزوة بني المصطلق، أعتقها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتزوجها، وكانت رضي الله عنها ذات بركة على أهلها .

فعن عائشة، قالت: وقَعَتْ جُويريةُ بنتُ الحارث بنِ المُصْطَلِقِ في سَهْمِ ثابت بن قيس بن شمّاس، أو ابنِ عمٍّ له، فكاتَبت على نفسِها، وكانتِ امرأةً مُلاحةً تاخُذها العينُ، قالت عائِشةُ: فجاءت تسألُ رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - في كتابتها، فلما قامَتْ على البابِ فرأيتُها كَرِهْتُ مكانَها، وعرفتُ أن رسولَ الله -صلَّى الله عليه وسلم- سيرى منها مِثْلَ الذي رأيتُ، فقالت: يا رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، أنا جُويريةُ بنتُ الحارِثِ، وأنا كان من أمرِي ما لا يخفى عليكَ، وإني وقعتُ في سهم ثابتِ بنِ قيسِ بنِ شمّاس، وإني كاتبتُ على نفسي، فجئتُك أسألُك في كتابتي، فقال رسولُ الله - صلَّى الله عليه وسلم -: "فهل لك إلى ما هو خيرٌ منه؟، قالت: وما هو يا رسولَ الله؟ قال: "أُؤدِّي عَنْكِ كتابتك وأتزوَّجُكِ" قالت: قد فعلتُ، قالت: فتسامع -تعني الناسَ- أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - قد تزوَّج جُويريَةَ، فأرسلُوا ما في أيدِيهم من السَّبْي، فاعتقُوهُمْ، وقالوا: أصهار رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -، فما رأينا امرأةً كانت أعْظَمَ بركةً على قومها منها، أُعتق في سَبَبِها مئةُ أهلِ بَيْتٍ من بني المُصْطَلِقِ » أخرجه أبو داود .

قوله: «قَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ».

أي ثلاث مرات .

قوله: «لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ».

وهذا دليل على فضلهن، وبركتهن، وعلى عظيم الأجر فيهن، وظيم شأنهن.

وقد عد أهل العلم هذا الذكر من أذكار الصباح، ومع ذلك لو قال الإنسان في أي وقت جاز، وكتب الله عز وجل له الأجر العظيم.

وقد جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ صدي بن عجلان -رضي الله عنه-: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ فَقَالَ: «مَاذَا تَقُولُ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟» قَالَ: أَذْكُرُ رَبِّي قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلَ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِكَ اللَّيْلِ مَعَ النَّهَارِ وَالنَّهَارِ مَعَ اللَّيْلِ، أَنْ تَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، سُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ مَا خَلَقَ، سُبْحَانَ اللهِ عَدَدَ مَا أَحْصَى كِتَابُهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ مِلْءَ كُلِّ شَيْءٍ، وَتَقُولُ: الْحَمْدُ للهِ مِثْلَ ذَلِكَ»[1].

---

(1) أخرجه الإمام النسائي في سننه الكبرى (٩٩٢١)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (٢٥٧٨)، وصححه في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٥٧٥).

قوله: «لو وزنت».

فيه: دليل على وزن الأعمال.

قوله: «سُبْحَانَ اللهِ».

كلمة عظيمة متضمنة لتنزيه الله عز وجل عن كل النقائص، والمعايب، ومستلزمة لإثبات جميع المحامد.

وبحمده: هي كلمة عظيمة لإثبات جميع الكمال لله عز وجل، وهي مستلزمة لنفي جميع النقائص والمعايب.

قوله: «عَدَدَ خَلْقِهِ».

ومخلوقات الله عز وجل لا يعلم عددها إلا هو .

قوله: «وَرِضَا نَفْسِهِ».

وهي صفة عظيمة تتضمن ما يرضي الله عز وجل عن عبده.

قوله: «وَزِنَةَ عَرْشِهِ.

وهذا مما يستدل به على أن أعظم مخلوقات الله عز وجل العرش .

يقول الله عز وجل : {وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ}.

فهذه الآية صريحة في أن الكرسي أعظم خلقًا، وأوسع خلقًا، من خلق السموات السبع، ومن خلق الأراضين السبع.

وقد جاء في العلو للعلي الغفار للإمام الذهبي رحمه الله تعالى برقم (٤٥):

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- قَالَ: "الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لا يُقَدِّرُ أحد قدره".

فالله عز وجل هو رب العرش العظيم الواسع المجيد.

ويقول الله عز وجل في وصفه: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}.

ويقول الله عز وجل : {فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}.

قوله: «وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

يقول الله عز وجل: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا}.

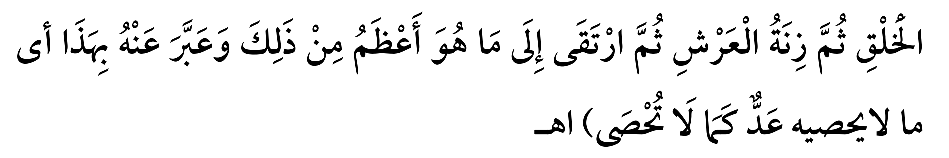
ويقول الله عز وجل : {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

فهذا دليل على عظيم هذا الذكر .

قال النووي في شرح مسلم (١٧/ ٤٤):

قَالَ الْعُلَمَاءُ وَاسْتِعْمَالُهُ هُنَا مَجَازٌ لِأَنَّ كَلِمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَا تُحْصَرُ بِعَدٍّ وَلَا غَيْرِهِ وَالْمُرَادُ الْمُبَالَغَةُ بِهِ فِي الْكَثْرَةِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَوَّلًا مَا يَحْصُرُهُ الْعَدُّ الْكَثِيرُ مِنْ عَدَدِ





الْخَلْقِ ثُمَّ زِنَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ ارْتَقَى إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَعَبَّرَ عَنْهُ بِهَذَا أي ما لا يحصيه عَدٌّ كَمَا لَا تُحْصَى) اهـ

****

[بيان الباقيات الصالحات]

١٥٥٩ – (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» [1]. أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان الباقيات الصالحات.

وحديث الباب فيه ضعف، ويشهد .

وله ما في سنن الإمام النسائي الكبرى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خُذُوا جُنَّتَكُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ عَدُوٍّ قَدْ حَضَرَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ جُنَّتُكُمْ مِنَ النَّارِ قَوْلُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،

---

[1] الحديث حسن بطريقيه. رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» كما في «التحفة» (٣/ ٣٦٢)، وابن حبان (٨٤٠)، والحاكم (١/ ٥١٢)، وهو ضعيف؛ لأنه من رواية دارج بن سمعان، عن أبي الهيثم. ودارج ضعيف ولا سيما في روايته عن أبي الهيثم. وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بدون ذكر: لا حول ولا قوة إلا بالله.

وَاللهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» [1].

يقول الله عز وجل: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}.

والباقيات الصالحات: هي ذكر الله عز وجل.

قوله: «الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ».

سميت بالباقيات: لأنها باقيات في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم .

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ».

وهي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص.

وهي الكلمة التي تفصل بين أهل الحق وأهل الباطل، وبين أهل الإسلام والكفر، وبين أهل الإيمان والنفاق، وبين أهل الصدق والكذب والفجور.

وهي أفضل الذكر.

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

---

(٢) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٠٦١٧)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٦٧).

من حديث جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنهما-، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ» [1].

وهي كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وهي أول ما يدخل بها العبد الإسلام، وآخر ما يخرج بها من الأرض.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عُثْمَانَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» [2].

وفي حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قال قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» أخرجه مسلم .

قوله: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ».

وهي كلمة تنزيه لله عز وجل عن كل نقص، وعيب، وعن كل ما لا يليق به سبحانه وتعالى.

وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضل هذه الكلمة.

فمنها ما في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٣٨٣)، وابن ماجه في سننه (٣٨٠٠)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وحسنه في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٥٢٦).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦).





من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»(١).

وفي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ »(٢).

ويؤتى بها للتعجب وللتنزيه، وغير ذلك.

كما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها-، قَالَتْ: اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، مَاذَا أُنْزِلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الخَزَائِنِ، أَيْقِظُوا صَوَاحِبَاتِ الحُجَرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ»(٣).

وفي الصحيحين: من حديث أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَهُ فِي بَعْضِ طَرِيقِ المَدِينَةِ وَهُوَ جُنُبٌ، فَانْخَنَسْتُ مِنْهُ،

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٥).

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٤).

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٥).

فَذَهَبَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ جاءَ، فَقَالَ: «أَيْنَ كُنْتَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ» قَالَ: كُنْتُ جُنُبًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أُجَالِسَكَ وَأَنَا عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، إِنَّ الْمُسْلِمَ لاَ يَنْجُسُ»[١].

قوله: «وَاللهُ أَكْبَرُ».

فيه: تكبير الله، وتعظيمه، وبيان أن الله عز وجل هو الكبير العظيم الواسع، الذي لا يعجزه شيء، ولا يكرثه شيء، ولم يأت في القرآن إلا بمعناها، كما قال تعالى: {وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا} [الإسراء: ١١١].

قوله: «وَالحَمْدُ للهِ».

فيه: حمد الله عز وجل لأنه يستحق الحمد لذاته، ولكماله، ولعظيم سلطانه.

ويستحق الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى آلائه، ومننه العظيمة الواسعة على خلقه أجمعين.

قوله: «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

ومعنى ذلك: أنه لا حول لنا، ولا حيلة، ولا تحول، ولا قوة على أداء ما أوجب الله علينا، وعلى ترك ما نهى الله عنه، إلا بقوة من الله، ومعونة، وتوفيق منه عز وجل.

---

[٢] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٣)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٧١).

وهي كنز من كنوز الجنة.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»"[1].

وهذه الكلمات التي ذكرت في حديث الباب يقولها العبد إذا استيقظ من نومه.

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٢٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٤).



إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»[1].

والله أعلم .

****

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١١٥٤).

[بيان أحب الكلام إلى الله عز وجل]

١٥٦٠ – (وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أحب الكلام إلى الله عز وجل.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنهما–، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله، كَتَبَ اللهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حَطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً»[2].

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٣٧). وزاد: «ولا تسمين غلامك: يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلح، فإنك تقول، أثم هو؟ فلا يكون، فيقول: لا».

[2] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٨٠١٢)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٤١٨، ١٣٢٠)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.



وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ»[(١)].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى بلفظ آخر:

من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى الله؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي بِأَحَبِّ الْكَلَامِ إِلَى الله، فَقَالَ: "إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى الله: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ"».

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى أيضًا:

من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها-قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: «سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟» فَقَالَ: "خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا {إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله وَالْفَتْحُ} [النصر: ١]، فَتْحُ مَكَّةَ، {وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣١).

فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا} [النصر: ٣]»[1].

قوله: «وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ - رضي الله عنه -».

بن هلال بن حريج الفزاري.

قوله: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ».

فيه: إثبات صفة المحبة لله عز وجل.

ففي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من حديث مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو أبو سُلمى -رضي الله عنه-: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَخٍ بَخٍ، لَخَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ، وَالِدَاهُ " وَقَالَ: " بَخٍ بَخٍ لِخَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ: يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ»[2].

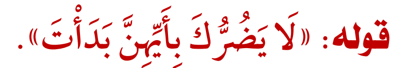
---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٨٤).

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥٦٦٢)،) وهو حديث صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح، والمولى الذي لم يسمَّ هو أبو سُلمى راعي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٢٢٩)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.







قوله: «لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ».

أي لا يلزم الترتيب في قولهن .

قوله: «سُبْحَانَ اللَّه».

وموطن هذه الكلمات في أدبار الصلوات، والركوع، والسجود.

وعند النزيل في السفر .

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى: من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا»[(١)] .

وتقال عند التنزيه، والتعظيم، والتعجب.

وفي كفارة المجلس، وفي أذكار الصباح والمساء والنوم، وغيرها من المواطن .

قوله: «وَالْحَمْدُ لِلَّه».

ومواطنها كثيرة فتقال: عند النوم، والاستيقاظ، وفي دبر الصلاة المفروضة، وعند الرفع من الركوع، وبعد الفراغ من الطعام والشراب، وعند الركوب، وغير ذلك من المواطن.

قوله: «وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ».

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩٩٣).

في الصحيحين: من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمُعاذٌ -رضي الله عنه- رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ: «يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «يَا مُعَاذُ»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاَثًا، قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذًا يَتَّكِلُوا» وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا"[1].

وأيضًا في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ»[2].

قوله: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ».

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (١٢٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٣٢).

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٩٩).

من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[1].

وهذه الأذكار يستطيع أن يقولها الإنسان على أي حال، سواء كان راكبًا، أو ماشيًا، أو قاعدًا، أو مضطجعًا.

يقول الله عز وجل : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، والله الموفق .

****

---

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٦٢)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وقال في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٥٥٠): حسن لغيره.

[بيان أن كلمة: "لا حول ولا قوة إلا بالله"، كنز من كنوز الجنة]

١٥٦١ – (وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَلَّا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

زَادَ النَّسَائِيُّ: «وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ»[2]).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن (لا حول ولا قوة إلا بالله) كنز من كنوز الجنة.

قوله: «وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رضي الله عنه –».

عبد الله بن قيس الأشعري، وكان رضي الله عنه حسن الصوت بالقرآن

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[1].

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٨٤)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٤). والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٦) والسياق للنسائي.

(٢) كذا قال الحافظ، والمراد أن هذه الزيادة عند النسائي من حديث أبو موسى، ولكن لم أجدها من حديث أبي موسى مع العلم بأن النسائي روى حديث أبي موسى في أكثر من موضع، لكني وجدتها عنده في «عمل اليوم والليلة» من حديث أبي هريرة، برقم (٣٥٨)، وهي زيادة صحيحة. والله أعلم.

فيه: وصية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأصحابه رضي الله عنهم، واهتمامه بهم.

قوله: «يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ».

فيه: النداء لمن يتكلم معه باسمه، أو بكنيته؛ حتى يحصل له الانتباه للكلام .

قوله: «أَلَّا أَدُلُّكَ».

أي ألا أدلك، وأرشدك، وأبين لك، كنز من كنوز الجنة.

قوله: « عَلَى كَنْزٍ».

الشيء المكنوز: من ذهب، أو فضة، ونحوه .

قوله: «مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟».

وهذا الكنز بلا شك أنه أعظم من الدنيا وما فيها .

قوله: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِّ».

ومعناها: لا حيلة لنا في طاعة الله عز وجل، وفي إقامة ما أمر الله عز وجل به، وترك ما نهى الله عز وجل عنه؛ إلا بقوة ومعونة وتوفيق من الله عز وجل.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٥٠٤٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٧٩٣).

وقيل: لا تحول لنا من معصية الله عز وجل إلى طاعة الله عز وجل إلا بمعونة وتوفيق من الله عز وجل،

وقيل: كلمة استرجاع، وهذا القول ضعيف؛ لأن كلمة الاسترجاع: (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

يقول الله عز وجل : {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}.

ففي هذه الكلمة نفي الحول والقوة عن المخلوق إلا إذا أعانه الله عز وجل على ذلك.

وهذا جاء في السنن:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ»[(١)].

والله الموفق .

****

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٢٦٣٢)، والترمذي في سننه (٣٥٨٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٥٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

[بيان عظيم منزلة الدعاء وأنه من العبادة]

١٥٦٢ – (وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»[(١)]. رَوَاهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ).

١٥٦٣ – (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ -رضي الله عنه- بِلَفْظِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»[(٢)]).

١٥٦٤ – (وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-رَفَعَهُ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»[(٣)]. وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

الشرح: ************************************

---

(١) الحديث صحيح. رواه أبو داود (١٤٧٩)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٥٠) والترمذي (٣٢٤٧)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وزادوا ثم قرأ: «وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين» غافر: ٦٠، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١١٥٩)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

(٢) الحديث ضعيف. رواه الترمذي (٣٢٧١) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة». قلت: وهو صحيح بلفظ الحديث السابق، وأما بهذا اللفظ: «مخ» فهو ضعيف.

(٣) الحديث حسن. رواه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن حبان (٨٧٠) والحاكم (١/ ٤٩٠)، وفي إسناده عمران القطان وهو ضعيف. وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٢٩)، قال: حسن.

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان منزلة الدعاء، وأنه من العبادة.

بيان أقسام الدعاء:

بيان أن الدعاء عبادة:

وكان الدعاء عبادة؛ لأنه مأمور به، ولأن الله عز وجل على كل شيء قدير.

يقول الله عز وجل : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.

بيان حكم صرف الدعاء لغير الله في شيء لا يقدر عليه إلا الله:

وصرف الدعاء لغير الله عز وجل في شيء لا يقدر عليه إلا الله عز وجل يعتبر شركًا أكبرًا مخرجًا لصاحبه من الملة.

لأن الله عز وجل هو الخالق، القوي، العزيز، وبيده تصريف الأمور، وبيد فعل كل شيء، وهو على كل شيء قدير، والعالم بكل شيء، وبيده الخير كله.

وغير الله عز وجل مخلوق عاجز ضعيف، ليس له من الأمر شيء، ولا يقدر على شيء إلا على ما قدره الله عز وجل، ولا يعلم إلا ما علمه الله عز وجل.

ولهذا تجد أن كثيرًا من القصص القرآني قد تضمن الحث والترغيب في الدعاء.

قوله: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ».

لما سبق معنا بيانه، فقد سمى الله عز وجل الدعاء عبادة، وبين أن من يستكبر عن عبادته ودعائه سيكون من أهل النار المعذبين بها.

قوله: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ».

الحديث ضعيف لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفي سنده ابن لهيعة، ويغني عنه حديث النعمان .

قوله: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ».

يقول الله عز وجل : {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون}.

ويقول الله عز وجل : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}.

ويقول الله عز وجل : {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}.

وجاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:



[بيان عظيم منزلة الدعاء وأنه من العبادة]



من حديث سَلْمَانَ الفارسي -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي العُمْرِ إِلَّا البِرُّ»[1].

****

---

(1) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢١٣٩)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٦٣٩): حسن لغيره.



[بيان أن الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد]

١٥٦٥ – (وَعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»[1]. أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَغَيْرُهُ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان بعض الأوقات استجابة الدعاء.

ومنها: بين الأذان والإقامة.

وهذا من فضل الله عز وجل، وقد تقدم في أول الباب بيان أوقات الاستجابة فلا داعي للتكرار .

قوله: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ».

الأذان: وهو الإعلام بحضور وقت الصلاة.

قوله: «وَالْإِقَامَةِ».

وهي الإعلام بالصلاة، وتعتبر أذانًا ثانيًا.

---

[1] أخرجه الإمام النسائي في «عمل اليوم والليلة»، ص (١٦٨)، وابن حبان (١٦٩٦)، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٢١)، بلفظ: «لَا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ»، والترمذي في سننه (٣٥٩٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.



قوله: «لَا يُرَدُّ».

وهذا على الغالب وقد توجد بعض الموانع: من أكل الحرام، أو شربه، أو لبسه، أو الاعتداء في الدعاء كما سبق بيان ذلك .

والله أعلم .

****

[بيان استحباب رفع اليدين في الدعاء]

١٥٦٦ – (وَعَنْ سَلْمَانَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[1]. أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ إِلَّا النَّسَائِيَّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشرح: *******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان استحباب رفع اليدين في الدعاء.

وحديث الباب الراجح فيه الوقف، وهو مأخوذ من التوراة، فلا يقال له حكم الرفع.

وسلمان رضي الله عنه كان فارسيًا مجوسيًا، ثم أصبح نصرانيًا، والتوراة عند النصارى تسمى بالعهد القديم، فكانوا يعظمونها، ويقرأون فيها.

كما أن الإنجيل عندهم يسمى بالعهد الجديد.

قوله: «عَنْ سَلْمَانَ – رضي الله عنه –».

هو سلمان الفارسي رضي الله عنه .

قوله: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ».

---

[1] الحديث الراجح فيه الوقف على سلمان. رواه أبو داود (١٤٨٨)، والترمذي (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، والحاكم (١/ ٤٩٧). والراجح في الحديث وقفه على سلمان، ومن رواه موقوفًا على سلمان خمسة من الرواة، وهم أرجح ممن رواه مرفوعًا. ولكن المرفوع يصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

فهذا الإخبار عن الله عز وجل بأن من أسمائه: الحيي.

والحيي: هو المتضمن لصفة الحياء على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف.

قوله: «كَرِيمٌ».

والكريم، والأكرم من أسماء الله عز وجل الحسنى الثابتة له في القرآن أيضًا.

يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}.

ويقول الله عز وجل : {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}.

قال السعدي (ص: ٩٤٦):

الكرم، وعلى سعة رحمته ومواهبه، التي عم بها جميع الوجود، بحسب ما تقتضيه حكمته، وخص المؤمنين منها بالنصيب الأوفر، والحظ الأكمل، قال تعالى: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} الآية.اهـ

قوله: «يَسْتَحِي مِنْ عَبْدِهِ».

فيه إثبات صفة الحياء على ما يليق بجلاله .

وهذا من تفضل الله عز وجل على عباده.

يقول الله عز وجل : {فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ}.

وفي الصحيحين:

من حديث أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: "جَاءَتْ أَمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَعَمْ، إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ» فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ فَقَالَ: «تَرِبَتْ يَدَاكِ، فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا»"[1].

بيان حكم رفع الدين عند الدعاء:

قوله: «إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفرًا».

فيه: دليل على أن من أسباب استجابة الدعاء رفع اليدين عند الدعاء.

وهذا الحديث وإن كان لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرفوعًا.

فقد جاء ما يغني عنه في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٠٩١)، والإمام مسلم في صحيحه (٣١٣).

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[1].

والله أعلم .

****

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٠١٥).

[بيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء]

١٥٦٧ - (وَعَنْ عُمَرَ - رضي الله عنه - قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، لَمْ يَرُدَّهُمَا، حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ»[(١)].

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ).

وَلَهُ شَوَاهِدُ مِنْهَا:

١٥٦٨ - (حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما-[(٢)]: عَنْ أَبِي دَاوُدَ.

وَمَجْمُوعُهَا يَقْتَضِي أَنَّهُ حَدِيثٌ حَسَنٌ[(٣)]).

---

(١) الحديث منكر. رواه الترمذي (٣٣٨٦) وقال: «هذا حديث صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث حماد بن عيسى، وقد تفرَّد به، وهو قليل الحديث، وقد حدث عنه الناس». قلت: وهو ضعيف، كما ذهب إلى ذلك الحافظ نفسه في «التقريب»، وقال أبو داود: «ضعيف، روى أحاديث مناكير». قلت: وهذا الحديث لا شك أنه من تلك المناكير، إذ رفع اليدين في الدعاء ثابتة برواية الثقات، ولم يرد في شيء من ذلك مسح الوجه.

(٢) والحديث منكر كسابقه. رواه أبو داود، ولفظه: «لا تستروا الجدر، من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار، سلوا الله ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، فإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم». وقال أبو داود:» روى هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب، كلها واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيف -أيضا-»، وقال أبو حاتم في: «العلل» (٢/ ٣٥١): «هذا حديث منكر». وفي الإسناد عبد الملك بن محمد، وعبد الله بن يعقوب وكلاهما مجهول الحال، وفيه رجل مبهم لم يسمَ، فالحديث ضعيف.

(٣) قلت: كيف، وقد تقدَّم تضعيف أبي داود للحديث، وإنكار أبي حاتم؟! بل قال البيهقي في «الكبرى» (٢/ ٢١٢): «فأما مسح اليدين بالوجه عند الفراغ من الدعاء، فلست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة، =

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان حكم مسح الوجه باليدين بعد الدعاء.

وأحاديث الباب منكرة ضعيفة، لم تثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقد جاءت في الباب بعض الآثار؛ ولهذا ذهب بعض أهل العلم إلى مشروعية مسح الوجه بالدين بعد الانتهاء من الدعاء.

والصحيح أن فعل مثل هذا من البدع المحدثة التي ما أنزل الله عز وجل بها من سلطان .

بيان حكم تقبيل المصحف بعد الفراغ من التلاوة:

ومثل هذا الفعل تقبيل المصحف بعد الانتهاء من القراءة، فهذا أيضًا من البدع المحدثة؛ لأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا عن الصحابة رضي الله عنهم.

ولو كان مستحبًا، أو مندوبًا ؛ لفعله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم. والصحابة رضي الله عنهم من بعده، والله الموفق .

****

= وقد روي فيه عن النبي –صلى الله عليه وسلم– حديث فيه ضعف»، وقد أنكره الإمام مالك– أي: مسح الوجه– وكرهه سفيان، ولم يسمع أحمد فيه بشيء».

[بيان فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم]

١٥٦٩ – (وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ - صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»[(١)]. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

وحديث الباب ضعيف لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويغني عنه الأحاديث الصحيحة .

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ -رضي الله عنهما-، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى الله عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي

---

(١) الحديث ضعيف. رواه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان (٩١١) وقال الترمذي:» هذا حديث حسن غريب». وفي إسناده موسى بن يعقوب وهو ضعيف، وشيخه عبد اله بن كيسان وهو مجهول، وضعفه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»[(١)].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»[(٢)].

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ»[(٣)].

قال الترمذي: وَيُرْوَى عَنْ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ قَالَ: "إِذَا صَلَّى الرَّجُلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً فِي المَجْلِسِ أَجْزَأَ عَنْهُ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ المَجْلِسِ".

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٣٨٤).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٤٠٨).

(٢) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٤٥)، وقال فيه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي: حسن صحيح. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٢٨٢).

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(١).

وأما ما جاء في سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من طريق الطُّفَيْلِ بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ أَبِيهِ أُبي بن كعب رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(٢).

ثم قال رحمه الله تعالى: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ».

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٤٦)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي. وهو في الصحيحة برقم (٩٥٤).

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٤٥٧)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

فالحديث في إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف .

وقد حسنه بعض أهل العلم، ومنهم العلامة الألباني رحمه الله تعالى.

والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من أسباب صلاة الله عز وجل على العبد، وإذا صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أحد من عباده غفر له، ورحمه.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ-رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللهُمَّ ارْحَمْهُ، اللهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»(١).

فالصلاة من الملائكة: هي الدعاء للمسلم بالمغفرة، وبالرحمة، وبالتوفيق للتوبة.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٤٧٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٦٤٩).

وقد تكلم الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه: "جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام".

وللإمام أسماعيل القاضي أحد أحفاد حماد بن زيد كتابًا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقد نقل منه الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه العظيم: "تفسير القرآن".

عند قول الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}، والله الموفق .

****

[بيان سيد الاستغفار]

١٥٧٠ – (وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ، أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»[1]. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان سيد الاستغفار.

والحديث بطوله في البخاري: من حديث شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ "قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

قوله: «وَعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ – رضي الله عنه –».

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٠٦).

وليس لشداد بن أوس رضي الله عنه في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى إلا هذا الحديث .

وكما أنه ليس له في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى إلا حديثًا واحدًا فقط: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[1].

وحديث سيد الاستغفار من أذكار الصباح والمساء .

قال الحافظ في الفتح (١١/ ٩٩):

قَوْلُهُ سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ قَالَ الطِّيبِيُّ لَمَّا كَانَ هَذَا الدُّعَاءُ جَامِعًا لِمَعَانِي التَّوْبَةِ كُلِّهَا اسْتُعِيرَ لَهُ اسْمُ السَّيِّدِ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الرَّئِيسُ الَّذِي يُقْصَدُ فِي الْحَوَائِجِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ قَوْلُهُ أَنْ يَقُولَ أَيِ الْعَبْدُ وَثَبَتَ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ إِنَّ سَيِّدَ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ وَلِلتِّرْمِذِيِّ مِنْ رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ شَدَّادٍ أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الِاسْتِغْفَارِ وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ تَعَلَّمُوا سَيِّدَ الِاسْتِغْفَارِ قَوْله لَا اله الا أَنْت أَنْتَ خَلَقْتَنِي كَذَا فِي نُسْخَةٍ مُعْتَمَدَةٍ بِتَكْرِيرِ أَنْتَ وَسَقَطَتِ الثَّانِيَةُ مِنْ مُعْظَمِ الرِّوَايَاتِ وَوَقَعَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَالْبَاقِي نَحْوُ حَدِيثِ شَدَّادٍ وَزَادَ فِيهِ آمَنْتُ لَكَ مُخْلِصًا لَكَ دِينِي قَوْلُهُ وَأَنَا عَبْدُكَ قَالَ

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٩٥٥).

الطِّيبِيُّ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُؤَكَّدَةً وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مُقَدَّرَةً أَيْ أَنَا عَابِدٌ لَكَ وَيُؤَيِّدُهُ عَطْفُ قَوْلِهِ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ قَوْلُهُ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ سَقَطَتِ الْوَاوُ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ قَالَ الْخَطَّابِيُّ يُرِيدُ أَنَا عَلَى مَا عَهِدْتُكَ عَلَيْهِ وَوَاعَدْتُكَ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ لَكَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ أَنَا مُقِيمٌ عَلَى مَا عَهِدْتَ إِلَيَّ مِنْ أَمْرِكَ وَمُتَمَسِّكٌ بِهِ وَمُنْتَجِزٌ وَعْدَكَ فِي الْمَثُوبَةِ وَالْأَجْرِ وَاشْتِرَاطُ الِاسْتِطَاعَةِ فِي ذَلِكَ مَعْنَاهُ الِاعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ وَالْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ الْوَاجِبِ مِنْ حَقِّهِ تَعَالَى وَقَالَ بن بَطَّالٍ قَوْلُهُ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ يُرِيدُ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ حَيْثُ أَخْرَجَهُمْ أَمْثَالَ الذَّرِّ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بربكم فَأَقَرُّوا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأَذْعَنُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَبِالْوَعْدِ مَا قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ إِنَّ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَقَوْلُهُ وَأَدَّى مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ بِشَرْطٍ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْمُرَادَ بِالْعَهْدِ الْمِيثَاقَ الْمَأْخُوذَ فِي عَالَمِ الذَّرِّ وَهُوَ التَّوْحِيدُ خَاصَّةً فَالْوَعْدُ هُوَ إِدْخَالُ مَنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ قَالَ وَفِي قَوْلِهِ مَا اسْتَطَعْتُ إِعْلَامٌ لِأُمَّتِهِ أَنَّ أَحَدًا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ للهِ وَلَا الْوَفَاءِ بِكَمَالِ الطَّاعَاتِ وَالشُّكْرِ عَلَى النِّعَمِ فَرَفَقَ اللهُ بِعِبَادِهِ فَلَمْ يُكَلِّفْهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا وُسْعَهُمْ وَقَالَ الطِّيبِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ مَا فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ كَذَا قَالَ وَالتَّفْرِيقُ بَيْنَ الْعَهْدِ وَالْوَعْدِ أَوْضَحُ قَوْلُهُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ سَقَطَ لَفْظُ لَكَ مِنْ

رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَأَبُوءُ بِالْمُوَحَّدَةِ وَالْهَمْزِ مَمْدُودٌ مَعْنَاهُ أَعْتَرِفُ وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ شَدَّادٍ وَأَعْتَرِفُ بِذُنُوبِي وَأَصْلُهُ الْبَوَاءُ وَمَعْنَاهُ اللُّزُومُ وَمِنْهُ بَوَّأَهُ اللَّهُ مَنْزِلًا إِذَا أَسْكَنَهُ فَكَأَنَّهُ أَلْزَمَهُ بِهِ قَوْلُهُ وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي أَيْ أَعْتَرِفُ أَيْضًا وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَحْمِلُهُ بِرَغْمِي لَا أَسْتَطِيعُ صَرْفَهُ عَنِّي وَقَالَ الطِّيبِيُّ اعْتَرَفَ أَوَّلًا بِأَنَّهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَلَمْ يُقَيِّدْهُ لِأَنَّهُ يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الْإِنْعَامِ ثُمَّ اعْتَرَفَ بِالتَّقْصِيرِ وَأَنَّهُ لَمْ يَقُمْ بِأَدَاءِ شُكْرِهَا ثُمَّ بَالَغَ فَعَدَّهُ ذَنْبًا مُبَالَغَةً فِي التَّقْصِيرِ وَهَضْمِ النَّفْسِ قُلْتُ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ أَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي أَعْتَرِفُ بِوُقُوعِ الذَّنْبِ مُطْلَقًا لِيَصِحَّ الِاسْتِغْفَارُ مِنْهُ لَا أَنَّهُ عَدَّ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ أَدَاءِ شُكْرِ النِّعَمِ ذَنْبًا قَوْلُهُ فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَنِ اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ غُفِرَ لَهُ وَقَدْ وَقَعَ صَرِيحًا فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ الطَّوِيلِ وَفِيهِ الْعَبْدُ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ مَنْ قَالَهَا مُوقِنًا بِهَا أَيْ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ مُصَدِّقًا بِثَوَابِهَا وَقَالَ الدَّاوُدِيُّ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا من قَوْله ان الْحَسَنَات يذْهبن السَّيِّئَات وَمِثْلَ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْوُضُوءِ وَغَيْرِهِ لِأَنَّهُ بُشِّرَ بِالثَّوَابِ ثُمَّ بُشِّرَ بِأَفْضَلَ مِنْهُ فَثَبَتَ الْأَوَّلُ وَمَا زِيدَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ يُبَشِّرُ بِالشَّيْءِ ثُمَّ يُبَشِّرُ بِأَقَلَّ مِنْهُ مَعَ ارْتِفَاعِ الْأَوَّلِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ نَاسِخًا وَأَنْ يَكُونَ هَذَا فِيمَنْ قَالَهَا وَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَغْفِرُ لَهُ بِهِ ذُنُوبَهُ أَوْ يَكُونَ مَا فَعَلَهُ مِنَ الْوُضُوءِ وَغَيْرِهِ لَمْ يَنْتَقِلْ مِنْهُ بِوَجْهٍ مَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ كَذَا حَكَاهُ بن التِّين

عَنْهُ وَبَعْضُهُ يَحْتَاجُ إِلَى تَأَمُّلٍ قَوْلُهُ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ فَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ وَفِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ لَا يَقُولُهَا أَحَدُكُمْ حِينَ يُمْسِي فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ أَوْ حِينَ يُصْبِحُ فَيَأْتِي عَلَيْهِ قَدَرٌ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ قَوْلُهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَفِي رِوَايَةِ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ قَالَ بن أَبِي جَمْرَةَ جَمَعَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَدِيعِ الْمَعَانِي وَحُسْنِ الْأَلْفَاظِ مَا يَحِقُّ لَهُ أَنَّهُ يُسَمَّى سَيِّدَ الِاسْتِغْفَارِ فَفِيهِ الْإِقْرَارُ للهِ وَحْدَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالِاعْتِرَافُ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ وَالْإِقْرَارُ بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءُ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ وَالِاسْتِعَاذَةُ مِنْ شَرِّ مَا جَنَى الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِضَافَةُ النَّعْمَاءِ إِلَى مُوجِدِهَا وَإِضَافَةُ الذَّنْبِ إِلَى نَفْسِهِ وَرَغْبَتُهُ فِي الْمَغْفِرَةِ وَاعْتِرَافُهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا هُوَ وَفِي كُلِّ ذَلِكَ الْإِشَارَةُ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ فَإِنَّ تَكَالِيفَ الشَّرِيعَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ عَوْنٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَهَذَا الْقَدَرُ الَّذِي يُكَنَّى عَنْهُ بِالْحَقِيقَةِ فَلَوِ اتَّفَقَ أَنَّ الْعَبْدَ خَالَفَ حَتَّى يَجْرِيَ عَلَيْهِ مَا قُدِّرَ عَلَيْهِ وَقَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ بِبَيَانِ الْمُخَالَفَةِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا الْعُقُوبَةُ بِمُقْتَضَى الْعَدْلِ أَوِ الْعَفْوُ بِمُقْتَضَى الْفَضْلِ انْتهى مُلَخصا وَقَالَ أَيْضًا مِنْ شُرُوطِ الِاسْتِغْفَارِ صِحَّةُ النِّيَّةِ وَالتَّوَجُّهُ وَالْأَدَبُ فَلَوْ أَنَّ أَحَدًا حَصَّلَ الشُّرُوطَ وَاسْتَغْفَرَ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ الْوَارِدِ وَاسْتَغْفَرَ آخَرُ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَارِدِ لَكِنْ أَخَلَّ بِالشُّرُوطِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ فَالْجَوَابُ



أَنَّ الَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ اللَّفْظَ الْمَذْكُورَ إِنَّمَا يَكُونُ سَيِّدَ الِاسْتِغْفَارِ إِذَا جَمَعَ الشُّرُوطَ الْمَذْكُورَةَ وَاللهُ اعْلَم . اهـ

****

[بيان ما يقال في الصباح والمساء من الأدعية والأذكار]

١٥٧١ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِي، وَدُنْيَايَ، وَأَهْلِي، وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي، وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي» [(١)]. أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشرح: ***********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان فضل هذا الذكر والدعاء في الصباح، وفي المساء.

وكأن المصنف رحمه الله تعالى ساق هذا الحديث والذي قبله للدلالة وللإرشاد إلى تعلم أذكار الصباح، والمساء.

---

(١) الحديث صحيح. رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٦)، وابن ماجه (٣٨٧١)، والحاكم (١/ ٥١٧ - ٥١٨). وأخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٠٧٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٧٦٥)، وقال فيه: هذا حديث صحيح، رجاله رجال الصحيح، إلا عبادة بن مسلم الفزاري، وجبير بن أبي سليمان وكلاهما ثقة.

بيان بعض ما جاء في أذكار الصباح والمساء:

١- منها حديث ابن عمر رضي الله عنه المذكور في الباب.

٢- ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَمْسَى قَالَ: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ وَالْحَمْدُ للهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قَالَ الْحَسَنُ: فَحَدَّثَنِي الزُّبَيْدُ أَنَّهُ حَفِظَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ» [(١)].

٣- وما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢٣).

الْبَارِحَةَ، قَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ»[1].

٤- وما جاء في السنن:

من طريق أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ، عن عُثْمَانَ ابْنَ عَفَّانَ -رضي الله عنه-، يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللهَّ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ».

وَقَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ، الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: «مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللهَّ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ وَلَا كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا»[2].

٥- جاء في السنن الكبرى للإمام النسائي رحمه الله تعالى:

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٩).

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٠٨٨)، والإمام الترمذي في سننه (٣٣٨٨)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٦٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن وقال: صحيح، وفي صحيح الترمذي قال: حسن صحيح.

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَصْبَحْتُ أُثْنِي عَلَيْكَ حَمْدًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ثَلَاثًا، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»[١].

٦- جاء في السنن:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ يَقُولُ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، وَإِذَا أَمْسَى فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ»[٢].

٧- ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ

---

[٢] أخرجه الإمام النسائي في سننه الكبرى (١٠٣٣١)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٣٠٤)، وقال فيه: هذا حديث حسن.

[٣] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٠٦٨)، والإمام الترمذي في سننه (٣٣٩١)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٦٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن.

مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ» [(١)].

٨- ما جاء شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ "قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

٩- ما جاء من حديث أبي هريرة، أن أبا بكرِ الصدّيقَ قال: يا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، مُرْني بكلماتِ أقولُهن إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ، قال: "قل: اللهمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضِ، عالمَ الغيبِ والشهادةِ، ربَّ كلّ شيءٍ ومَليكَه، أشهد أن لا إله إلا أنتَ، أعوذُ بك من شرِّ نفسي، وشر الشيطان وشِرْكه" أخرجه أحمد.

١٠- ١١- ما جاء عن أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٢).

مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ " متفق عليه وهذا اللفظ لمسلم .

قوله: «لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدَعُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ».

أي أنه كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يداوم عليهما، لعظيم نفعهما،

قوله: «حِينَ يُمْسِي».

أي حين أن يأتي عليه المساء، وهو من بعد الظهر إلى الغروب.

وقيل: من بعد أذان العصر إلى غروب الشمس.

قوله: «وَحِينَ يُصْبِحُ».

أي من بعد طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ».

أي كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يسأل الله عز وجل العافية، ونحن ينبغي لنا أن نفعل ما فعله النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهذا من الأدعية المباركة، وهو من جوامع الكلم؛ لأنه يشمل العافية في كل أمور الدين، والدنيا، والآخرة.

قوله: «فِي دِينِي».

أي يسأل الله عز وجل العافية في دينه؛ فيسلم من الذنوب: من الشرك والكفر بالله عز وجل، ويسلم من البدع، والخرفات، والكبائر، وغيرها.

قوله: «وَدُنْيَايَ».

وسأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه العافية في دنياه.

حتى يسلمه من الآفات، ومن المصائب، والأحزان، والأمراض، والأسقام، وكل شيء يؤذي الإنسان في هذه الدنيا.

قوله: «وَأَهْلِي».

فيسلم من معرتهم، ومن آذاهم، وما يلحق بسببهم .

قوله: «وَمَالِي».

حتى يسلم من السرقة، والضياع، والفساد، والكسب الحرام، وكل الآفات التي تصيب المال: من الربا، وغير ذلك.

قوله: «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي».

وسأل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه أن يستر عوراته .

سواء كانت العورات الحسية: من القبل، والدبر، والآفات التي تلحق بهما.

أو العورات المعنوية: من الشرك، والبدع، والخرافات، والكبائر، وغير ذلك.

قوله: «وَآمِنْ رَوْعَاتِي».

أي أمن مخاوفي؛ فيشمل كل ما يخافه الإنسان: من أمر دينه، أو دنياه، أو آخرته.

يقول الله عز وجل: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

قوله: «وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ».

أي من أمامي.

قوله: «وَمِنْ خَلْفِي».

أي أن يأتيني عدوي من خلفي على غرة مني.

قوله: «وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي».

أي واحفظني من جهة يميني، ومن جهة شمالي.

قوله: «وَمِنْ فَوْقِي».

أي من جهة فوقي، وان يأتيني أمر لا أحتمله، ولا أطيقه، ويكون فوق قدرتي، وصبري.

ويكون الحفظ من الفوق: أي من الصواعق، والبرق، ومطر العذاب، وغير ذلك.

ويشمل جميع الأسلحة التي تأتي من الفوق: كالطائرات، والصواريخ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله عز وجل.

قوله: «وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي».

أي ويتعوذ مما قد يحصل له من ضرر وغيلة من تحته: كالألغام، وما يكون في الأرض: من لدغ الحيات، والعقارب، والثعابين، وذوات السموم الأخرى، وغيرها مما يؤذي الإنسان.

فهذا الحديث عظيم، فمن دعا الله عز وجل بهذا الدعاء العظيم، واستجاب الله عز وجل له دعائه هذا.

فإن الله عز وجل سيسلمه من جميع الآفات والمصائب والمعائب الدينية، والدنيوية؛ التي قد تصيب الإنسان، من كل الجهات المحيطة به،

وسؤال العافية من المتعينات على كل إنسان، في أمر دينه، ودنياه، وآخرته.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ -رضي الله عنه-، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «سَلِ اللهَ العَافِيَةَ»، فَمَكَثْتُ

أَيَّامًا ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّ رَسُولِ اللهِ، سَلِ اللهَ، العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[(١)].

وفي الصحيحين: من طريق سَالِمٍ أَبِي النَّضْرِ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، وَكَانَ كَاتِبًا لَهُ، قَالَ: كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَرَأْتُهُ: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا، انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ خَطِيبًا قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلاَلِ السُّيُوفِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ»"[(٢)].

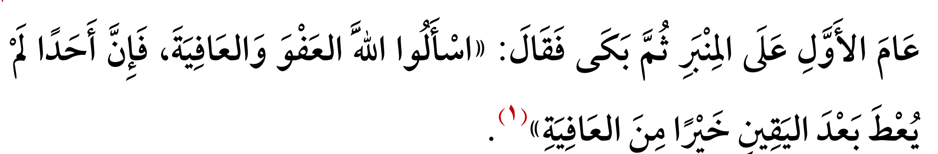
وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من طريق مُعَاذَ بْنَ رِفَاعَةَ، أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ -رضي الله عنه-، عَلَى المِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥١٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، والإمام مسلم في صحيحه (١٧٤٢).

عَامَ الأَوَّلِ عَلَى المِنْبَرِ ثُمَّ بَكَى فَقَالَ: «اسْأَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ، فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْرًا مِنَ العَافِيَةِ»[١].

والله أعلم .

****

[٢] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٥٨)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي: حسن صحيح.

[بيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم]

١٥٧٢ - (وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجْأَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ»[1]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان استحباب الدعاء بجوامع الكلم.

وقد أوتي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم جوامع الكلم في الدعاء، والخطابة، والموعظة، وجميع شأنه.

قال أبو الطيب في عون المعبود (٤/ ٤٠٥):

(وَتَحَوُّل عَافِيَتك)

: أَيْ نِعْمَة الْإِسْلَام وَالْإِيمَان وَمِنْحَة الْإِحْسَان وَالْعِرْفَان بِضَمِّ الْوَاو الْمُشَدَّدَة أَيْ اِنْتِقَالهَا مِنْ السَّمْع وَالْبَصَر وَسَائِر الْأَعْضَاء .

(مِنْ زَوَال نِعْمَتك)

فَإِنْ قُلْت : مَا الْفَرْق بَيْن الزَّوَال وَالتَّحَوُّل ؟ قُلْت : الزَّوَال يُقَال فِي شَيْء كَانَ ثَابِتًا فِي شَيْء ثُمَّ فَارَقَهُ ، وَالتَّحَوُّل تَغَيُّر الشَّيْء وَانْفِصَاله عَنْ غَيْره ،

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٣٩). وكذا وقع في «الأصلين»: «فجأة»، ووقع في مسلم: «فجاءة»، وهما لغتان، والمراد: بغتة.

فَمَعْنَى زَوَال النِّعْمَة ذَهَابهَا مِنْ غَيْر بَدَل ، وَتَحَوُّل الْعَافِيَة إِبْدَال الصِّحَّة بِالْمَرَضِ وَالْغِنَى بِالْفَقْرِ ، وَفِي بَعْض نُسَخ الْكِتَاب وَتَحْوِيل عَافِيَتك مِنْ بَاب التَّفْعِيل فَيَكُونُ مِنْ بَاب إِضَافَة الْمَصْدَر إِلَى مَفْعُوله

(وَفُجَاءَة نِقْمَتك)

بِضَمِّ الْفَاء وَالْمَدّ ، وَفِي نُسْخَةٍ بِفَتْحِ الْفَاء وَسُكُون الْجِيم بِمَعْنَى الْبَغْتَة ، وَالنِّقْمَة بِكَسْرِ النُّون وَبِفَتْحٍ مَعَ سُكُون الْقَاف وَكَفَرْحَةِ الْمُكَافَأَة بِالْعُقُوبَةِ وَالِانْتِقَام بِالْغَضَبِ وَالْعَذَاب ، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا أَشَدُّ

(وَجَمِيع سَخَطك)

: أَيْ مَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ أَوْ جَمِيع آثَار غَضَبك . اهـ

والحمد لله رب العالمين.

****

[بيان الاستعاذة من غلبة الدين]

١٥٧٣ – (وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عمرو –رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ» [1]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ).

الشرح: ******************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن الاستعاذةمن غلبة الدين وما في بابه .

وللحديث شواهد:

منها: ما جاء في صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ –رضي الله عنه–: «التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ» فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ –رضي الله عنه–مُرْدِفِي، وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ

---

[1] الحديث صحيح. رواه النسائي (٨/ ٢٦٥)، والحاكم (١/ ١٠٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف النسائي. وفي إسناده حيي بن عبد الله المعافري وفيه ضعف، والحديث صحيح بشواهده.




أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» [١].

ومنها: ما في الصحيحين:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: «كَانَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَعَوَّذُ مِنْ جَهْدِ البَلاَءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ» [٢].

قَالَ سُفْيَانُ: «الحَدِيثُ ثَلاَثٌ، زِدْتُ أَنَا وَاحِدَةً، لاَ أَدْرِي أَيَّتُهُنَّ هِيَ».

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ».

لأن الرجل إذا زاد دينه، وعجز عن قضائه: حدث فكذب، ووعد فأخلف.

ففي الصحيحين: من حديث عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، -رضي الله عنها- أَخْبَرَتْهُ: «أَنَّ رَسُولَ اللهَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا، وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ

---

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٢٨٩٣).

[١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٤٧)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٠٧).

الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ " فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ» [١].

وقد قيل: "لا هم إلا هم الدين، ولا وجع إلا وجع العين".

وقال بعضهم: "الدين هم في الليل، ومذلة في النهار".

قوله: «وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ».

وغلبة العدو: هو بمعنى قهر الرجال، وغلبة الرجال .

ففي لفظ الإمام الترمذي رحمه الله تعالى في سننه:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-قَالَ: كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ وَالبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ» [٢].

وفي سنن أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ» [١].

---

[٢] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٨٣٢)، والإمام مسلم في صحيحه (٥٨٧، ٥٨٩).

[١] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٨٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

قوله: «وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ».

فيه: الاستعاذة من شماتة الأعداء .

وقد قال الله عز وجل مخبراً عن هارون عليه السلام وهو يخاطب أخاه موسى عليه السلام: {قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

****

---

(١) أخرجه الإمام أبو داود في سننه (١٥٣٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود رحمه الله تعالى. وذكره الإمام الوادعي رحمه الله تعالى في كتابه أحاديث معلة ظاهرها الصحة برقم (٢٨٩)، وقال فيه: هذا الحديث إذا نظرت إلى سنده وجدتهم رجال الصحيح، ولكن الحافظ العلائي يذكر في "جامع التحصيل" عن الإمام يحيى بن معين أنه قال: ولا أعلم سمع من أبي بردة يعني قتادة.

[بيان أن الدعاء باسم الله عز وجل الأعظم من أسباب الاستجابة]

١٥٧٤ – (وَعَنْ بُرَيْدَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – رَجُلًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهُ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» [(١)]. أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان أن الدعاء باسم الله عز وجل الأعظم من أسباب الاستجابة.

وفي الحديث أن أسماء الله عز وجل تتفاضل مع أن كلها حسنى .

واختلف أهل العلم في بيان الاسم الأعظم على أقوالًا كثيرة:

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٢٤-٢٢٥) :

وَقَدْ أَنْكَرَهُ قَوْمٌ كَأَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَجَمَاعَةٌ بَعْدَهُمَا كَأَبِي حَاتِمِ بْنِ حِبَّانَ وَالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيِّ.

---

(١) الحديث صحيح. رواه أبو داود (١٤٩٣)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٩٤ – ٣٩٥) والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (٢٣٨٣)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٥٢).

فَقَالُوا: لَا يَجُوزُ تَفْضِيلُ بَعْضُ الْأَسْمَاءِ عَلَى بَعْضٍ.

وَنَسَبَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِمَالِكٍ؛ لِكَرَاهِيَتِهِ أَنْ تُعَادَ سُورَةٌ أَوْ تُرَدَّدُ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ؛ لِئَلَّا يُظَنَّ أَنَّ بَعْضَ الْقُرْآنِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ فَيُؤْذِنُ ذَلِكَ بِاعْتِقَادِ نُقْصَانِ الْمَفْضُولِ عَنِ الْأَفْضَلِ.

وَحَمَلُوا مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ: عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَعْظَمِ الْعَظِيمُ، وَأَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ كُلَّهَا عَظِيمَةٌ.

وَعِبَارَةُ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ: اخْتَلَفَتِ الْآثَارُ فِي تَعْيِينِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ الْأَقْوَالَ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ؛ إِذْ لَمْ يَرِدْ فِي خَبَرٍ مِنْهَا أَنَّهُ الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، وَلَا شَيْءَ أَعْظَمُ مِنْهُ.

فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى يَجُوزُ وَصْفُهُ بِكَوْنِهِ أَعْظَمَ فَيَرْجِعُ إِلَى مَعْنًى عَظِيمٍ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَقَالَ بن حِبَّانَ: الْأَعْظَمِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَخْبَارِ إِنَّمَا يُرَادُ بِهَا مَزِيدُ ثَوَابِ الدَّاعِي بِذَلِكَ، كَمَا أُطْلِقَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ وَالْمُرَادُ بِهِ مَزِيدُ ثَوَابِ القارئ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالِاسْمِ الْأَعْظَمِ كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى دَعَا الْعَبْدُ بِهِ مُسْتَغْرِقًا بِحَيْثُ لَا يَكُونُ فِي فِكْرِهِ حَالَتَئِذٍ غَيْرُ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ مَنْ تَأَتَّى لَهُ ذَلِكَ اسْتُجِيبَ لَهُ.

وَنُقِلَ مَعْنَى هَذَا عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ وَعَنِ الْجُنَيْدِ وَعَنْ غَيْرِهِمَا.

وَقَالَ آخَرُونَ: اسْتَأْثَرَ اللهُ تَعَالَى بِعِلْمِ الِاسْمِ الْأَعْظَمِ وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَثْبَتَهُ آخَرُونَ مُعَيَّنًا وَاضْطَرَبُوا فِي ذَلِكَ وَجُمْلَةُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ قَوْلًا:

الْأَوَّلُ: الِاسْمُ الْأَعْظَمُ هُوَ.

نَقَلَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكَشْفِ.

وَاحْتَجَّ لَهُ بِأَنَّ مَنْ أَرَادَ أن يعبر عَن كَلَام مُعظم بِحَضْرَتِهِ لَمْ يَقُلْ لَهُ أَنْتَ قُلْتَ كَذَا، وَإِنَّمَا يَقُولُ هُوَ يَقُولُ تَأَدُّبًا مَعَهُ.

الثَّانِي: اللهُ.

لِأَنَّهُ اسْمٌ لَمْ يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِهِ، وَلِأَنَّهُ الْأَصْلُ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى، وَمِنْ ثَمَّ أُضِيفَتْ إِلَيْهِ.

الثَّالِثُ: اللهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.

وَلَعَلَّ مُسْتَنَدَهُ مَا أخرجه بن مَاجَهْ: عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-: "أَنَّهَا سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعَلِّمَهَا الِاسْمَ الْأَعْظَمَ فَلَمْ يَفْعَلْ فَصَلَّتْ وَدَعَتْ اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللهَ وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ وَأَدْعُوكَ الرَّحِيمَ وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا مَا عَلِمْتَ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ الْحَدِيث، وَفِيهِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتَ بِهَا».

قُلْتُ: وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ وَفِي الِاسْتِدْلَالِ بِهِ نَظَرٌ لَا يَخْفَى.

الرَّابِعُ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

لِمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اسْمُ اللهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}، وَفَاتِحَةُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: {اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}»، أَخْرَجَهُ أَصْحَابُ السُّنَنِ إِلَّا النَّسَائِيَّ وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي نُسْخَةٍ صَحِيحَةٍ، وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ.

الْخَامِسُ: الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

اخْرُج بن مَاجَهْ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ -رضي الله عنه-: «الِاسْمُ الْأَعْظَمُ فِي ثَلَاثِ سُوَرٍ: الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ وَطَه»، قَالَ الْقَاسِمُ الرَّاوِي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْتَمَسْتُهُ مِنْهَا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَقَوَّاهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ وَاحْتَجَّ بِأَنَّهُمَا يَدُلَّانِ مِنْ صِفَاتِ الْعَظَمَةِ بالربوبية مَا لا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرِهِمَا كَدَلَالَتِهِمَا.

السَّادِسُ: الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْحَيُّ الْقَيُّومُ.

وَرَدَ ذَلِكَ مَجْمُوعًا فِي حَدِيثِ أَنَسٍ -رضي الله عنه- عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْحَاكِمِ وَأَصْلُهُ عِنْدَ أَبِي دَاوُد وَالنَّسَائِيّ وَصَححهُ بن حِبَّانَ.

السَّابِعُ: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ذُو الْجَلَالِ والإكرام.

أخرجه أَبُو يعلى: من طَرِيق السّري بن يحيى عَن رجل من طي وَأثْنَى عَلَيْهِ قَالَ: "كُنْتُ أَسْأَلُ اللهَّ أَنْ يُرِيَنِي الِاسْمَ الْأَعْظَمَ فَأُرِيتُهُ مَكْتُوبًا فِي الْكَوَاكِبِ فِي السَّمَاءِ.

الثَّامِنُ: ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

أَخْرَجَ لِلتِّرْمِذِي: مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ -رضي الله عنه- قَالَ: «سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ فَقَالَ قَدِ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ».

وَاحْتَجَّ لَهُ الْفَخْرُ بِأَنَّهُ يَشْمَلُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي الْإِلَهِيَّةِ.

لِأَنَّ فِي الْجَلَالَ: إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ السُّلُوبِ.

وَفِي الْإِكْرَامِ: إِشَارَةً إِلَى جَمِيعِ الْإِضَافَاتِ.

التَّاسِعُ: اللهُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.

أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيّ وبن ماجة وبن حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ: مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ -رضي الله عنه- وَهُوَ أَرْجَحُ مِنْ حَيْثُ السَّنَدُ مِنْ جَمِيعِ مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ.

الْعَاشِرُ: رَبِّ رَبِّ.

أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ: من حَدِيث أبي الدَّرْدَاء وبن عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- بِلَفْظِ: «اسْمُ اللهَّ الْأَكْبَرُ رَبِّ رَبِّ».

واخرج بن أَبِي الدُّنْيَا: عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ يَا رَبِّ يَا رَبِّ قَالَ اللهُ تَعَالَى لَبَّيْكَ عَبْدِي سَلْ تُعْطَ»، رَوَاهُ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا.

الْحَادِيَ عَشَرَ: دَعْوَةُ ذِي النُّونِ.

أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ: عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ -رضي الله عنه-رَفَعَهُ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ فِي بَطْنِ الْحُوتِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ».

الثَّانِيَ عَشَرَ: نَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ سَأَلَ اللهَ أَنْ يُعَلِّمَهُ الِاسْمَ الْأَعْظَمَ فَرَأَى فِي النَّوْمِ: «هُوَ اللهُ اللهُ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ».

الثَّالِثَ عَشَرَ: هُوَ مَخْفِيٌّ فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى.

وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ -رضي الله عنها-الْمُتَقَدِّمُ لَمَّا دَعَتْ بِبَعْضِ الْأَسْمَاءِ وَبِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَقَالَ لَهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ لَفِي الْأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا».

الرَّابِعَ عشر: كلمة التَّوْحِيد.

نَقله عِيَاض. اهـ

فالراجح من هذه الأقوال: أن الاسم الأعظم لله عز وجل هو اسم الله؛ لأنه اسم مختص بالله عز وجل، ولم يتسمَ به غيره، ولأنه تضاف إليه جميع الأسماء .

فنقول: الله الرحمن الرحيم الملك القدوس وهكذا.

ولا نقول: الرحمن الرحيم الله.

ولأنه الاسم الدال على ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وذلك بالمطابقة، والتضمن، والالتزام.

وفي حديث بريدة، وحديث أنس بن مالك، -رضي الله عنهما- .

وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لقد سأل الله عز وجل باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب».

قوله: «سَمِعَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - رَجُلًا».

لم يذكر اسم الرجل؛ فهو مبهم ولكن لا يضر ذلك؛ لأنه من الصحابة رضي الله عنهم، وكلهم عدول ثقات.

والإبهام في المتن لا يضر.

قوله: «يَقُولُ».

أي يقول هذا الدعاء في آخر صلاته.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ».

اللهم: معناه يا الله.

قوله: «بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ».

أي أقر وأعترف وأنقاد بأنك أنت الله الإله الذي يستحق أن يعبد .

قوله: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».

أي لا معبود بحق إلا الله عز وجل، وغير الله عز وجل إن عبد فعبادته باطلة.

كما قال الله عز وجل: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَّ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَّ هُوَ الْعَلِيُّ}.

قوله: «الأَحَدُ».

الأحد والواحد: كلاهما من أسماء الله عز وجل.

ومعناهما: المنفرد فيما يختص به: من ألوهية، وربوبية، وأسماء وصفات.

يقول الله عز وجل: {قُلْ هُوَ اللهُّ أَحَدٌ * اللهُّ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}.

ويقول الله عز وجل : {قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُّ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}.

قوله: «الصَّمَدُ».

ومن أسماء الله عز وجل الحسنى.

ومعناه: الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، فهم محتاجون ومفتقرون إليه .

وقيل: هو الذي لم يلد، ولم يولد، فسر .

وقيل: هو الذي لا جوف له .

وقيل: هو السيد الذي كمل في سؤدده، وكمل في أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

قوله: «الَّذِي لَمْ يَلِدْ».

لكماله، ولغناه، عن خلقه سبحانه وتعالى.

يقول الله عز وجل: {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}.

فحصول الولد للمخلوق يعتبر من الكمال في حقه؛ للمحافظة على الجنس البشري .

وأما حصول الولد في حق الخالق سبحانه وتعالى، فهو ممتنع .

فالله عز وجل هو الحي الذي لا يموت، والغني الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه، ولا يلحقه نقص بوجه من الوجوه سبحانه وتعالى.

قوله: «وَلَمۡ يُولَدۡ».

لأن الله عز وجل الخالق وما سواه مخلوق .

قوله: «وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ».

الكفء: هو الشبيه، والمثيل، والند، والسمي.

فالله عز وجل لا مثيل، ولا شبيه، ولا ند، ولا سمي له؛ لا في ألوهيته، ولا في ربوبيته، ولا في أسمائه، وصفاته.

قوله: "فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»".

أي لقد سأل الله عز وجل باسمه الأعظم كما جاء مصرحًا به .

ففي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا

أَحَدٌ»، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[1].

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسٍ-رضي الله عنه-، قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَسْجِدَ وَرَجُلٌ قَدْ صَلَّى وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ المَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَام، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللهَ؟ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[2].

والتوسل بأسماء الله عز وجل الحسنى، وصفاته العلا، من أسباب استجابة الدعاء، والله الموفق .

****

---

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٤٧٥)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٥٧)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى وقد تقدم تخريجه في أول الحديث.

[1] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٣٥٤٤)، والإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٥٨)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٠١).

[بيان ما يقال في أذكار الصباح]

١٥٧٥ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – إِذَا أَصْبَحَ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ». وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»[1]. أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان ما يقال في أذكار الصباح وفي أذكار المساء.

وقد تقدم معنا ذكر بعض الأحاديث في أحاديث سابقة.

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –».

---

[1] الحديث صحيح. رواه أبو داود (٥٠٦٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥٦٤) والترمذي (٣٣٩١)، وابن ماجه (٣٨٦٨) وعند أبي داود: «وإليك النشور» في دعاء الصباح والمساء، وأما النسائي فعنده في دعاء المساء «وإليك النشور». قال ومرة أخرى: «وإليك المصير»، وأما ابن ماجه والترمذي فروايتهما للحديث من أمره –صلى الله عليه وسلم–: «إذا أصبحتم فقولوا ..... » أو: «إذا اصبح أحدكم فليقل: .... »، وعند الترمذي في دعاء الصباح «وإليك المصير» وفي دعاء المساء: «وإليك النشور»! وأما ابن ماجه ففي دعاء المساء كما قال الحافظ، إلا أنه في دعاء الصباح ليس عنده: «وإليك النشور»، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن». والحديث يصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٤٠١)، وقال فيه: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

كان: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «إِذَا أَصْبَحَ».

أي من بعد الفجر إلى أن تطلع الشمس .

قوله: «يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا»".

أي أن صباحنا بك، أنت الذي أحييتنا في هذا الوقت، وأنت الذي سخرت لنا ما نحن فيه.

قوله: «وَبِكَ أَمْسَيْنَا».

أي أن مساءنا بك، فأنت الذي تعين، وتحفظ.

قوله: «وَبِكَ نَحْيَا».

أي أنت الذي خلقتنا وأوجدتنا من العدم بعد أن لم نكن شيئًا مذكورًا.

فحياتنا كانت بك، فأنت الذي أحييتنا، وموتنا كذلك يكون بك، فأنت الذي تميتنا بأجلك الذي قدرته علينا.

يقول الله عز وجل: {قلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.

قوله: «وَبِكَ نَمُوتُ».

أي بأجلك الذي قدرته لنا للموت.

قوله: «وَإِلَيْكَ النُّشُورُ».

أي وإليك بعثنا ونشورنا من قبورنا يوم القيامة.

يقول الله عز وجل: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.

ويقول الله عز وجل: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.

ويقول الله عز وجل: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.

قوله: "وَإِذَا أَمْسَى قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»".

وكثيرًا من أذكار الصباح والمساء تجتمع، ويقع الخلاف في بعضها.

وقال بعض أهل العلم: فيها دقيقة.

وهي لما كان الليل محل إيواء، ونوم، ورجوع، وتقع فيه الوفاة الصغرى، جاء النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقوله: { وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }.

والمصير والنشور بمعنى واحد: وهو أن المرجع والمآل يوم القيامة إلى الله عز وجل، فيجازي كل عامل بعمله سبحانه وتعالى.

ولهذا ينبغي على كل مؤمن، وعاقل، وبالأخص طالب العلم أن لا يترك أذكار الصباح، والمساء، والنوم، والاستيقاظ، والدخول، والخروج: من البيت، والمسجد، والحمام، وكل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الأذكار.

وكذلك الأذكار التي تقال عقب الصلوات المكتوبة؛ لما فيها من الأجور العظيمة، ولما فيها من الخير، والبركة، والدفع والحفظ للإنسان من الشرور، والبليات: من ذوات السموم، وشياطين الإنس، والجن، ثم إن فيها التأسي بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

بيان معنى قول الله عز وجل: (الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات) :

قال بعض أهل العلم: أن من حافظ على الأذكار الثابتة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: في الصباح، المساء، وأدبار الصلوات المكتوبة، والنوم، وعند الاستيقاظ، وعند الدخول والخروج: من المسجد، والبيت، والحمام، وغيرها من الأذكار، أنه يعتبر من الذاكرين الله عز وجل كثيرًا ومن الذاكرات.

فإذا عجزنا عن ذكر الله عز وجل وشكره في كل وقت، كما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يذكر الله عز وجل على كل أحيانه، فلا أقل من أن نذكر الله عز وجل في الأوقات التي شرعت لنا.

يقول الله عز وجل: {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ}.

ولقد رأينا بركة الدعاء، وما أصابنا ما أصابنا، ووقع بنا ما وقع من النقص العلمي والعملي، أو المالي، أو الديني، إلا حين فرطنا في الدعاء .

حيث يقسو القلب، وتزداد الهموم والغموم، وتقل البركات؛ لأن المرء إذا ذكر الله عز وجل ذكره الله عز وجل، وإذا ذكره الله عز وجل: أعانه، وغفر له، ووفقه لكل خير، ووقاه من كل شر وضير، وكان منصورًا على أعدائه، وكان محفوظًا من كل من يريد أن يوقع به الشر، وكان معانًا على كل أمر يريده من أمور: الدين، أو الدنيا، أو الآخرة.

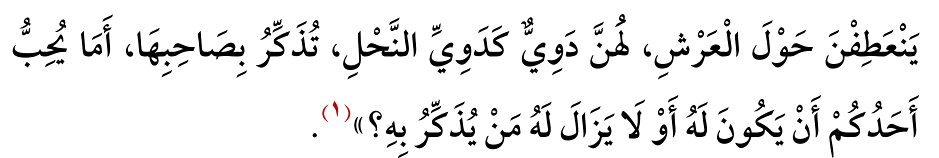
فمن ذكر الله عز وجل في نفسه ذكره الله عز وجل في نفسه، ومن جمع بين ذكر الله عز وجل في نفسه، وعند الملإ؛ كان ذكر الله عز وجل له في نفسه، وعند ملائكته.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[(١)].

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللهِ التَّسْبِيحَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّحْمِيدَ

[(١)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٧٤٠٥)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٧٥).

يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لَا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ؟»[1].

****

[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٠٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه.

[بيان جوامع الدعاء]

١٥٧٦ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[1]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ************************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى الحديث لبيان عظم وبركة هذا الدعاء؛ لأنه اشتمل على خيري الدنيا والآخرة.

ففي الصحيحين: من حديث أَنَسٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ الله لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ " قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ»[2].

قوله: «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم».

---

(١) رواه البخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠) وفي رواية لمسلم «اللهم» بدل: «ربنا» والباقي مثله.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٨).





وهذا معناه: أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان له أدعية غير هذا الدعاء، ولكن كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكثر ما يلازم هذا الدعاء؛ لما اشتمل عليه من خيري: الدنيا، والآخرة.

قوله: «رَبَّنَا».

أي يا ربنا، وأغلب أدعية القرآن أكثرها بهذا الاسم العظيم، وهو الرب.

ومما استنكر في حديث سرد الأسماء الحسنى في سنن الإمام الترمذي، الذي جاء من طريق الوليد بن مسلم، أن هذا الاسم مذكورًا فيه.

قوله: «آتِنَا».

أي اعطنا.

قوله: «فِي الدُّنْيَا».

أي في الحياة الدنيا .

قوله: «حَسَنَةً».

قيل: التوحيد.

وقيل: العلم.

وقيل: العمل بالعلم.

والدعاء بقولنا: ربنا آتنا في الدنيا حسنة، يشمل كل خير في الدنيا، والدين.

قوله: «وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً».

قيل: الجنة.

وقيل: النظر إلى وجه الله عز وجل.

وقيل: رضوان الله عز وجل.

وهذا الدعاء أيضًا يشمل كل خير في الآخرة: من دخول الجنة، ومن رضوان الله، والنظر إلى وجهه الكريم.

قوله: «وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ».

فإذا صرف الله عز وجل عن العبد عذاب النار، وسخطه، وعقابه، فقد وقاه شر الدنيا، وشر الآخرة.

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ»[(١)].

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

---

(١) أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٥٧٢)، والنسائي في سننه (٥٥٢١)، وابن ماجه في سننه (٤٣٤٠)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح السنن. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٢٣).

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[1].

ويقول الله عز وجل : {وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}.

فالنار أعظم مصيبة على أهلها الخالدين فيها: فهم لا يهنؤون فيها بشراب، ولا بطعام، ولا بنوم، ولا لباس، كما قال الله عز وجل : {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ}.

وزادهم على ذلك أن الله عز وجل يقول لهم: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ}.

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٥٨٨).

ويقول الله عز وجل : {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}.

ويقول الله عز وجل : {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا}.

نسأل الله السلامة والعافية من عذاب النار، ومن عذاب القبر، ومن سخط الله عز وجل، وعقابه، وعذابه.

****

[بيان بعض أدعية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي فيها جوامع الكلم]

١٥٧٧ – (وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي، وَهَزْلِي، وَخَطَئِي، وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَالْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[(١)]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

الشرح: ********************************

ساق المصنف رحمه الله تعالى هذا الحديث لبيان بركة هذا الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو به.

قوله: «أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ – رضي الله عنه –».

هو عبد الله بن عيس الأشعري اليماني، وقد تقدم معا بيان ذلك.

قوله: «كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يَدْعُو».

تفيد اللزوم والاستمرار.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٩٨)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٨١٩).

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي».

أي أغفر لي وتجاوز عن ذنوبي.

وطلب المغفرة: هو ستر ما مضى، والتوفيق لما سيأتي.

يقول الله عز وجل : {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}.

وفي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه-، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ»[(١)].

قوله: «وَجَهْلِي».

يشمل كل ما فعله الإنسان عن جهل.

وقد يراد بالجهل أمرين:

الأول: ما كان من غير علم بالحكم الشرعي.

الثاني: وقد يراد بالجهل ما كان فيه الخروج عن الطبيعة من الغضب وغير ذلك.

والنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعيد عن هذه الأمور .

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٥٧٧).

يقول الله عز وجل : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}.

قوله: «وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي».

وهذا يشمل الإسراف في كل شيء.

والإسراف: هو مجاوزة الحد الشرعي الذي أباحه الله عز وجل إلى غيره مما حرمه الله عز وجل.

وقد يكون الإسراف في الكلام، وإضاعة الوقت؛ إذا حصل التجاوز من العبد للحد الشرعي .

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ، آتَاهُ اللهُ مَالًا وَوَلَدًا - يَعْنِي أَعْطَاهُ - قَالَ: فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا - فَسَّرَهَا قَتَادَةُ: لَمْ يَدَّخِرْ - وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْهَكُونِي - ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ - وَرَبِّي - فَفَعَلُوا، فَقَالَ اللهُ: كُنْ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ، ثُمَّ

قَالَ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللهُ"، فَحَدَّثْتُ أَبَا عُثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ سَلْمَانَ، غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ: «فَأَذْرُونِي فِي البَحْرِ»[1].

قوله: «وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي».

وهذا الدعاء هام جدًا؛ فإن العبد لا يقتصر بالتوبة والاستغفار على ما يعلمه من الذنوب، والخطايا، والآثام.

فقد يكون عنده من الذنوب، والخطايا، والآثام، ما الله عز وجل به عليم، وهو لا يعلم بذلك.

وقد يقع العبد في الذنوب، والمعاصي، وهو لا يعلم .

ولهذا جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها- عَمَّا كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بِهِ الله، قَالَتْ: كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ»[2].

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي».

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٨١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٧٥٧).

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧١٦).

فأعاد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم طلب المغفرة من الله عز وجل؛ لأن الله عز وجل يحب الإلحاح في الدعاء، ويحب من عبده التضرع بين يديه.

والجد: هو ما يفعله الإنسان عن عمد، وقصد .

قوله: «وَهَزْلِي».

الهزل: ما يفعله في المزاح، ونحو ذلك.

قوله: «وَخَطَئِي».

أي وما فعلته عن خطأ مني.

قوله: «وَعَمْدِي».

أي وما فعله الإنسان عن تعمد وقصد، وهو بمعنى الجد.

قوله: «وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي».

فعم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعد ما خص بعض الأدعية، وهذا يفيد أن التكرار في الدعاء، مرغباً فيه سواء كان بلفظه أو معناه .

قوله: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ».

أي اغفر لي ما قدمت من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام فيما مضى من عمري.

قوله: «وَمَا أَخَّرْتُ».

أي واغفر لي ما أخرت من الذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام، فيما بقي لي من عمري.

قوله: «وَمَا أَسْرَرْتُ».

أي وما أسررت من الذنوب في خلوتي، ونفسي.

قوله: «وَمَا أَعْلَنْتُ».

أي في جلوتي .

قوله: «وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي».

كرر الدعاء بهذا حتى يفيدنا الإلحاح، وأن العبد ينبغي له أن يكرر مثل هذا الدعاء، الذي فيه التفويض لله عز وجل فيما يعلمه من ذنوب العبد، ومعاصيه؛ لأن العبد قد يذنب ويكثر من الذنوب وينسى ذلك.

قوله: «أَنْتَ الْمُقَدِّمُ».

يتوسل إلى الله عز وجل باسمه المقدم؛ فالله عز وجل يقدم من شاء من عباده: بالأعمال الصالحة، والتوفيق لها، والعلم، والجاه، والمنصب، والمال، وفق حكمته البالغة.

قوله: «وَالْمُؤَخِّرُ».

ويتوسل إلى الله عز وجل باسمه المؤخر .

إذ أنه يؤخر من يشاء من عباده بمعصيته.

فطاعة الله عز وجل والحرص عليها، والمسابقة إليها، والمسارعة، والمبادرة سبب من أسباب تقديم الله عز وجل للعبد في الدين، والدنيا، والآخرة.

ومعصية الله عز وجل، والذنوب، من أسباب تأخير الله عز وجل لعبده في الدين، والدنيا، والآخرة.

يقول الله عز وجل: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ}.

فالتقدم من العبد: يكون بطاعة الله عز وجل: بفعل أوامره، واجتناب نواهيه .

والتأخر: يكون بمعصية الله عز وجل، والتساهل في ذلك .

قوله: «وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

وذلك لكمال علمه وقدرته، يقول الله عز وجل : {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا}.

****

١٥٧٨ – (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[١]. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ).

الشرح:********************************

والحديث أخرجه البزار رحمه الله تعالى:

من حديث الزُّبَيْرِ –رضي الله عنه–، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَفِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَصِيرِي وَفِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا بَلَاغِي، وَاجْعَلْ حَيَاتِي زِيَادَةً فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[٢].

قال الصنعاني في سبل السلام (٢/ ٧١٦): تَضَمَّنَ الدُّعَاءُ بِخَيْرِ الدَّارَيْنِ وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الدُّعَاءِ بِالْمَوْتِ بَلْ إنَّمَا دَلَّ عَلَى سُؤَالِ أَنْ يَجْعَلَ

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٨٢٠).

[٢] أخرجه الإمام البزار في مسنده (٩٨٦)، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٣٣٨).

الْمَوْتَ فِي قَضَائِهِ عَلَيْهِ وَنُزُولِهِ بِهِ رَاحَةً مِنْ شُرُورِ الدُّنْيَا وَمِنْ شُرُورِ الْقَبْرِ لِعُمُومِ كُلِّ شَرٍّ أَيْ مِنْ كُلِّ شَرٍّ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ. اهـ

قوله: «وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي».

أي وأصلح آخرتي التي إليها معادي يوم القيامة .

يقول الله عز وجل: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}.

ولا تصلح الدنيا، والآخرة؛ بمثل تقوى الله عز وجل.

يقول الله عز وجل: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا}.

قوله: «وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ».

لأن المؤمن لا يزيده عمره إلا خيرًا، فكل يوم له في أجور عظيمة، وحسنات كثيرة، وحتى يأتيه الأجل.

وقد نهى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن يدعو المرء على نفسه بالموت.

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-، عَنْ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلَّا خَيْرًا»[1].

وفي سنن الإمام الترمذي رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ -رضي الله عنه-، أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»[2].

قوله: «وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ».

كما جاء في الصحيحين:

من حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي»[3]، والله أعلم.

****

---

[1] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٢).

[2] أخرجه الإمام الترمذي في سننه (٢٣٢٩)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي.

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٣٥١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٨٠).

١٥٧٩ - (وَعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي»[١]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ).

١٥٨٠ - (وَلِلتِّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»[٢]. وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ).

الشرح: *******************************

قوله: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -».

كان: تفيد اللزوم والاستمرار.

قوله: «يَقُولُ: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي»".

أي اجعل علمي ينفعني من حيث العمل به.

وهذا كقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "اللهم إني أسألك علمًا نافعًا".

---

[١] الحديث إسناده حسن. رواه الحاكم (١/ ٥١٠) ويشهد له ما بعده، وأما عزوه للنسائي فلا أظنه إلا من أوهام الحافظ -رحمه الله- إذ لم أجده لا في «المجتبى» ولا في «الكبرى» ولم أر أحدا عزاه للنسائي غير الحافظ، والله أعلم.

[٢] الحديث حسن دون هذه الزيادة؛ إذ في سندها ضعيف، ومجهول. ورواه الترمذي (٣٥٩٩) وغيره. وقال: «هذا حديث حسن غريب». وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي: صحيح دون قوله والحمد لله.

ففي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من حديث أُمِّ سَلَمَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا»[(١)].

ففي صحيح الإمام مسلم رحمه الله تعالى:

من حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ -رضي الله عنه-، قَالَ: "لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ، الْقَبْرِ اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»[(٢)].

فالعلم النافع: هو العلم الذي يورث لصاحبه العمل: بالكتاب، وبالسنة النبوية.

---

(١) أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٩٢٥)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٧٢٢).

والعلم الذي لا ينفع: هو العلم الذي لا يعمل به أو المأخوذ من غير الكتاب والسنة على فهم السلف رضوان الله عليهم .

بيان العلم الذي لا ينفع صاحبه لا في الدنيا، ولا في الآخرة:

قوله: «وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي».

لأن من العلم ما لا ينفع .

فمن العلوم التي لا تنفع صاحبها، بل تضره، وربما أوصلته إلى الكفر والردة عن دينه: كعلم السحر، وعلم الشعوذة، وعلم الكهانة، والكلام، وغير ذلك من العلوم التي تتسبب لصاحبها الضرر العظيم في دينه.

بيان العلم النافع لصاحبه:

وهنالك علوم تنفع صاحبها في الدنيا، والآخرة:

وعلى رأسها علم التوحيد، وعلم ما يضاد التوحيد وينقصه: من الشرك، والبدع، والخرافات، والكبائر؛ حتى يحذرها.

وعلم الكتاب، والسنة النبوية الثابتة عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هو أصل العلوم، وهو النافع لصاحبه في الدنيا، والآخرة.

بيان العلم الذي ينفع صاحبه في الدنيا:

كعلم الطب، والهندسة، والحساب، وغير ذلك من العلوم التي قد ينال بها العبد في الدنيا المنفعة، وهي في أصلها ليست مخالفة للكتاب، والسنة.

وربما انتفع بها في الآخرة؛ إذا احتسب فيها الأجر، وقصد منفعة الإسلام والمسلمين .

قوله: «وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي» .

فيه: أن العلم النافع رزقًا من الله عز وجل يعطيه من شاء .

يقول الله عز وجل : {وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا}.

وقد أحسن من قال:

قيمة الإنسان ما يحسنه ... أكثر الإنسان منه أو أقل

قوله: «وَلِلتِّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوُهُ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «وَزِدْنِي عِلْمًا، وَالْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ». وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ ».

بل الحديث ضعيف جدًا؛ في إسناده موسى بن عبيدة الربذي شديد الضعف، وشيخه محمد بن ثابت مجهول.

قوله: «وزدني علما».

على ما تقدم .

قوله: «الحمد لله على كل حال».

إذ أن الله عز وجل يحمد على عدله وفضله، فالإنسان المؤمن يحمد الله عز وجل على كل حال من أحواله.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنهما-، أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي كَفَانِي وَآوَانِي، وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي، وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ، أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ»[1].

وفي سنن الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى:

من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»[2].

وحين يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، يحمد ربنا عز وجل .

---

[1] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٥٠٥٨)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف الترمذي: صحيح الإسناد.

[2] أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه (٣٨٠٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه.

كما قال عز وجل : {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

قوله: «وأعوذ بك من حال أهل النار».

فهو بئس الأحوال، عذاب مستمر ولا ينقطع، وكلما مر عليهم وقتًا زادهم الله عز وجل عذابًا إلى عذابهم.

كما قال الله عز وجل : {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا}، وكما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ} [النساء: ٥٦] .

****

١٥٨١ – (وَعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- أَنَّ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا»[(١)]. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ).

الشرح: ************************************

هذا الحديث عظيم، وهو من جوامع أدعية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ».

إذ أنه دعاء عام يشمل كل خير: في أمور الدين، والدنيا والآخرة.

وسواء كان الخير في الأمور الحسية، أو المعنوية.

---

(١) الحديث إسناده صحيح. أخرجه الإمام ابن ماجه (٣٨٤٦)، وابن حبان (٨٦٩)، والحاكم (١/ ٥١٢ – ٥٢٢) وفي سند ابن حبان سقط. وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف ابن ماجه.





فالخير كله بيد الله عز وجل؛ لأنه هو صاحب الفضل، والكرم، والعطاء، والإحسان.

فالخير كله بيد الله عز وجل يعطيه من شاء، ويوفق له من شاء من عباده، سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين، وخير الرازقين، وأرحم الراحمين.

زد على ذلك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم علم عائشة رضي الله عنها أن تقول: "ما علمت منه، وما لم أعلم".

فالخير قد يعلمه بعض الناس، وبعضه قد لا يعلم، ولكن الله عز وجل بكل شيء عليم .

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ».

وهذا أيضًا يشمل كل الشرور والآثام الحسية، و المعنوية.

سواء كانت في أمور الدين، أو الدنيا، أو الآخرة، فينبغي للمؤمن أن يستعيذ بالله عز وجل من جميع الشرور .

ويدخل فيه أيضًا الاستعاذة من الأمراض، والأسقام، والابتلاءات، الحسية، والمعنوية.

سواء ما كان منها بالشبهات، أو بالشهوات.





قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ».

وهذا تمام لما تقدم.

وفيه: دليل على أن الإنسان إذا عجز عن الدعاء بما ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فيشرع له أن يدعو بما دعاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الإجمال.

ويشرع له أن يدعو بما دعا به الصالحون من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، وأتباع التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فإن في دعائهم الخير، والبركة، لما فيه من البعد عن البدع والمحدثات .

وفيه: دليل على أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عبد لا يعبد، ونبي لا يكذب.

ففيه: رد على الغلاة في نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الصوفية، ومن نحا نحوهم.

وفيه: رد على الجفاة في نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من اليهود، والنصارى، وسائر الكفار والمشركين والملحدين والمجوس وغيرهم.

الذي كفروا بنبوة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولم يسلموا، أو ينقادوا لهذا الدين العظيم.

قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ».

فيه: تكرار للسؤال من الله عز وجل، وفيه الإلحاح على الله عز وجل بالدعاء.

فالجنة هي المقصد الذي يريده كل عبد صالح مؤمن بالله عز وجل، وبرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قوله: «وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ».

أي وأسألك ما قرب إلى الجنة من الأعمال الصالحة، سواء كانت بالقلب، أو اللسان، أو الجوارح.

فالعبادات المتعلقة باللسان: كالذكر، والدعاء، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم الشرعي، والموعظة، والتذكير، والنصح، والإرشاد، وغير ذلك من العبادات القولية.

والعبادات المتعلقة بالجوارح: كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد في سبيل الله عز وجل، والزكاة، والصدقة، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وبذل المعروف لكل مسلم، وغير ذلك من الأعمال المتعلقة بالجوارح.

والعبادات المتعلقة بالقلب: كالإخلاص، والرجاء، والخوف، والتوكل، والخشية، والرهبة، والخضوع، والاستكانة، والتذلل، والحب، والرغبة، وغير ذلك من العبادات القلبية.

قوله: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ».

فيه: الاستعاذة من النار، ومن عذاب جهنم، لشدته، قال الله عز وجل: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا} [الفرقان: ٦٥] .

قوله: «وَمَا قَرَّبَ مِنْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ».

أي واستعيذ بك من الأعمال السيئة، والذنوب، والمعاصي، والخطايا، والآثام التي تقرب من النار وتكون سببا في دخولها .

وعلى رأسها الشرك، والكفر بالله عز وجل، والردة عن دين الإسلام؛ فإن هذه الأعمال تخلد صاحبها في نار جهنم .

قوله: «وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا».

إذ أنه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، سبحانه وتعالى.

يقول الله عز وجل : {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}.

ويقول الله عز وجل : {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}.

مسألة: هل يرد الدعاء القضاء؟

قال الطيبي في شرح المشكاة (٥/ ١٧٠٩):

القضاء الأمر المقدر، في تأويل الحديث وجهان: أحدهما أن يراد بالقضاء ما يخافه العبد من نزول المكروه، ويتوقاه، فإذا وفق للدعاء دفع الله عنه، فتكون تسميته بالقضاء علي المجاز، ويزيد توضيحه ما سئل صلى الله عليه وسلم ((أرأيت رقى نسترقيها- إلي قوله: قال ((هي من قدر الله)) فقد أمر الله تعالي بالدعاء والتداوي، مع علم الخلق بأن المقدور كائن؛ لأن حقيقة المقدور وجودا أو عدما مخفية عنهم، وثإنيهما: أن يراد به الحقيقة، فيكون معنى رد الدعاء القضاء، تهوينه وتيسير الأمر فيه حتى يكون القضاء النازل كأنه لم ينزل به، ويؤيده الحديث التالي: ((إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل)) أما نفعه مما نزل عليه، فصبره عليه، وتحمله له، رضاه به، حتى لا يكون في نزوله متمنيًا خلاف ما كان، وأما نفعه مما لم ينزل، فهو أن يصرفه عنه، أو يمده قبل النزول بتأييد من عنده، حتى تخف معه أعباء ذلك إذا نزل به.





قال أبو حامد الغزالي رحمه الله: فإن قيل: فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مرد له؟ فاعلم أن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لرد البلاء، ووجود الرحمة، كما أن الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان، كذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح، وقد قال تعالى: {وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم}. فقدر الله تعالى الأمر وقدر سببه، وفي الدعاء من الفوائد ما ذكرنا من حضور القلب، والافتقار، وهما نهاية العبادة والمعرفة. انتهى

****

[كفارة المجلس]

١٥٨٢ – (وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» [(١)]).

الشرح: ***********************************

ختم المصنف رحمه الله تعالى الكتاب الجليل بهذا الحديث العظيم، كما ختم الإمام البخاري رحمه الله تعالى كتابه الصحيح الجامع بهذا الحديث.

وقد جاء في معناه حديث عائشة، وأبي برزة الأسلمي وأبي هريرة رضي الله عنهم، في بيان كفارة المجلس وفي بعضها كلام لأهل العلم رحمهم الله تعالى.

ففي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ –رضي الله عنهما–، أَنَّهُ قَالَ: «كَلِمَاتٌ لَا يَتَكَلَّمُ بِهِنَّ أَحَدٌ فِي مَجْلِسِهِ عِنْدَ قِيَامِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا كُفِّرَ بِهِنَّ عَنْهُ، وَلَا يَقُولُهُنَّ فِي مَجْلِسِ خَيْرٍ وَمَجْلِسِ ذِكْرٍ إِلَّا خُتِمَ لَهُ بِهِنَّ عَلَيْهِ كَمَا يُخْتَمُ

[(١)] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٦٤٠٦)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٦٩٤).

بِالْخَاتَمِ عَلَى الصَّحِيفَةِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » [(١)].

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مثله، وهو حديث صحيح.

وفي سنن الإمام أبي داود رحمه الله تعالى:

من حديث أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ -رضي الله عنه-، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى، فَقَالَ: «كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ» [(٢)].

وفي سنن الإمام النسائي رحمه الله تعالى:

من حديث عَائِشَةَ -رضي الله عنها-، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا جَلَسَ مَجْلِسًا أَوْ صَلَّى تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، فَسَأَلَتْهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكَلِمَاتِ،

[(١)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٥٧)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود: صحيح دون قوله: "ثلاث مرات".

[(٢)] أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٨٥٩)، وقال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف أبي داود: حسن صحيح.

فَقَالَ: «إِنْ تَكَلَّمَ بِخَيْرٍ كَانَ طَابِعًا عَلَيْهِنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ تَكَلَّمَ بِغَيْرِ ذَلِكَ كَانَ كَفَّارَةً لَهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[(١)].

وخرج طرق هذه الأحاديث مع ذكر شواهدها الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في آخر تفسير سورة الصافات.

وهكذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في آخر شرح على صحيح البخاري .

والأحاديث المتقدمة تدل على مشروعية المجيء بكفارة المجلس.

قوله: «كَلِمَتَانِ».

أي جملتان؛ لأن الكلمة تأتي بمعنى الجملة المفيدة.

يقول الله عز وجل : {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}.

ويقال أفضل كلمة هي: لا إله إلا الله؛ لأنها كلمة التوحيد لله عز وجل.

ويقال: أصدق كلمة قالها شاعر:

---

(١) أخرجه الإمام النسائي في سننه (١٣٤٤)، وصححه الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح وضعيف النسائي، وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (١٥٩٨)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

ألا كل شيء ما خلق الله باطل.

ففي الصحيحين: من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ، كَلِمَةُ لَبِيدٍ:

أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلٌ ...

وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ» [1].

قوله: «حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ».

فيه: إثبات صفة المحبة لله عز وجل، وهي من الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله عز وجل.

فنثبت ذلك على ما يليق به سبحانه وتعالى من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تحريف.

يقول الله عز وجل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

فالله يُحَبُّ من عباده المؤمنين، ويُحِبُّ عباده المؤمنين، وعلى رأسهم الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قوله: «خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ».

أي عند النطق بهما في اللسان .

قوله: «ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ».

---

[1] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه (٣٨٤١)، والإمام مسلم في صحيحه (٢٢٥٦).

أي عند وزن صحائف الأعمال يوم القيامة تكون في الميزان ثقيلة.

وبهذا الحديث وغيره من الأدلة احتج أهل العلم على وزن الأعمال يوم القيامة.

وقد تقدم أن الميزان حقيقي توزن به الأعمال، ويوزن به العامل، وتوزن به صحائف الأعمال .

وله كفتان، كما في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في قصة البطاقة .

قوله: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ».

أي تنزيه لله عز وجل عن كل نقص، و عيب، وما لا يليق به سبحانه وتعالى.

وبحمده: لكماله المقدس من كل وجه .

العظيم: الذي بلغ في العظمة منتهاها، فهو سبحانه وتعالى لا أعظم منه، ولا أكبر منه، ولا أجل منه، ولا أحد يوصف بصفاته سبحانه وتعالى.

قال تعالى: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}.

وفي قوله تعالى : {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}.

وفي قوله تعالى : {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}.

ويقول الله عز وجل : {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}.

ويقول الله عز وجل : {فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}.

ويقول الله عز وجل : {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.

ويقول الله عز وجل : {يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.

ويقول الله عز وجل : {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}.

وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى: من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو –رضي الله عنهما–، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ مَزْرُورَةٌ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ: أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعٍ ابْنِ رَاعٍ قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ: " أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ " ثُمَّ قَالَ: " إِنَّ نَبِيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي





قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فِي كِفَّةٍ، رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ " قَالَ: قُلْتُ أَوْ قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ قَالَ: " لَا " قَالَ: هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: الْكِبْرُ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: " لَا " قَالَ: أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: " لَا " قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: " سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ»[1].

وفي مسلم: من حديث أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٦٥٨٣)، وهو في الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله تعالى برقم (١٣٤)، وقال فيه: وهذا سند صحيح. وهو في الصحيح المسند للإمام الوادعي رحمه الله تعالى برقم (٨٠١)، وقال فيه: هذا حديث صحيح.

وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[(١)].

فسبحان الله: كلمة للتنزيه وبحمده: كلمة للإثبات، فيجمع في وصف الله عز وجل بين النفي، والإثبات، تنفى عن الله عز وجل كل العيوب والنقائص، وتثبت له كمال.

قال ابن الملقن في التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/ ٥٩١):

وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - سلف في الأدعية وهو دال على أن تسبيح الله وتقديسه من أفضل النوافل وأعظم الذخائر عنده تعالى، ألا ترى قوله: "حبيبتانِ إلى الرَّحمن" ووجهه أن التسبيح لما كان معناه: التنزيه والإبعاد عما ينسب إليه مما لا ينبغي من صاحبة وولد وشريك كان حبيبًا إليه.

وثبت في "صحيح مسلم"، "ومسند أحمد"، و"الأدب" للبخاري، والنسائي في "اليوم والليلة" والترمذي وقال: حسن صحيح عن أبي ذر رضا الله عنه قلت: يا رسول الله، أي الكلام أحب إلى الله تعالى؟ قال: "ما اصطفاه الله لملائكته، سبحان الله وبحمده. ثلاثًا نقولها".

ولفظ النسائي في "اليوم والليلة": "سبحان الله وبحمده".

---

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (٢٢٣).

وروينا في "مسند أحمد" عن ابن مهدي، حدثنا إسرائيل، عن أبي سنان، عن أبي صالح الحنفي، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله اصطفى من الكلام أربعًا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كتب الله له عشرين حسنة أو حط عنه عشرين سيئة، ومن قال: الله أكبر فمثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله فمثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتب الله له ثلاثين حسنة أو حط عنه ثلاثين سيئة".

ورواه النسائي في "اليوم والليلة" عن عمرو بن عليّ، عن ابن مهدي . وقد أسلفنا فيما مضى عن وهب بن منبه أنه قال: ما من عبد يقول: سبحان الله وبحمده إلا قال له الرب -جل جلاله-: صدق عبدي سبحاني وبحمدي، فإن سأل أعطي ما سأل، وإن سكت غفر له ما لا يحصى.

قلت: وهي إحدى الباقيات الصالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، على قول ابن عباس - رضي الله عنهما - وجماعة ، فإن زاد: عدد خلقه، وزنة عرشه ورضا نفسه ومداد كلماته كان عظيمًا كما شهد له به - عليه السلام -، وقد أسلفنا هناك أيضًا أنه روي عن صفية قالت: مر بي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا أسبح بأربعة آلاف نواة، فقال: "لقد قلتُ كلمة هي أفضل من تسبيحك".



قلتُ: وما قلتَ؟ قال: "قلتُ: سبحان الله عدد ما خلق" .

وروينا في "صحيح مسلم" من حديث جويرية أم المؤمنين - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: "ما زلتِ على الحال التي فارقتكِ" قالت: نعم. فقال - عليه السلام -: "لقد قلتُ بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وُزِنتْ بما قُلْتِ منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته".

وأخرجه ابن حبان في "صحيحه" من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه - عليه السلام - خرج إلى صلاة الصبح، وجويرية جالسة في المسجد فذكره، ولم يقل ثلاث مرات، وزاد: "العظيم". ثم قال: جويرية هي بنت الحارث بن عبد المطلب، عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . قلت: وفي أبي داود أنه كان اسمها برة فَحَوَّل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اسمها .

وهذا منه دال على أن جويرية هي بنت الحارث أم المؤمنين كما سلف، فإنها التي كان اسمها برة، وحُوِّل إلى جويرية، ولم يذكر ابن الأثير الأولى وذكر ثلاثة غيرها: أم المؤمنين، و (بنت) المجلل زوج الحاطب بن الحارث، وبنت أبي جهل التي خطبها عليّ - رضي الله عنهم -.

أنبأني غير واحد عن الدمياطي الحافظ في آخر كتابه "الباقيات الصالحات" ذكر عن نصر بن على قال: حدثني أبي قال: رأيت الخليل بن أحمد في النوم فقال لي: (أرأيت) ما كنا فيه من النحو واللغة، فإن ربك لا يعبأ به شيئًا، ما رأيت أنفع من سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وقد صح أن الحمد تملأ الميزان، وأن سبحان الله، والحمد لله تملآن بين السماء والأرض، روينا في "صحيح مسلم" من أفراده من حديث أبي مالك الأشعري، واسمه كعب بن عاصم أو الحارث بن مالك قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها".

وأخرجه الترمذي وفي رواية له: "التسبيح نصف الميزان، والحمد لله تملؤه، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض، والصوم نصف الصبر". وفي رواية أخرى: "ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص لله".

قد شاركت هاتان الخصلتان كلمة التوحيد، وهي أعظم وأجل وأشرف، روينا في كتاب"الدعوات" للمستغفري من حديث أبي هريرة - رضي الله



عنه - مرفوعًا: "لقنوا موتاكم: لا إله إلا (الله) فإنها خفيفة في اللسان ثقيلة في الميزان، ولو جعلت لا إله إلا الله في كفة، وجعلت السماوات والأرض وما فيهن في كفة، لرجحت بهن لا إله إلا الله ". انتهى

قال ابن رجب في الفتح (٣/ ٣٤٥): وقد كان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يختم مجالسه بكفارة المجلس، وأمر أن تختم المجالس به، وأخبر أنه إن كان المجلس لغوا كانت كفارة له، وروي ذلك عن جماعة من الصحابة، فإذا وقع اللغو في المساجد ثم ختم المجلس بكفارته، فهو شبيه بالبصاق في المسجد ودفنها بعده . اهـ

وسبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وكان الانتهاء من التعليق على هذا الكتاب في للسادس والعشرين من شهر شعبان لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية الشريفة في مسجد الصحابة مدينة الغيضة

فنسأل الله عز وجل القبول والسداد، والحمد لله رب العالمين[1]

****

[1] وكانت الانتهاء من المراجعة المفرغة في ليلة الجمعة ١/ صفر/ ١٤٤٢ هـ

[الإجازة لمن حضر مجالس درس بلوغ المرام]

قال أبو محمد عبد الحميد بن يحيى بن زيد الحجوري الزُّعكري:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

فقد أجزت كل من حضر هذا المجلس، أو تابع هذا الدرس في مروياتي عن الحافظ ابن حجر شهاب الدين: "أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد ابن حجر بن أحمد العسقلاني".

وكانت حياته: بين سنة ثلاثة وسبعين وسبعمائة وسنة اثنين وخمسين وثمانمائة رحمه الله تعالى الله.

أرويه عن شيخنا العلامة المحدث محمد بن الشيخ العلامة علي بن آدم بن موسى الأتيوبي الولولي متعه الله عز وجل بالصحة والعافية، وختم له بالحسنى.

عن والده العلامة الجليل، والدرك النبيل، الفقيه الأصولي، علي بن آدم الأتيوبي، رحمه الله تعالى، يرويه عنه قراءة لكثير منه، وإجازة لباقيه.

والعلامة محمد زين الثاني بن محمد ياسين، والشيخ عبد الباسط محمد بن حسن الأثيوبي البروني المناسي، والشيخ حياة بن علي الأثيوبي الدري، أربعتهم عن العلامة المقرئ المحدث محيي السنة، وقامع البدعة، الشيخ كبير أحمد بن عبد الرحمن الحسني العَدّي أبا العقيلي الدوي بلدًا، المتوفى في التاسع

من الشهر الأول لعام تسعين وثلاثمائة وألف هجري، عن العلامة عبد الجليل بن يحيى الدلّتّي، عن والده يحيى بن بشير الدلّتّي، عن والده بشير الدلّتّي، عن المفتي داود بن أبي بكر الدّوّيّ، عن شيخه السيد سليمان بن يحيى مقبول الأهدل، عن عبد القادر ابن الخليل المدني، عن محمد بن أحمد بن سالم، عن عبد الغني وعبد الرحمن المجد، عن النجم الغزّيّ، عن البدر، عن القاضي زكريا، وعن مؤلفها الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

وبالله التوفيق(١)

****

---

(١) وكان إملاء هذا السند والإجازة في ليلة السابع والعشرين من شعبان لعام واحد وأربعين وأربعمائة وألف، بين مغرب وعشاء من يوم الأحد الذي صبيحتها يوم الاثنين، في مسجد الصحابة مدينة الغيضة في محافظة المهرة في بلاد اليمن حرسها الله وجميع بلاد المسلمين .

الفهرس


[الإجازة لمن حضر مجالس درس بلوغ المرام]



